

الشيخ ياسين عيسى
السيد علي عاشور





التربية الفاشلة

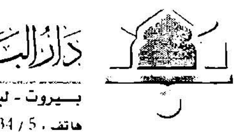
وطرق علاجها

ISBN
978-9953-551-49-4

الطبعة الأولى

٢٠١١ م -١٤٣٢هـ





للطباعة والنشر والتوزيع

بـيروت - لبـنان

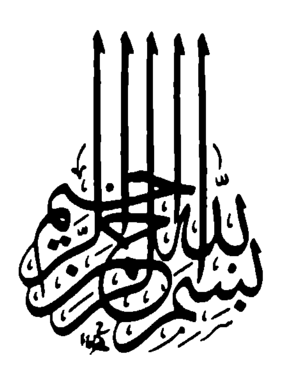
هاتف : 5 / 334 544 1 961+ - فاكس : 787 546 1 961+ - ص.ب. : 16 / 25 الغبيري

E-mail : dar_albalagha@hotmail.com

التربية الفاشلة
وطرق علاجها

الشيخ ياسين عيسى
السيد علي عاشور

دار البلاغة



إهداء إلى أمي وأبي

أغترّ بعطف أبي — أغترّ بحنان أمي
أظنّ أنني القِصة — والقصة أمي وأبي
أظنهما دوني — ما الهما مالي
أفناهما حبّي — أذهلني حبّي
حبهما أغرّني — أريتهما صولتي
أعلنتها جولتي — آه من غفوتي
أين هي مروءتي — هما أصلي وفصلي
هما أمري ونهيي — هما كلّ قصتي
متى يقضتي — هل بعد منقلبي ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إنّ التركيز في بحثنا على الجوانب السلبية في التعاطي التربوي ليس بالأمر المستهجن، وكيف والتحذير هو صنو الترغيب في الدوافع التربوية ؟!

لطالما تأثّر الإنسان بالجانب السلبي للسلوكيات المتّبعة فأخذ العبرة من غيره، وحذر من الوقوع فيها، فيما وقع هو فيه ذلك، وكان على درجة عالية من الاحتياط.

من هنا كان اختيارنا في كتابنا، فسلّطنا الضوء على الأساليب التربوية الفاشلة وفي مختلف المجالات والمراحل الاجتماعية، ولحساسية الوضع التربوي في الأسرة، قال الشيخ محمد تقي الفلسفي في مورد العدالة في الأُسرة : «يحكم الآباء في الدولة الصغيرة للأسرة أفراد أسرهم بأساليب مختلفة ، فبعض الآباء العقلاء والمؤمنين يطيعون الأوامر الإلهية والأسس العقلية ويديرون شؤون الأُسرة حسب العدالة والإنصاف والاحترام للحق والفضيلة فأعضاء هذه الأُسرة يعيشون في ظل الأمن والهدوء الفكري ، وكل منهم يؤدي واجباته بكل سرور وارتياح أملاً في الحصول على السعادة في غد ، وتشع أشعة الحنان والحب في جميع زوايا ذلك البيت وتلك الأُسرة.

وعلى العكس من ذلك : فهناك من الآباء الجاهلين والمنحرفين من لا يتقيد بالواجبات الدينية ولا يطيع الأنظمة العلمية والعقلية ، ولأجل أن يكون الحاكم المطلق في جو الأُسرة وتنفذ أوامره بلا استفسار أو انتقاد ، يتوسل بالاستبداد والتعنت ويثبت قدرته ويفرض إرادته بالفحش والعربدة والكلمات الركيكة ،

ويعامل زوجته وأطفاله معاملة أشد من معاملة الحيوانات فيذيقهم الأمـرّين مـن السوط والعصا والتعذيب والضرب والتجويع ، مـحوِّلاً جـو الأُسـرة إلى سـجن رهيب لا يطاق !.... حين ينعكس صوته الغليظ في محيط البيت يفر الأطفال الأبرياء بوجوه شاحبة إلى هنا وهناك، وترتعد فرائـصهم كـنعاج هـجم عـليها الذئب ثـم يلجأون إلى الفراش بأرواح ملؤها العُقَد والتأزمات ، وحين يستيقظون في الصباح ويتذكرون أباهم المجنون وتصرفاته البذيئة يسيطر عـليهم الجـزع والانكـماش حتى كأنهم لا حراك بهم» [١].

وبناء على ذلك سوف نتعرض في عدة فصول إلى الأساليب العديمة الجدوى أو الفاشلة والتي ـ وللأسف ـ ما زال في مجتمعنا من هو مصرٌ عليها، جهلاً أو عناداً وكبرياء.

وسوف نقوم بذكر الكثير من الأمثلة العملية الملامسة للواقع عند كل بحث ليسهل فهم الفكرة ولأخذ الحذر منها والعمل على تجنبها والسعي لطرح الحـلول لها.

ولا بدّ من الالتفات إلى أن ما نذكره من أساليب تربوية ليس بقاعدة كلية لكل فرد وعائلة، بل هو مخصوص لمن تتوفر فيهم ظروف المشكلة المـطروحة، فـقد يكون هناك أسلوب ناجح في عائلة وفاشل في أخرى خاصة فيما يـتعلق بـتربية الأولاد .

وقد يكون هناك أسلوب ناجح في زمان هو فاشل في آخر، كتنبيه الولد على أمر ما حالة الانشغال بالطعام فقد يكون فاشلاً، فيما لو نبِّه على أمر تربوي يحتاج الى حوار هادئ وبال مفرغ ونفسية غير مرهقة أو مشغولة. في حـين قـد تكـون بعض الملاحظات مفيدة وناجحة آنذاك، كما لو قام بتنبيهه على التسمية عند البدء

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤ المحاضرة الخامسة عشرة.

بالطعام، وعلى ضرورة غسل اليدين قبله وبعده أو على ضرورة مضغ الطعام جيداً.

ولا نريد من تسليط الضوء على الفشل أن نكون من الصنف المتشائم أو من الذين يريدون جلد الضمير فقط أو ممن لا يرون إلا النقد والتقريع، ولسوف نلاحظ أن موضوع الفشل هو نقطة الإنطلاق لطرح النظرية المثلى في المنهج التربوي البنّاء.

وعلى كلٍّ فالكلام سيكون في فصول:

١ ـ الشخصية الفاشلة

٢ ـ الأُبوة الفاشلة

٣ ـ الأُمومة الفاشلة

٤ ـ البنوة الفاشلة

الفصل الأوّل

أسباب الشخصية الفاشلة:

١ ـ الوقوع في الفراغ

٢ ـ الإعتزال

٣ ـ الكبت النفسي

٤ ـ البطالة

٥ ـ عدم أتخاذ الأصدقاء الصالحين

الشخصية الفاشلة

الشخصية الفاشلة تعني أنّ يتّخذ الشخص أسلوباً في الحياة يكون مدخلاً لفشله على حساب الأهداف المرجوّة، كما سيظهر في فصول العناوين الآتية، سواء كان ذلك نتيجة الرواسب التربوية المكتسبة أو من ظروف طارئة أوصلت النتائج الى سلبياتها، فإن بداية فشل الأُبوة أو الأُمومة أو الزوجية؛ وقد لا يكون من البناء الخاطىء المكتسب لشخصية الفرد بل لعدم وضع الضوابط لتصرفاته، وعدم رسم المنهج المدروس لحياته العامة ولمستقبله خاصة .

ما يؤدي إلى الشخصية الفاشلة

هناك أمور قد تؤدي الى فشل شخصية الإنسان نذكر خمسة، منها:

الأمر الأول:

الوقوع في الفراغ

من الأمور التي تؤدي إلى فشل الشخصية هو الوقوع في الفراغ والضياع في التفكير الذي لا نهاية له «الدوّامة» .

والمراد به الوقوع في المجهول أو الروتين الذي يؤدي الى الملل ، فإن الإنسان عندما يكون منعزلاً عن عائلته وأرحامه ومجتمعه ولا يسعى لبلوغ هدف معين أو لتقديم شيء مفيدٍ لغيره، فإنه لا محالة سيشعر بالشقاوة والملل والفراغ، بل قد

يصل الأمر به الى إلحاق الضرر بنفسه مثل الانتحار كما يفعله بعض من غيّبوا الله تعالى عن وجودهم بأفكارهم الفاسدة.

مساوىء الفراغ:

والفراغ غالباً ما يؤدي الى عدة أمور سيئة تختلف من شخص إلى آخر أهمها:

١ ـ بعض الأمراض العصبية والنفسية

إن الشخص الذي لا يكون لديه ما يقوم به أو يشغله يبقى متحيراً متفكراً قلقاً مضطرباً، يميل الى العبث وعدم تحمل المسؤولية، ومع مرور الأيام عندما يعجز عن مواجهة مشاكل الحياة تحدث لديه عوارض عدة، منها أنه يقلّ نومه وطعامه مما يؤدي الى انتكاسة الجسم، واختلال التوازن، وتأثر الجهاز العصبي، فيصبح يعاني من مرض نفسي يصعب علاجه مع مرور الزمن وقد يؤدي الى أمراض أخرى خطيرة وأحياناً الى هلاك النفس أو دمارها كما هو حال من غيب الله عن وجوده فيقوم بالانتحار.

٢ ـ وجع الرأس

إن كثرة التفكير نتيجة القلق على المستقبل وعدم وضوح طريقه والدخول في المجهول يؤدي أحياناً الى ضرر على الدماغ فيظهر على شكل أوجاع في الرأس.

٣ ـ قلة النوم وكثرة التفكير

وهو ناتج في بعض مظاهره عن حتمية الفراغ كما ذكرنا، وقلة النوم مرض خطير يفقد معه الإنسان مقومات الحياة، وقد يؤدي الى تشوش في معلومات الذاكرة واختلاط بين ما يسمى بالعقل الظاهري والعقل الباطني.

٤ ـ الانشغال بالأمور المضرة للمجتمع أو غير المفيدة

إنّ من يتردى وضعه النفسي والصحي سوف ننتظر منه التصرفات الغريبة وسوف تصدر عنه الأعمال المضرة ؛ كتخريب الأملاك العامة (الهواتف على الطرقات، قلع الأشجار أو إحراقها، إتلاف الحدائق العامة، تخريب أماكن الترفيه) أو ضرب المارة وأذيتهم وإهانتهم أو إزعاج الجيران بالأصوات العالية عبر التلفاز أو أشرطة المسجل أو بإلقاء الأوساخ في حقولهم وقرب منازلهم، أو اللعب بالقمار والورق وما شابه ذلك مما لا حلّ له إلا باتباع الأمور التي توصل الى السعادة الشخصية والعائلية والاجتماعية كما يأتي.

٥ ـ إلقاء النفس في التهلكة

قد يتفاقم الوضع النفسي لدى بعض المصابين بالأمراض النفسية، فيصل إلى حالة من الهستيريا القريبة من الجنون، فيقدم على الانتحار أو يلحق الأذى بجسده؛ بجرح أو بغيره، أو يلجأ إلى الإفراط في شرب الكحول والمخدرات المحرمة شرعاً أو غير ذلك.

وهذا هالك لا محالة إذا لم يتداركه الطبيب المختصّ أو المؤسسة الإنسانية المعنية بذلك أو دعاء الصالحين كما سيأتي.

كيف نعالج الابتلاء بالفراغ ؟

سنطرح نماذج من الحلول تفيد من وقع في دوّامة الفراغ، وتنقذه من حالته هذه وذلك ضمن النُّقاط التالية:

١ ـ العقيدة:

إن تقوية عقيدة الإنسان بربّه تعالى ورسله عليهم السلام تلغي الفراغ السلبي من

حياة الإنسان، لأنه بقدر ما يرتبط بالله تعالى يشعر بالطمأنينة ويتحوّل إلى إنسان واقعي يتحمّل المسؤولية اتجاه نفسه والآخرين ويصبح التفكير لديه متجهاً نحو التفكير بالله تعالى والذي هو من أهمِّ العبادات ثواباً. وكلما ابتعد الإنسان عن العقيدة كلما غرق بالفراغ السلبي والمظلم والخاسر واتجه الإنسان الى الكفر أو الانتحار أو الاعتقادات الباطلة والفاسدة.

٢ ـ القيام بالأعمال العبادية :

والمقصود بها كل ما يسدُّ أبواب الفراغ السلبي، كقراءة القرآن وصلة الأرحام وزيارة المرضى وزيارة مراقد المعصومين عليهم السلام . وكالدعاء وطلب الحلول لنفسه وللآخرين من مدبّر الكائنات كما أمرنا بذلك وتكفل بالإجابة، ومنه الرقىٰ والحجب الشرعيين من روايات أهل البيت عليهم السلام ، إلّا أنّ هذا لا يمنع من مراجعة الطبيب المختص لأنّ ذلك من مشيئة الله وحكمته كما ورد في الحديث: «أعقل راحلتك وتوكّل»[١] .

٣ ـ المطالعة:

الكتاب نعم الجليس ولا وحدة مع الكتاب، والمطالعة تعتبر الدليل الى الحياة المستقرّة غير المتزلزلة.

وعلى الإنسان أن يختار الكتب المفيدة والتي تشق له مستقبلاً ناجحاً في الدنيا والآخرة، خاصة الكتب الإسلامية وبالأخص القرآن الكريم ونهج البلاغة والصحيفة السجادية والتي تعتبر من أهم الكتب الهادية للإنسان في مسيرته الى جانب هداية العقل.

ومن المعلوم أن الفكر غذاؤه التنوع في المطالعة، ولكي لا يقع القارىء في

(١) راجع ميزان الحكمة: ١٠ / ٦٨٥ .

الملل، فليطالع في أوقات فراغه ما تقبل عليه نفسه، ضمن خطة تراعي الأوليات في التنوع الهادف.

٤ ـ المشاركة الجماعية:

من الأمور التي تلغي الفراغ والضياع انخراط الإنسان وانصهاره في الأعمال الإجتماعية المنضبطة والمحدودة، كما لو أكثر المشاركة مع عائلته أو أصدقائه في الرحلات والنزهات والسهر الليلي ووجبات الطعام الخاصة والعامة وغيرها.

وكذلك الانخراط في النشاطات الاجتماعية التي تقوم بها عادة الجمعيات الخيرية أو المؤسسات الإنسانية التي تعنى بخدمة المحتاجين والفقراء أو خدمة المصالح العامة، فإنّ الانخراط بها والعيش مع الناس كواحدٍ منهم، سبيل مهم لنسيان الوحدة وملء الفراغ.

٥ ـ تقوية المهارات الفردية:

مثل الخياطة والحياكة أو التأليف وكتابة الشعر، والنتيجة هي أنه كلما عالجنا مشكلة الفراغ في حياة الفرد كلما حصلنا على شخصية سالمة من الأداء الفاشل في حياتها، أسواء كان على مستوى الأبوة والرعاية أم على مستوى المعاشرة مع الآخرين.

٦ ـ القيام بأعمال تنشط النفس وتبعث فيها الحيويّة وتفتح النافذة نحو التفاؤل مثل النزهات الهادفة والأعمال الرياضية وما شابهها.

فهذه نماذج مما يمكن من خلالها الخروج من الفراغ الموبوء، في حين أنّه يجد الإنسان لنفسه أموراً أُخرى تناسبه وتخرجه مما هو فيه.

الأمر الثاني:

الأمر الثاني الذي يؤدي لفشل الشخصية هو ترك التعايش مع الناس وترك الانخراط في مجتمعاتهم وهجرانهم، وهو المسمى بالاعتزال.

الاعتزال

والاعتزال حالة شاذة في المجتمعات ولا يقع فيها إلا من كانت لديه مشكلة نفسية أو عائلية أو اجتماعية أو قانونية.

فعلى الإنسان بقدر الإمكان التواصل مع بني جنسه قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1] فالتعارف يؤدي بنا الى التواصل ومشاركة الناس في أفراحهم وأحزانهم، فنفرح عندما يفرحون ونحزن عندما تحلّ بهم مصيبة أو فاجعة، وفي كلي الحالين تحصل حالة الانصهار الاجتماعي وتبادل المشاعر والخُبُرات ويتحقّق الشرط الأهم في بناء السعادة للمجتمع الانساني.

وبالتالي الاعتزال سبب من الأسباب التي تؤدي الى فشل الشخصية ولو جزئياً بالإضافة الى المردود السلبي لأدائها على الحالة الاجتماعية ولو على مستوى الأسرة.

وقد ورد في الروايات ما يذم العزلة التي تضر بالشخص أو المجتمع :

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّه لا بدّ لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن

---

(١) سورة الحجرات: ١٣ .

الناس حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض»[1].

فالشارع المقدّس حثّ على مشاركة الناس في شؤونهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ونظر إلى الفرد بأنّه واحد من كلّ، واعتبر أن من يخالط الناس أجره عند الله تعالى أكثر من العابد المنعزل عنهم وإن أَكْثَرَ من صلاته وصومه وصدقته.

---

(١) الكافي: ٢/٦٣٥، ح ١.

الأمر الثالث:

الكبت النفسي

إنّ الكبت حالة نفسانية مرضيّة تحصل لدى البعض ومن نتائجها الانـزواء على الذات وكره مخالطة الناس الا للضرورات ولا يرون معنى للترويح عن أنفسهم كما هو ديدن الإنسان العادي، ولسنا بصدد دراسة أسباب ذلك، ولكن يجب إخراج النفس من هذه العقدة المرضية الخطيرة، ولو بمراجعة الطبيب المختص مع وضع برنامج ترويحي وترفيهي.

والطريق الأفضل في الترويح عن النفس هو بالخروج الى الأماكن التي تشرح الصدر خاصة الأماكن التي يكثر فيها الخضرة والهواء النقي المفيد.

سأل ابن أبي العوجاء أبا عبد الله عليه السلام: لِمَ يميل القلب الى الخضرة أكثر مما يميل الى غيرها؟

قال عليه السلام: «من قِبل أن الله تعالى خلق القلب أخضر ومن شأن الشيء أن يميل الى شكله..»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الطيّب نشرة والغسل نشرة والركوب نشرة، والنظر الى الخضرة نشرة»[2].

والنشرة هي الحياة أو ما يعطي الحياة، وقديماً كانت تستعمل النشرة لعلاج

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٨٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١ / ٤٤٢ ح ١٠.

المجنون والمريض.

والحياة أو النشرة التي تحصل من النظر الى الخضرة مما لا شك فيه أنـها تزيد الإنسان سعادة، وتبعث في النفس القوة والنشاط.

وكذلك ما جاء في الحديث الشريف المتقدم مـن التـطيب أي وضـع الطـيب والعطر أو شمّ ما فيه رائحة جميلة من الفواكه والزهور ..

وكذلك الغسل الذي يزيد الإنسان طاقة وحيوية ونظافة بدنية.

وهكذا الركوب والذي هو عبارة عن وسيلة تغيير المكان والذهاب الى مكان آخر كالخيل والسيارة وغيرها، فإنه يجدد نشاط الإنسان ويساعده على المثابرة على العمل ويجدد القوى الخاملة. ومن يسافر في الطائرة أو السـيارة أو القـطار يشـهد بذلك؛ إنّ كل هذه الأمور تزيد من سعادة الإنسان وتبعده.

وينبغي أن يكون الترويح عن النفس بصحبة العائلة أو الأهل والأصدقاء ممّن يتفهّم الوضع النـفسي لدى المـصائب، كـما ويشـترط خـلو هـذه الأمـاكـن مـن المحرّمات الشرعيّة.

الأمر الرابع:

البطالة

إنّ البطالة وعدم وجود فُرص العمل لأفراد المجتمع تقع مسؤوليتها على الدولة بشكل عام لأنها الجهة المعنية بتأمين ذلك وعلى كل المستويات، وللبطالة هذه آثارها السلبية على الشخص الفاقد للعمل ومنها الشعور بالفشل والإحباط، وعندها يفقد أيّ طعم للفرحة والثقة والسعادة، وقد تجنح نفسه الى الأساليب الفاشلة في تعاطيه أو الانخراط في مسالك المجرمين وأهل السوء، ولا يعنيه بالأخير التعاطي الأخلاقي في معاملاته.

في حين أنه لو تأمنت فرص العمل له لتولّد لديه الإحساس بالثقة بذاته، ولتحول الى عنصر فعّال في مجتمعه يتكامل معهم ويشاركهم في الحياة العامة وفي استمراريتها ضمن الضوابط الأخلاقية والشرعية، ألا ترى أنّ الطبيب رُغم أنّه يؤمن احتياجاته الشخصية له ولأسرته من خلال عمله يحسُّ بنشوة السعادة الإنسانية في عمله عندما يشفي هذا ويطبِّب مرض ذاك؟! والمجتمع بذاته سيعيش الأمان والاستقرار عندما تتأمن فرص العمل لأفراده وفي كل الميادين وتُفتح المجالات لكل الاختصاصات والطاقات ضمن برنامج مدروس تطرح فيه الأوليات الوظائفية التي ينبغي أن يراعيها الأفراد في طريق خدمتهم لمسيرة مجتمعهم.

فيحين أنّ هذا التنوع هو مسؤولية الجهات العامة في الدولة والمؤسسات وأيّ تقصير في هذا المجال سيكون مردوده سلبياً على الفرد والمجتمع، لأنه

سينتج الإحباط والفشل... وفتح أبواب الهجرة للأدمغة والطاقات ممّا يذوق مرارته عالمنا الثالث.

إنّ العمل يزرع الثقة في نفس الفرد، ويعطيه جرعة الاطمئنان، ويحرك فيه التحسُّس بمشاكل المجتمع وبتفعيل الوضع الاجتماعي، وبالعمل المختص يسدّ حاجة من حوائج المجتمع بحيث يساهم بواسطته في مواكبة التطوُّر والوصول إلى الاكتفاء الذاتي في الإنتاج والتعليم.

إنّ للعمل خصوصيّة وهي الثواب والعقاب في الآخرة، فالعمل الصالح سواء في العبادات أو المعاملات مع الناس هو ممّا يحبه الله سبحانه، ويثيب فاعله يوم القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الخلق كلّهم عيال الله فأحبّهم إلىٰ الله عزّ وجلّ أنفعهم لعياله [وأدخل علىٰ أهل بيتٍ سروراً]**»(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**قال الله عزّ وجلّ: الخلق عيالي فأحبّهم إليّ ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم**»(٢).

لقد فضل الله تعالىٰ الإنسان علىٰ جميع المخلوقات وأعدّ له دنيا واسعة فيها من النِّعم والخيرات ما لا يحصيها إلّا الله عزّ وجلّ، وزوّده بالعقل الذي يقدر علىٰ التطوّر والاختراع والإبداع في مسائل كثيرة علىٰ صعيد الفلك والنجوم والصناعات والزراعة، وفتح له باب العمل الصالح في شتى الميادين وجعله السبب في ثواب الآخرة ما دام مبتنياً على العقيدة الصالحة، إنها حكمة الله سبحانه في تسخير عالم الكون للإنسان.

قال صادق آل محمّد عليهم السلام: «**فإنّكَ إذا تأمّلت العالم بفكرك وميّزته بعقلكَ وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسماء مرفوعة كالسقف،**

---

(١) الكافي: ٢/١٦٤، ح ٦، والمجازات النبويّة للرضي: ٢٤١، ح ١٩٥.

(٢) الكافي: ٢/١٩٩، ح ١٠.

والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة [مضيئة] كالمصابيح والإنسان كملك [كمالك] ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيّأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه...»[1].

وكلّ إنسان يعيش في هذا المجتمع هو جزء منه عليه حقوق وواجبات ولا بدّ من أن يلتزم بها من أجل سعادته وسعادة مَن يعيش معه، ضمن مشروع العدالة الذي رسمه الله تعالى لأهل الأرض في تجربتهم المحدودة للتأهل الى السعادة الحقيقية في رضوان الله تعالى وثوابه في الجنة.

ولا بدَّ من الإشارة الى أنَّ تأمين فرص العمل كما تقدم ليس هو العلة التامة للخروج من الفشل لأنّ الفشل له عوامله العديدة، كما أنه ليس الضمانة الوحيدة للنجاح الحقيقي والسعادة لأن العمل المفيد لا ينتج سعادة حقيقية إن تجرد عن التخطيط والتقييم والعوامل النفسية وكذلك إن خلي من التوجه الى الله تعالى واتباع رضوانه.

(١) التوحيد: ١٢، والبحار: ٦١/٣.

الأمر الخامس:

عدم اتخاذ أصدقاء أو اتخاذ الأشرار منهم

من الأمور التي قد تؤدي الى فشل الإنسان هي عدم اتخاذ أصدقاء ورفقاء صالحين في حياته الاجتماعية، لأن وجود الصديق الموافق ضرورة حياتيه للمؤانسة ولمدِّ يد العون ولو بالاستبشارة وإلفات النظر والتنبيه على المخاطر.

وكذلك الحال تكون تجربة الإنسان فاشلة عند اتخاذ أصدقاء لا يلتزمون بالآداب العامة والأخلاق الحسنة ولا يهتمون بالإصلاح بل جلّ أعمالهم الفساد والإفساد، إن اتخاذ هكذا رفقاء يؤدي أيضاً إلى التأثر بهم بالجملة ومن ثمّ ينعكس ذلك فشلاً على فشل في شخصية الإنسان وأدائه.

قال إمامنا الصادق عليه السلام: **احذر أن تواخي مَن أرادك لطمع أو خوف أو ميل أو للأكل والشرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمركَ في طلبهم فإنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق علىٰ وجه الأرض أفضل منهم بعد الأنبياء والأولياء، وما أنعم الله علىٰ العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق بصحبتهم قال الله عزّ وجلّ: ﴿الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعضٍ عدوّ إلّا المتّقين﴾**[1]،[2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: قال لي أبي عليّ بن الحسين عليهما السلام: «**يا بنيّ انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق.**

(١) سورة الزخرف: ٦٧.

(٢) مصباح الشريعة: ٣٦.

فقلت: يا أبه مَن هم عرّفنيهم ؟

قال عليه السلام: إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لكَ البعيد، ويبعّد لك القريب.

وإيّاكَ ومصاحبة الفاسق، فإنّه بايعْكَ بأكلة، وأقلّ من ذلك.

وإيّاكَ ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلكَ في ماله أحوج ما تكون إليه.

وإيّاكَ ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعكَ فيضرّك.

وإيّاكَ ومصاحبة القاطع لرحمه، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع: قال الله عزّ وجلّ: ﴿**فهل عسيتهم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئكَ الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمىٰ أبصارهم**﴾[1].

وقال: ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويُفسدون في الأرض أولئكَ لهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾[2].

وقال في سورة البقرة: ﴿**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويُفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون**﴾[3]»[4].

فالصداقة والصحبة لها أثر كبير علىٰ أفعال الإنسان ونجاحه، لذا جاء الحثّ الكبير من قبل أهل البيت عليهم السلام علىٰ حسن الصحبة واختيار الصديق المؤدّب والعاقل واللبيب، الذي يؤثّر بسلوكه ومنطقه علىٰ الآخر فيوصله الى السعادة المطلوبة والأهداف المرجوّة.

وبين أيدينا نماذج للصداقة والصحبة في جانبي الفشل والنجاح:

١ ـ إيجابي يؤدي الى السعادة .

---

(١) سورة محمد: ٢٢ .

(٢) سورة الرعد: ٢٥ .

(٣) سورة البقرة: ٢٧ .

(٤) وسائل الشيعة: ٨/٤١٩.

٢ـ وسلبي يؤدي الى الشقاوة.

١ ـ الاتّجاه السلبي للصحبة في محطات :

أ ـ في البيت:

إنَّ السلوك السلبي للشاب و الشابة في البيت ومع الأهل قد يكون متأثراً إلى حدٍّ كبير بما يعتاداه ويتعلماه في معاشرتهما للأصدقاء مثل استقلال الرأي وعدم الانصياع لآراء الوالدين ومشورتهما، وطغيان حبّ التسلّط وإتلاف الوقت علىٰ شاشة التلفزة والأنترنيت.

ب ـ في المدرسة أو الجامعة وأثناء الدراسة:

إنّ السلوك السلبي للشباب في مدارسهم وجامعاتهم كثيراً ما يكون متأثّراً بأصدقائهم من ناحية التعامل غير اللّائق مع مدرّسيهم أو عدم اهتمامهم بدراستهم ومستقبلهم أوعدم التركيز داخل الجامعات علىٰ المحاضرات، أو سوء اختيار اختصاصهم أو الفشل في بعض مراحل الدراسة.

ج ـ في الشارع :

إنَّ للشارع لغته التي تنعكس على سلوك الفرد وعاداته، فقد يكون محلاً لترجمة الأخلاق السيئة المكتسبة من الآخرين، كأن يمشي بسرعة تؤذي الناس خاصّة إذا كان في سيارة أو دراجة نارية، أو يتكلم بصوت عالٍ أو تصدر منه الكلمات النابية والشتائم أو يتخذ الطريق معرضاً لأزيائه الجميلة كما يفعل بعض الشباب والفتيات في عرض مفاتنهم على الناظرين مما لا يتلاءم مع عاداتنا الإسلامية والأخلاقية.

ومن هذه الأمور المشينة والمخالفة للآداب والمفسدة للسعادة والمورثة للفشل:

١ ـ السرقة والعبث بأموال الناس والأموال العامّة، كما يفعله بعض الجهلة والمتهوّرين، إذْ يقومون بالعبث بأضوية الشوارع أو السيارات أو الهواتف الموضوعة علىٰ الطرقات أو خرق سلّة النفايات أو تكسير الأشجار وإتلافها، إلى غير ذلك ممّا فيه ضرراً على الجميع، وتهديداً للسلامة العامة.

٢ ـ إظهار حالة الكبرياء وعدم احترام الآخر والانتماء العصبي والشخصية الغضوبة المتهورة وغيرهما ممّا يفسد أخلاق الشباب ويؤثّر علىٰ سلوكهم الاجتماعي والشخصي ويسلبهم السعادة الحقيقية.

٣ ـ التقليد في شرب الدخان والنرجيلة ناهيك عن المحذور الأكبر في تعاطي المخدّرات ممّا يورثّه الصديق السوء ويؤثّر به علىٰ صديقه عاجلاً أم آجلاً، بواسطة أم بغير واسطة.

٢ ـ الاتّجاه الإيجابي للصحبة:

يعتبر الصديق قدوة لصديقه في كلّ شيء تأثيراً وتأثراً، إذ لا بدّ لكلّ طفل أو شاب من قرين يعاشره ويقضي معه بعض أوقاته، فإذا كان صالحاً تعلّم منه الصلاح وحبّ الناس والعطف عليهم. وإذا كان طالحاً سيئاً تأثر بسيئاته.

إنَّ تعامل الصديق الوفي والبار والمؤدّب مع أهله يؤثّر في صديقه، ويكسبه حبّ الأهل وبرّهم وحسن الكلام والتأدّب معهم، والتفرّغ للدراسة وبناء المستقبل من غير لهو وتضييع للوقت، إلى غير ذلك من القيم الإنسانية.

إنّ سلوك التلميذ المتّزن والناجح في مدرسته يؤثر في أصدقائه، ليتعلّموا منه احترام الدرس والمدرّسين فيكون القدوة في إعطاء الصورة الحسنة للآخر.

وهٰكذا تعامل الصديق مع الناس كإلقاء السلام علىٰ الصغير والكبير وخدمة المحتاجين وتقديم المساعدات لهم، وحسن معاشرة الناس وعدم أذيّتهم والمحافظة علىٰ أموالهم وأعراضهم، ونحوها من الآداب الآتية التي يعكسها

الصديق ويريها لصديقه.

وكلّما كان الصديق مرتبطاً بالدين والإسلام كلّما كان مؤثراً في بناء شخصيّة صديقه ومستقبله، فالطفل أو الشاب الذي يراود المسجد أو حلقات الدروس الثقافيّة الدينيّة والأدبية تكون دراسته أفضل من غيره، وتكون تصرفاته متزنة، لأنّ هذه الأمكنة هي محلّ للتأثُّر بالصديق الناجح أو الأستاذ المربي أو الصاحب الخلوق المجدّ فيتعلم الحفاظ علىٰ كتبه وممتلكاته وعدم الإسراف بأمواله، ويتعلّم احترام الأساتذة وأهل العلم والمعرفة والخبرة، كما يتعلّم رحمة الصغير واحترام الكبير، وطاعة الوالدين وزيارة الأقارب.

وكذلك تتعلّم الفتاة بالمعاشرة الصالحة العفّة والوقار والعطف علىٰ الآخرين واحترام الزوج وطاعته بما أمر الله، وكيفيّة تربية الأولاد والمحافظة عليهم، إلىٰ جانب الأُمور العباديّة الخاصّة والعامّة.

إن تعاليم القرآن الكريم ومفاهيم الإسلام العزيز لها الدور البنّاء لشخصيّة كل من الرجل والمرأة ليصبحا عاملاً مؤثراً في الآخرين فيتعلّمان التعامل الصحيح في أُمور معاشهم وكسب أموالهم بعيداً عن الربا والسرقة والاستغلال والاحتكار...

ويتعلمان كيفيّة التعامل مع النفس والعائلة والمجتمع والجيران بما يوصل إلى ذروة السعادة الشخصية البعيدة عن أيّ فشل ولو بمستوى أقلّ الخسائر. ويبقى هذا السؤال: لماذا لا نستفيد من هذه الذخيرة الإلهية الكبرى والتي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿**ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها**﴾[1] ؟.

نعم، إن اتّخاذ الصداقة له مواصفاته الخاصة حددها الإسلام كما جاء عن أئمة أهل البيت عليهم‌السلام وسوف يأتي تفصيلها.

---

(١) سورة الكهف: ٤٩.

كيف تبني نفسك في الاتجاه الصحيح ؟

بناء الذات والنفس والمعبّر عنه بالجهاد الأكبر هو أمر مرتبط بفهم الهدف من وجود الإنسان في هذا الكون، ليعرف ما هو دوره، وعلى أساسه يبدأ القيام بما أنيط به من أعمال ومهامٍ بحكم العقل والشرع والذي من ضمنه شق طريق المستقبل نحو حياة سعيدة في الدارَيْن.

أو فقل إن المعرفة هي الأساس في بناء النفس في الاتجاه الصحيح وهي عبارة عن الجواب عن الأسئلة التالية :

- من خلقك ؟
- وماذا أراد منك ؟
- وإلى أين نهاية سفر الدنيا ؟

الهدف من الخَلق

إنّ الهدف من الخلق هو من أهم الأسئلة التي يواجهها العقل عند نضوجه ويطلب الجواب عنه، كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : «**العقل دليل المؤمن**»[1]. إن العقل يدرك تمام الإدراك أن الهدف من الخلق ليس هو أن نأكل ونشرب ونتمتع بالملذات ونأوي الدور والقصور كما عليه بقية الحيوانات، بل هو هدف أسمى من ذلك ألا وهو معرفة الله والتقرب اليه وبلوغ رضوانه، والقيام بأعباء الخلافة الإلٰهية الاختيارية في الأرض كما قال تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا**

---

(١) أصول الكافي: ١ / ٢٥.

ليعبدون﴾[١].

وقال سبحانه في الحديث القدسي: كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام وقد سُئل: ندعو فلا يستجاب لنا فقال عليه السلام: لأنّكم تدعون من لا تعرفونه[٣].

فالدعاء أو الصلاة أو غيرها من العبادات إن كانت عن معرفة ويقين فإنها نوع من الإقرار بالربوبية لله تعالى وهذا معنى الحديث: «**فخلقت الخلق لأعرف**»، ومعنى قوله تعالى ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾.

فالهدف من الخلق في الحديث القدسي: (المعرفة)، والهدف في الآية: (العبادة)، والجمع بينهما: العبادة عن معرفة.

ثم ليعلم أنّ غاية خلق الله تعالى للعباد هي التوجّه إليه سبحانه بالعبادة والخضوع.

وكما ورد في الحديث «وتفسير العبودية بذل الكلّ»[٤] لله سبحانه وعندما تكون العبادة عن معرفة ودراية تلبي كل حاجات الإنسان العابد باتجاه الهدف من الخلق، أي أن تكون العبادة هي السبيل لاستقامة الإنسان في الحياة الدنيا وذلك بصلاح أعماله ونواياه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً**»[٥].

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) شرح أصول الكافي: ١ / ٢٤ .

(٣) التوحيد: ٢٨٨ باب ٤١ ح ٧، وميزان الحكمة: ٢ / ٨٧٣ ح ١١٩٧ باب شرائط الاستجابة.

(٤) مصباح الشريعة: ٧.

(٥) بحار الأنوار: ٧٩ / ١٩٨ .

لقد أنشأ الباري سبحانه السماوات السبع بما فيهن من كواكب ونجوم ومجرّات وأقمار، وأنشأ البحار وما فيها من خيرات، والأرض وما فيها من جمال وروعة وأشجار ونبات وطيور وحيوانات وغير ذلك ممّا لا يحصى من عجائب الخلق ممّا توصّل إليه العلم أو لم يتوصل بعد، فإنّه تعالى أنشأ كل ذلك وسخّره لخدمة الإنسان ليعيش في هذا الكون وهيأ له الأسباب والوسائل التي يحتاجها لينعم بها، وكل ذلك من أجل عبادة الله تعالى الواحد الذي لا شريك له، وبلوغ رضوانه الذي هو السعادة الحقيقية.

في حين أنّ عبادة الله تصبّ في مصلحة الإنسان بل كلها نفع دنيوي وأُخروي ولا ضرر من الالتزام بها بالمطلق.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

وقال: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[2]/

وقال عزّ من قائل: ﴿ ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيّبة ﴾[3]/

وقال سبحانه: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[4].

إنّ التكاليف في بعدها التربوي هي لإحياء نفوسنا وتهذيبها بالدرجة الأولى والتي إن صلَحَت صلح الإنسان والمجتمع لأنها أفضل قانون يدير شؤون الإنسان

---

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

(٢) سورة طه: ١٢٤.

(٣) سورة النحل: ٧٩.

(٤) سورة الزلزلة: ٧ ـ ٨.

ويراعي مصالحه الفردية والاجتماعية والروحية والمادية في الدنيا والآخرة.

وفي المقابل الفشل والمشقة وبئس الورد المورود لمن لم يراع الوصايا الإلهية في أعماله وتقلباته.

والحياة الحقيقية هي حياة التعقل والمعرفة والروح، ولذا من لا يستفيد من سمعه فهو الأصم واقعاً وإن لم يفقد سمعه كما قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال: ﴿وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[3].

فالأعمى في المفهوم الحقيقي والإلهي هو الذي يفقد التدبير والبصيرة وإن كانت عيونه ترى الماديات.

ومن هنا من يريد أن يبني شخصيته وذاته عليه أن يبدأ بالعلاقة الصحيحة مع الله تعالى صانع الكون وخالق الإنسان والعالِم بما يصلحه وبما يبعده عن مفاسده.

وسوف يأتي زيادة توضيح وتعميق عند الكلام عن الأساليب الناجحة في تربية الطفل، إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة النمل: ٨٠.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٣) سورة الإسراء: ٧٢.

الفصل الثاني

الأُبوة الفاشلة

إنّ الشخصية الفاشلة التي تكلمنا عنها سالفاً هي ذات مردود سلبي على علاقة الإنسان في محيطه وفي علاقاته العامة ومنها الفشل في الأبوة وغيرها.

وسنتكلم هنا عن الآباء فقط ولسوف يأتي الكلام إن شاء الله تعالى عن الأُمهات في الفصل التالي تحت عنوان «الأُمومة الفاشلة».

فشل الأُبوة في التربية وإدارة الأُسرة

وهو يعود إلى أسباب عديدة:

السبب الأول:

أسلوب الأب مع أولاده الذكور والإناث:

إنّ خصوصية الأولاد تفرض علينا تقسيم الأساليب إلى نوعين:

١ ـ الأسلوب المتبع مع الأولاد الذكور.

٢ ـ الأسلوب المتبع مع الأولاد الإناث.

النوع الأول:

أسلوب الأب مع أولاده الذكور وخلفيته

والكلام تارة في الخلفية والداعي وأُخرى في الأسلوب:

أما الخلفية:

والمراد بها الدافع والداعي الى اتخاذ موقف ما من الأولاد سواء أكان هذا الدافع سلبياً أم إيجابياً كما في نهي الولد عن شرب الدخان، فتارة يكون الدافع هو حبُّ المصلحة للولد وأخرى يكون الدافع هو الانتقام منه نتيجة تحديه لقرار والده الحديدي.

وعند اختلاف الخلفية والداعي سيختلف الأسلوب في النهي ويتميز الكلام المستعمل فيهما، فمثلاً في الحالة الأولى سيتوجه الأب بحرقة ورقة، ويستعمل كل الأساليب المؤثِّرة ويكررها بغية استجابة الولد لمطلبه، ومن الأفضل أن يطرح عليه القضية بأسلوب سؤال، مثلاً: ما رأيك في المعلومات التي تشير الى أن التدخين مضر بالرئتين ١٠٠٪ ؟! أو يقول له: ماذا تقول في أسرة تحتاج الى دواء وهي تصرف المال على التدخين ؟ وهكذا....

أما في الحالة الثانية والتي كان الولد يتحدى فيها أباه فإن الأب سوف يغضب (في الغالب) ويستعمل الأسلوب القاسي والكلام الشديد أو المهين، وقد يستعمل العنف فيقوم بكسر علبة السجائر، وقد يتطور الأمر به الى ضرب الولد، وقد يكتفي بطرح الأسئلة السابقة ولكن بأسلوب السخرية.

ففرق بين الأسلوبين للفارق الذي بين الداعيين، لأن هذه الخلفية لها مدخل في الأسلوب وسوف تترك أثراً كبيراً عند الولد، فعندما يشعر الولد أن النهي كان بداعي الانتقام والعناد فإنه سوف يعارض والده حتى لو أتاه بأسلوب هادىء، وأما لو كان النهي بداعي الحب والغيرة فإنّ الولد سوف يشعر بالخجل ولو لفترة قليلة، وسوف يأخذ ذلك بعين الاعتبار ويفكر في ترك شرب السجائر.

ـ وكذلك لو أخذنا مثلاً آخر حول إصلاح الأب لفشل أولاده في الدراسة، فتارة يكون الإصلاح بداعي الخوف على مستقبلهم وكيفية مواجهة الحياة من دون

شهادات تعليمية، وأخرى يكون الدافع والخلفية هي افتضاح الولد في المدرسة والذي سوف يؤدي الى افتضاح الأب أمام الناس أو في مجتمعه الخاص، وعليه فالأسلوب الذي سوف يصدر عن هذه الخلفية الأولى سيغاير الأسلوب الصادر عن تلك الثانية.

ـ وهكذا لو أخذنا مثلاً ثالثاً كما لو قام الولد بضرب أُخته أو أخاه الصغير، فإن الخلفية التي يتحرك بها الأب للدفاع عن أولاده ستؤثر على أسلوبِه، وأسلوبُه سوف يؤثر على الولد الضارب بل وعلى المضروب، فإذا كانت الخلفية الحب والعطف وحماية الأولاد والعدل بينهم فإن الضارب سوف يخجل من نفسه ويعرف قيمة عمله كما لو كان هو المضروب، خاصة إذا استعمل الأب الأسلوب الكلامي الهادىء وبين له خلفية العمل وأثره، وكذلك المضروب سوف يتأثر في الأمر ويحترم أباد يقدِّر أسلوبه وحيث يكون الأثر هو حلّ المشكلة على الأغلب.

أما لو كانت الخلفية هي الانتقام، سواء أكان انتقاماً من الضارب لعدم احترام أهله أم كان انتقاماً للمضروب.

فإن الولد الضارب سوف يغضب ويعتبر تصرف الأب تمييزاً له عن إخوته ولو في دائرة فهمه ممّا يؤدي الى كراهته وعدم الاستجابة الى ارشاداته.

وكذلك بالنسبة لبقية الأولاد فضلاً عن المضروب، فعندما يرون تصرف أباهم بداعي الانتقام أو الكبرياء والعنفوان فإنهم سيتأثرون بذلك وتتولد عندهم قساوة قلب على والدهم وقد يتعاطفون مع الضارب.

إذاً على الأب أن يفكر قبل الإقدام على أي عمل ويقف عند مثل هذه المحاذير.

ثمّ لا بدّ من إلفات النظر الى أمرٍ وهو أنه لا يوجد في البين قاعدة عامة، لأنّ الحال يختلف من أسرة الى أخرى ومن بيئة الى أخرى ويختلف الحال بين المخاطِب والمخاطَب في مستوى الثقافة والوعي ومن ظرف لآخر.

إنّ الأب الذي يستعمل الأسلوب السلبي وبالخلفية الخاطئة إن كان لا يتمتع

بصفات إيجابية بنظر أسرته لأنه لا يقدم الهدايا ولا يتصابى لصغاره ولا يشاركهم في الأفراح الجماعية كالذهاب الى رحلات مشتركة، فإن الأولاد سوف ينظرون للأب على أنه جلاد قاسي القلب، وقد يزيدهم ذلك عناداً ومعارضة، وهذا بخلاف من يتمتّع بصفات إيجابية بنظر أسرته فإنّ أسلوبه أقلّ ضرراً عندئذٍ.

وكذلك قد يختلف الحال في الولد (الضارب والمضروب) من شخص لآخر فالولد الذي قد تعود على ضرب الآخرين سوف يختلف الأسلوب معه وآثاره مع الولد الذي ارتكب هذا الخطأ لأول مرة ومن دون إصرار عليه .

وكذلك الظرف والموقف والمكان والوقت لها آثارها الخاصة في الأسلوب الناتج عن الخلفية. فإنّ الأسلوب السلبي يختلف حاله عما لو كان في مكان خالٍ من الناس وكذلك الحال في صدوره أثناء الجلوس في ظرف خاص كالجلوس على مائدة الأكل فإنه على رُغم سلبيته سوف يضاف إليه المنع من الأكل، وهذا بنظر المؤنَّب قساوة قلب زائدة.

وكذلك سنّ الولد له تأثير عليه، فضرب الطفل الصغير أو إهانته تختلف عن حال ضرب أو إهانة الولد الذي له سبع سنوات، كما أنّ الأسلوب القاسي يختلف أثره السلبي بلحاظ المرحلة العمريّة، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار درجة الجهل أو الوعي لديه.

ثمّ إن للخلفية مدخليّة في الثواب والعقاب، فإذا ما كانت تربية الأب لأولاده قربة لله تعالى، فإنّ هذه الخلفية يثاب عليها الفاعل ومدعاة لتسديد الله تعالى له ولمن يعظه. كما أنّ الخلفية السلبية سوف تكون محلاً لمخالفة الله تعالى ولعدم تسديده سبحانه في الأسلوب.

أما الأسلوب المتبع:

قلنا سابقاً إن الداعي والخلفية له تأثيره على الأسلوب الصادر من قبل الأب

سلباً أو إيجاباً، فداعي البغض يولّد على الغالب أسلوباً سلبياً بخلاف داعي الحب والمودة ومراعاة المصلحة.

إلّا أننا سوف نسلّط الضوء على الأسلوب وتأثيراته مجرداً عن الخلفية فإن للأسلوب الفاشل أثره السلبي في حدِّ ذاته حتى لو كانت الخلفيّة حميدة والغرض من ذلك إلفات نظر الآباء أو الأُمهات الى استعمال الأسلوب المناسب مع كل ولد، فقد يضطر الإنسان في العائلة الواحدة لاستعمال أكثر من أسلوب وطريقة مع أولاده، فمثلاً عندما يكون الولد الصغير حساساً أو هادئاً وأخطأنا معه ببعض الأساليب السلبية، فإننا في مقام العلاج والتصحيح ينبغي الحذر في مراعاة مشاعر هذا الطفل لخصوصيّته التي تختلف عما لو كانت مع طفل يتمتع بالشجاعة والجرأة.

وعليه يمكن تقسيم الأساليب المتَّبعة والمعاشاة من قبل الأب في تربية أولاده الى عدة أساليب:

١ ـ الأسلوب الانفعالي:

وهو الأسلوب الذي يصدر عن الأب نتيجة لردّة فعلٍ على تصرف خاطىء من قِبَل الولد الصغير أو الشاب، كما لو شتم أو ضرب أو أسرع في حكم خاطئ أو فسّر الكلام بما لا يناسب.

خطورة الاسلوب الانفعالي:

وليعلم أن هذا الأسلوب شائع في التجارب الأُسرية وأغلب الآباء يقعون فيه نتيجة الغضب وسرعة أخذ الحكم أو لأسباب أخرى.

فمثلاً قد يقول الولد الصغير لوالده: كسرت المبراة أو ضيَّعت الممحاة أو

اللعبة الفلانية وأريد بدلها أو ثمنها، ، فإن الأب إذا ما انفعل وقام بتصرف سريع كالسباب والتوبيخ الشديد أو عدم المبالاة لحاجة ولده وكأن شيئاً لم يحصل، فإن الولد سوف يتأثر سلبياً بأسلوب والده الانفعالي وخاصة مع تكراره مما يدفع بالولد الى كبت ما في نفسه، والإعراض عن طلب الكثير من حاجياته المدرسية أو الترفيهية، مماله مردوده السلبي على هذا الولد، وإن اختلفت الآثار السلبية بحسب قدرة الولد على التحمل وعدمه.

ومثال آخر قد يقول الشاب لوالده: أريد دراجة جديدة أو هاتفاً أو ثياباً رياضية أو كفوفاً للتدفئة أو مالاً أو غير ذلك من الحاجيات، فإذا ما قام الأب نتيجة فهم متسرع أو معلومات مغلوطة أو ناقصة بردّ طلبه وتوبيخه، فلسوف يترك أثراً كبيراً على هذاالشاب الذي فهمه والده خطأ، وخاصةً إذاما تكرر ذلك أو كان أمام رفاقه أو أمام الناس، مما يؤدي إلى ردة فعل من قِبَلِهِ لم تكن بالحسبان إلّا أنّ هذا يختلف من شاب إلى آخر.

وعلى كل حال، فإن سلبية هذا الأسلوب على الولد ظاهرة لا شائبة فيها نعم قد تشتد وقد تضعف حسب المورد والحالات المختلفة .

علاج الأسلوب الانفعالي:

إنّ العلاج يتمُّ بتصحيح الخطأ الحاصل من قبل الأب بلحاظ ما فيه مصلحة لولده بغضّ النظر عن قيام الأب بالاعتذار أو إظهار فشله في التربية، وعليه إذن أن يقوم بعدة خطوات:

أولاً: الالتفات الى مشاعر الولد الذي فشل أو أُحرج نتيجة تصرف الأب.

ثانياً: عدم تكرار هذا التصرف معه.

ثالثاً: الإحسان الى الولد والعطف عليه بعد هذه الحالة من قبل الأُم أو الأب، ويكون الإحسان اليه مترافقاً مع إبقاء صورة قداسة الأبوة في نظره ولو بالتماس

عذر مبرّر لتصرف الأب كما لو قلنا له إنه كان متعباً بمشاكل عدة. وفي نفس الوقت ينبغي للأب الاعتذار لأن له أداؤه التربوي العظيم في نفسية الولد .

نعم إذا كان الابن شاباً كبيراً يعي الأمور وقد تبين له خطأ الأب، فإن كان الوسيط في المعالجة هي الأم فعليها شرح الموضوع أكثر وإظهار أنه كان له رأيه في المشكلة حيث انطلق من حرصه عليه وعلى مستقبله، في حين أنه ينبغي اعتبار كأفضل أصدقائه وقد يخطئ لعدم عصمته. ولا ينبغي الكذب على الشاب في هذه الحالة لأنه يعرف الحقيقة ويفهم الأمور وسوف تترك هذه القضية انطباعاً سيئاً في نفسيته إن لم يبادر إلى الحلّ.

وإن كان المبادر للعلاج هو نفس الأب فلا طريق له إلا المصارحة مع ولده الكبير الذي هو بمثابر أخيه وصديقه، والصديق عند خطئه مع صديقه يقوم بتوضيح الأمر والاعتذار، نعم بما أن للوالد حرمته فإن الاعتذار لا يكون بالقول بل بالتصرف المفهم لحب الوالد لولده وخوفه من ضلاله ليعلم أن خلفية الخطأ غير المتعمد من قبل والده كان التربية والتوجيه لا الكره والجهل والانتقام وإن كان الاعتذار له فوائده التربوية الجمّة.

ومما لا شك فيه أن الشاب عندما يرى حسن التصرف من قبل الأب سوف يقوم هو بالمبادرة الى التقرب منه ونسيان ما حصل، ولسوف يترك هذا التصرف أثراً إيجابياً عليه وعلى مستقبله وسوف يكبر ويعظم احترامه له وسيعتبره القدوة له التي يتأسى بها عند حصول أية مشكلة معه في المستقبل.

هذا بالإضافة الى الحب الذي سوف يزداد عند الولد والذي سوف يُترجم على شكل برّ لوالديه واعتناء بهما أكثر .

٢ ـ الأسلوب الهجومي:

وهو عبارة عن تصرفٍ غير مسؤول من قبل الأب عند صدور الخطأ من ولده،

فيقوم بالهجوم عليه إما بواسطة الكلام القاسي منه أو القبيح المشتمل على السباب والصوت المرتفع، وإما بالضرب بيده أو بعصاه وحذائه.

والأسلوب الهجومي يشبه الأسلوب الأول الانفعالي في الخلفية والنتيجة وقد يكون ناتجاً عنه الا أنَّ الهجومي يزيد عليه في العدوانية والتعدي نتيجة الانفعال والغضب الزائد أو نتيجة زيادة قبح عمل الولد وتصرفه .

خطورة الأسلوب الهجومي:

إن الحالة الانفعالية المستلزمة للتعدي والعدوانية بغض النظر عن خلفياتها المبررة أو غير المبررة هي ذات مردود سلبي وخطير على الأولاد وغيرهم، وهو مما يتفاجأ به الأطفال والكبار كما ويُدخل الأسرة في متاهات معقدة خصوصاً مع التكرار، لأنه يورث العقد النفسية لدى الأطفال وحالة الخوف مما له أثره السلبي على على الأولاد في مواجهة مشاكل الحياة، وقد ثبت تربوياً أن الضرب بالخصوص لا يحلُّ مشكلة بل يزيد المضروب عناداً.

علاج الأسلوب الهجومي ضمن نقاط:

أولاً: إنّ علاج الغضب يكون بإدراك أنّ الغضب المفرط هو حالة نارية محرقة تخرج الإنسان عن طوره الإنساني، ولو نظر الغضبان في المرآة لرأى نفسه بصورة أخرى غير الصورة المعهودة لديه، ومن الناحية العملية على الغضوب أن يتذّكر غضب الله وسطوته والنار التي أعدّها لمن يرتكب مثل هذه الخصلة السيئة والمنكرة والتي ورد في الأحاديث أنها تأكل الحسنات، وتوقع الإنسان في كثير من المخالفات الإلهية، والغضوب قد تأتي عليه ساعة لا يعرف فيها ربه ويتنكر لكل القيم الأخلاقية والشرعية، فإذا ما تذكر ذلك عمل بكل ما في وسعه للجم حالة الانفعال والثوران في داخله، فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليستلقِ على

ظهره أو ليذهب ويسبغ وضوءه ويكثر من كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثانياً: إقلاع الأب عن هذا الأسلوب مع أولاده ويسعى لعدم تكراره، وتبديله بالأساليب الناجحة.

ثالثاً: الأم بما أنها تمثل النيابة عن الأب فيكثير من الأمور وبما لها من دور عاطفي ينبغيأن تستحضر بحكمتها ما يتدارك غضب الأب وثورته على أولاده.

ولكن عليها أن لا تواجه الزوج في ساعة ثورانه، فمن جهة لا تحسّس زوجها بأنها تواجهه ومن جهة تخفف عن الأولاد آثار غضبه ،ولا ينجح في ذلك إلا الأسلوب الحكيم.

وحبذا لو طلبت الزوجة الأم بجلسة حوار ومناقشة بعد المشكلة الحاصلة وفي الوقت المناسب.

والأمر عينه إذا كان الأسلوب الانفعالي من قبل الزوجة فعلى الزوج تحمل المسؤولية ومنعها من اللجوء الى ضرب الطفل أو وضعه في حالة الفريسة التي تنتظر موتها.

توقفات عند نقاط:

ضرب الأولاد بين الحرمة والجواز

قال النبي ﷺ: **الولد سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين وإلا فاضرب على جنبه فقد أعذرت إلى الله تعالى**(١).

لقد ورد في هذه الرواية دون بقية الروايات تعبير «**فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين وإلا فاضرب على جنبه**» وهو مشعر بجواز ضرب الولد في سنّ الواحد والعشرين إذا لم يتأدب ويتخلق بأخلاق الإسلام، فإن ضممنا إلى ذلك ما يدلّ على جواز الضرب دون هذا السن مع ملاحظة الروايات التربوية لخَرَجْنا بالنتائج التالية:

أولاً: أن الضرب هو آخر العلاج.

ثانياً: إن الضرب بعد استنفاد جميع وسائل التربية والعناية والاهتمام والرحمة والإحسان وبقية الحقوق التي تقدمت عن أهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: إن لفظة «فاضرب جنبه» كناية عن الضرب الذي لا يؤثر على البدن بالاحمرار أو الاخضرار أوالاسوداد وإلا فإنه يوجب الدية والتي تتضاعف في الرأس كما سوف يأتي معنا.

وفي رواية أخرى قال بعضهم: شكوت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام ابناً لي،

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٧، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

فقال: **لا تضربه واهجره ولا تطل**»[١].

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: في هذا الحديث نجد أن الإمام يمنع من ضرب الطفل بصراحة ، مستفيداً من العقوبة العاطفية بدلاً من العقوبة البدنية . فالأب هو الملجأ الوحيد للطفل ومعقد آماله ، وإن هجره للولد أكبر عقوبة روحية ومعنوية، إنه عليه السلام يطلب من الوالد أن يهجر الولد ولكنه سرعان ما يوصيه بعدم طول مدة الهجر ، ذلك أنه إذا كان لهجر الوالد أثر عميق في روح الطفل فإن طول مدته يبعث على تحطيم روحيته وإذا كان أثر هذا الهجر ضعيفاً فإن شخصيته الوالد ستصغر في نظر الطفل لطول مدة الهجر وسوف لا يكون لتألم الوالد أثر أصلاً .

«إن للعقوبات التي ترجّح فيها الوسائل العاطفية والأخلاقية على الوسائل المادية تأثيراً كبيراً ، ففي مثل هذه العقوبات بدلاً من أن يحرم الطفل من الماديات يجب السعي للتأثير في قلبه ونفسه ووجدانه وعزته وغروره ، فإن لم ترتبط المحروميات المادية مع مشاعره وعواطفه فإنها تفقد طابع العقوبة»[٢].

وفي هذا الصدد يقول الإمام علي عليه السلام : «إن العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب»[٣].[٤]. وإن كان هذا المضمون ناظراً إلى العقلاء لا الأطفال إلا أنه يعطي الصورة العامة عن الضرب بنظر الإسلام العزيز.

وعليه فكثير من ضرب الأطفال في السنوات الأولى كما يفعله الكثير من الآباء والأُمهات أمر خارج عن الشرع وعليهم الإقلاع عنه الى الأساليب الأخرى .

ووردت بعض الروايات تجيز الضرب الخفيف، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

---

(١) عدة الداعي : ٦١، وبحار الأنوار للمجلسي : ١٠١ / ٩٩ . ومعنى الهجر : إظهار عدم الرضا بأعماله وعدم الاعتناء إليه ضمن الهدف.

(٢) جه ميدانيم ؟ تربيت أطفال دشوار : ٩٤ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي ص ١٠٨ طبعة النجف الأشرف .

(٤) الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / المحاضرة الخامسة عشرة.

«مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين واضربوهم على تركها إذا بلغوا تسعاً»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «أدّب صغار بيتك بلسانك على الصلاة والطهور، فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً» [2].

فهنا الضرب إن جاز فهو عند ترك الواجبات المهمة، وذلك بعد الموعظة والتنبيه، على أنه بكمية وعدد قليل لكي لا يعد انتقاماً هذا مع الاحتراز عن موجبات الدية.

أثر الخوف والقمع على التربية

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: «تخضع نفسيات الأفراد في الأُسرة إلى وضع حكومة الآباء. فالأب الذي يتحدث إلى أبنائه بلسان التهديد والعقاب فقط وتكون إطاعته له قائمة على أساس الخوف منه ، ينعدم حب التعالي والترقي من نفوس الأطفال ، ولا تظهر استعداداتهم الخفية ولا يفكرون في تحصيل الكفاءات لأنفسهم. وبصورة أساسية فإن الأطفال في أمثال هذه الأسر لا يدركون أنفسهم ، ولا يلتفتون إلى وجودهم بين ظهراني المجتمع ، لأنهم لم يسمعوا كلاماً من رب الأُسرة حول إظهار شخصياتهم ، فهو كان يتحدث معهم بلغة السوط والعصا فقط!.

أما في الأسر التي تقوم على أساس التعالي النفسي وحب الكمال ، الأسر التي تهدف التربية فيها إلى إيجاد الكفاءة والفضيلة والصلاحية في نفوس الأفراد ، تنعدم لغة التهديد والعقوبة، بل يستند المربي حينئذ إلى شخصية الأطفال ويستفيد من غريزة حبهم للكمال في تشجيعهم على العمل المثمر الحر .

إن الحديث الذي بدأنا به المحاضرة يستند إلى هذا الأساس .

---

(١) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٤ .

(٢) تنبيه الخواطر، لورّام بن أبي فراس : ٣٩٠ ـ دار التعارف بدون تاريخ .

فالإمام الحسن عليه السلام لم يتحدث عن نفسه مع أطفاله ولم يهددهم بقوته ، بل أشعرهم بأنهم صغار اليوم ، وربما كانوا كبار الغد، وإن العظمة وذيوع الصيت في المجتمع يستلزم الكفاءة ، فأخذ يحثهم على التعلم وتحصيل المعرفة[١].

وقال: إن نظرة الإسلام إلى هؤلاء الحكام الظالمين . . . إلى هؤلاء الثلة الحقيرة التي تحكم الناس بقوة الحديد والنار . . . نظرة ملؤها الريبة والاحتقار ويعرفهم بأنهم أحقر الناس وشرهم في مقام الحكم الإلهي . عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**شر الناس يوم القيامة : الذين يكرمون اتقاء شرهم**»[٢].

كما ورد عنه صلى الله عليه وآله في حديث آخر : «**ويل لمن تزكيه الناس مخافة شره ، ويل لمن أطيع مخافة جوره ، ويل لمن أكرم مخافة شره**»[٣] .

وفي حديث ثالث : «**ألا إن شرار أمتي : الذين يكرمون مخافة شرهم ، الا ومن أكرمه الناس اتقاء شره فليس مني**»[٤] .

وقال: في أسرة كهذه تنعدم السعادة ، ولا يوجد الهدوء الفكري واطمئنان الخاطر ، حيث يسيطر الخوف والقلق على جميع أنحاء البيت ، ويرى أعضاء الأُسرة أنفسهم معرضين في كل لحظة لخطر التعذيب والقسوة . . . في هذه الأسر لا تقف آثار الاستبداد السيئة عند حد إيقاف الرشد المعنوي للأطفال فقط ، بل تمنع أبدانهم عن الرشد الطبيعي من جراء الاضطراب والقسوة هؤلاء الآباء يجرون على أنفسهم وعوائلهم والمجتمع الذي يربي الأطفال له نتائج وخيمة لا تنجبر . . . هؤلاء مسؤولون - طبق الموازين الإسلامية - أمام كل ضربة أو كلمة بذيئة صادرة منهم تجاه عوائلهم . . . وإذا كانت طاعة الزوجة والأولاد معلولة للخوف من الشدة

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٩٨ المحاضرة الخامسة عشرة.

(٢) الكافي لثقة الإسلام الكليني : ٢ / ٣٢٧ .

(٣) مجموعة ورام : ٢ / ١١٥ .

(٤) الكافي لثقة الإسلام الكليني : ٢ / ٣٢٧ .

والقسوة والظلم ، فإن هؤلاء الآباء مشمولون للأحاديث السابقة التي ترى أن من يطاع خشية شرّه لهو شرُّ الناس .

على هؤلاء الآباء أن يحكموا وجدانهم ، وأن يكرهوا لغيرهم ما يكرهونه لأنفسهم ، فكما أنهم - أنفسهم - ينفرون من الحياة في ظل الاستبداد والتعنت ، والظلم والقسوة عليهم أن لا يرضوا ذلك لعوائلهم ، ولا يعاملوا أزواجهم وأطفالهم معاملة الأسرى المحكوم عليهم بالإعدام ![1]» انتهى .

الفرق بين خوف الطفل من الذنب وخوفه من الأب

وقال الشيخ محمد تقي الفلسفي: في الدولة الصغيرة للأسرة يكون خوف أفراد الأُسرة على قسمين : فبعضهم يخاف من الذنب ، والبعض الآخر يخاف من الأب . عندما يكون الخوف من الذنب موجوداً فإن المخاوف الباطلة الواهية تنعدم ، وهنا يكون المهد الصحيح للتربية . وتتفتح أزهار الشعور بالمسؤولية في نفوس الأطفال واحدة بعد الأخرى ، ويتعود الصغار على الاستقامة منذ البداية . إن أعضاء هذه الأُسرة يطمئنون إلى أنهم إذا لم يتجاوزوا على حقوق الآخرين ولم يتلوثوا بالذنب والانحراف ، فلن ينالهم شيء بل يكونون مقربين عند الأبوين تماماً .

في مثل هذه الظروف يكون الأب في محيط الأُسرة حائزاً على الشخصية والعطف معاً، والأطفال يخافون من مؤاخذته الصحيحة والمنصفة فلا يمارسون الذنوب ولا ينحرفون.

«ويجب على الذي يقوم بإجراء العقوبة أن يعتقد ببعض القواعد ويستمع إلى نداء الوجدان ، ولا يحكم بدافع التعصب . وعليه - في نفس الوقت - أن يكون حميداً في سلوكه وعطوفاً ، لا بأن يظهر ضعفه وحقارته ، بل يكون ذا شفقة عامة

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٨٥ المحاضرة الخامسة عشرة.

وإنسانية تظهر في حدود القوانين المحدودة والقابلة للاحترام الاجتماعي والدولي»[١].

«إن المربي سيتظاهر بأنه سوف لا يعاقب، بل إنه يجري قوانين العدالة كموظف مختص مجبر على ذلك، وسيفهم الطفل هذه النكتة بصورة حسنة. ولما كان التوبيخ ذا جانب عاطفي تماماً هنا فيجب أن لا يخرج عن حدود الانسانية، وبهذا تكون عقوبة كهذه غير انحيازية»[٢].[٣]

أما الخوف من الأب: فعندما يكون الخوف من الأب، الأب السيىء الخلق والقاسي، الأب الذي يتحجج ويتعنت، الأب الذي يفحش في القول ويضرب أبناءه بلا سبب فيجازي أبسط الزلات بأكبر العقوبات، الأب الذي يثأر لأتعابه الخارجية فينتقم من أطفاله الأبرياء، والذي يحل عقدة الفشل التجاري أو الإداري أو الاجتماعي عنده بإيذائهم... ففي الأُسرة التي يحكمها مثل هذا الأب لا تحترم الأمانة والاستقامة، ولا تعرف الفضيلة والأخلاق، إنما المهم في نظر الأطفال إرضاء أبيهم المستبد، واتقاء شره!. إن العصر الحديث يخطئ من الناحية العلمية والتربوية، طريقة ضرب الأطفال وإيذائهم بغية التأديب، ويكاد يمنع الضرب في جميع الدول الحية فيحذر الآباء والأُمهات في البيت، والمعلمون في المدرسة، من ضرب الأطفال بصورة أكيدة. قد يتصور البعض أن هذه النظرية مبتكرة في عصرنا الحاضر، وأن الانتباه إلى أهمية هذا الموضوع حصل في الحديث فقط. بينما نرى من الضروري أن نرفع هذا الوهم عن أذهان أولئك ونقول بصراحة: إن الإسلام سبقهم إلى ذلك... فعلاوة على الروايات في المنع من ضرب الأطفال، أفتى الفقهاء المسلمون في القرون الماضية بحرمة ذلك في رسائلهم العملية التي تعد

---

(١) جه ميدانيم؟ تربيت أطفال دشوار: ٩٣.

(٢) المصدر السابق: ٩٥.

(٣) الطفل بين الوراثة والتربية – الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٩٠ المحاضرة الخامسة عشرة.

المناهج اليومية لعمل المسلمين».

قال بعضهم: شكوت إلى أبي الحسن عليه السلام ابناً لي، فقال: لا تضربه واهجره ... ولا تطل»[1].

ففي هذا الحديث نجد أن الإمام يمنع من ضرب الطفل بصراحة، مستفيداً من العقوبة العاطفية بدلاً من العقوبة البدنية. فالأب هو الملجأ الوحيد للطفل ومعقد آماله، وإن هجره للولد أكبر عقوبة روحية ومعنوية إنه عليه السلام يطلب من الوالد أن يهجر الولد ولكنه سرعان ما يوصيه بعدم طول مدة الهجر، ذلك أنه إذا كان لهجر الوالد أثر عميق في روح الطفل فإن طول مدته يبعث على تحطيم روحيته وإذا كان أثر هذا الهجر ضعيفاً فإن شخصية الوالد ستصغر في نظر الطفل لطول مدة الهجر وسوف لا يكون لتألم الوالد أثر أصلاً.

«إن للعقوبات التي ترجح فيها الوسائل العاطفية والأخلاقية على الوسائل المادية تأثيراً كبيراً، ففي مثل هذه العقوبات بدلاً من أن يحرم الطفل من الماديات يجب السعي للتأثير في قلبه ونفسه ووجدانه وعزته وغروره، فإن لم ترتبط المحروميات المادية مع مشاعره وعواطفه فإنها تفقد طابع العقوبة»[2].

وفي هذا الصدد يقول الإمام علي عليه السلام: «**إن العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب**»[3].[4].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ٢٣ / ١١٤. ومعنى الهجر: إظهار عدم الرضا بأعماله وعدم الاعتناء به.

(٢) جه سيدانيم ؟ تربيت أطفال دشوار: ٩٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي: ١٠٨ طبعة النجف الأشرف.

(٤) الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٩١ المحاضرة الخامسة عشرة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

جاء في زبدة الأحكام في باب الأمر بالمعروف ما يفيد في المقام:

مسألة ١ ـ لو لم يحصل المطلوب إلّا بالضرب والإيلام فالظاهر جوازهما مراعياً للأيسر فالأيسر والأسهل فالأسهل، وينبغي الاستيذان من الفقيه الجامع للشرائط، بل ينبغي ذلك بالحبس والتحريج ونحوهما.

مسألة ٢ ـ لو كان الإنكار موجباً للجر إلىٰ الجرح أو القتل فلا يجوز إلّا بإذن الإمام عليه‌السلام علىٰ الأقوىٰ، ويقوم في هذا الزمان الفقيه الجامع للشرائط مقامه مع حصول الشرائط.

مسألة ٣ ـ ينبغي أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في أمره ونهيه ومراتب إنكاره كالطبيب المعالج المشفق، والأب الشفيق المراعي مصلحة المرتكب، وأن يكون إنكاره لطفاً ورحمة عليه خاصة، وعلىٰ الأمة عامة، وأن يجرّد قصده لله تعالىٰ ولمرضاته، ويخلص عمله ذلك من شوائب الأهواء النفسانية وإظهار العلو، وأن لا يرىٰ نفسه منزهة، ولا لها علواً أو رفعة علىٰ المرتكب، فربما كانت للمرتكب ـ ولو للكبائر ـ صفات نفسانية مرضية لله تعالىٰ أحبه تعالىٰ لها وإن أبغض عمله، وربما كان الآمر والناهي بعكس ذلك وإن خفي علىٰ نفسه.

مسألة ٤ ـ من أعظم أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأشرفها وألطفها وأشدها تأثيراً وأوقعها في النفوس ـ سيما إذا كان الآمر أو الناهي من علماء الدين ـ هو الصادر عمّن يكون لابساً رداء المعروف ـ واجبه ومندوبه ـ ومتجنباً المنكر بل المكروه، متخلقاً بأخلاق الأنبياء والروحانيين، منزّهاً عن

أخلاق السفهاء وأهل الدنيا، حتّىٰ يكون بفعله وزيّه وأخلاقه آمراً وناهياً، ويقتدي به الناس، وإذا كان ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ بخلاف ذلك، ورأىٰ الناس أن العالم المدّعي لخلافة الأنبياء وزعامة الأمة غير عامل بما يقول، صار ذلك موجباً لضعف عقيدتهم وجرأتهم علىٰ المعاصي وسوء ظنهم بالسلف الصالح. فعلىٰ العلماء أن يتجنّبوا مواضع التهم، وأعظمها التقرب إلىٰ سلاطين الجور والرؤساء الظلمة، وعلىٰ الأمة الإسلامية أن لو رأوا عالماً كذلك حملوا فعله علىٰ الصحة مع الاحتمال، وإلّا أعرضوا عنه ورفضوه، فإنه غير روحاني تلبس بزيّ الروحانيين، وشيطان في رداء العلماء، نعوذ بالله من مثله ومن شرّه علىٰ الإسلام.

الديّة على ضرب الطفل

جاء في زبدة الأحكام:

مسألة ١ ـ لو ضرب الأب أو المعلم أو غيرهما تأديباً فاتفق القتل فالضارب ضامن، وكذا الطبيب يضمن ما يتلف بعلاجه إن كان قاصراً في العلم أو العمل ولو كان مأذوناً، ولو أذن المريض أو وليّه الحاذقَ في العلم والعمل قيل يضمن والأقوى ضمانه في ماله، نعم لو وصف دواءً و أوصىٰ بشربه من غير أمر به فالأقوىٰ عدم ضمانه.

في السؤال للإمام الخامنئي حفظه المولى: هل المراد من الاحمرار الذي يوجب الدية عند الضرب هو ذاك الاحمرار الذي يظهر بمجرد الضرب الخفيف ثم ما يلبث أن يختفي، أم المراد به الاحمرار الذي يطول بحيث يكون كالعلامة؟

قال في الجواب: الملاك هو حدوث الإحمرار بسبب الضرب وإن لم يبق أثره مدة، نعم لا يعتنى بأثر حدث بمجرد ضغط خفيف على الجلد مثلاً ويزول بسرعة، فإذا حدث هذا الأثر بالضرب فلا يعد سبباً للدية. والله العالم [١].

وفي السؤال للسيد الخوئي رضي الله عنه: متى تجب دية ضرب الطفل ، هل هو بمجرد حدوث الضرب (وتلون الجلد) أم بعلم الحاكم الشرعي بذلك ؟

قال في الجواب: لا يعتبر في ذلك علم الحاكم الشرعي .

وفي السؤال: إن نعومة جلد الطفل قابلة للاحمرار لأقل ضربة ، فما هو مصداق الاحمرار (والتلوين) الموجب للدية ؟

قال الخوئي : ذلك لا يوجب سقوط الدية [٢].

---

(١) عن كتيب مقتطفات: ٢ / ٦٥ .

(٢) صراط النجاة - الميرزا جواد التبريزي : ٢ / ٤١٥ - ٤١٦ سؤال ١٢٨٢ ـ ١٢٨٣ .

قال التبريزي : في الموارد التي يضرب فيها الطفل للتأديب يكتفى في ضربه بأقل ما يحتمل ترتب الأدب عليه ، ومع ذلك فيه الدية على المشهور و كذا من كان مأذوناً من طرف الأب في تأديبه ، وأما إذا تعدى فتثبت الدية بلا تأمل ، والله العالم[1].

وفي (توضيح المسائل) لآية الله الفقيد السيد حسن الطباطبائي البروجردي:

«مسألة ٢٨١٦ - إذا لطم على وجه أحد باليد أو بشيء آخر فاحمر وجهه ، فديته مثقال ونصف من الذهب (كل مثقال ١٨ حبة) وإن اخضر لونه فثلاثة مثاقيل وإن اسود لونه فستة مثاقيل ، ولئن تغير لون سائر البدن على الضرب ، فاحمر أو اخضر أو اسود ، فديته نصف ما ذكر».

«مسألة ٢٨٢٠ - إذا ارتكب الصبي إحدى المعاصي الكبيرة جاز للولي أو المعلم ضربه بمقدار التأديب ما لم يصل حد الدية » .

«مسألة ٢٨٢١ - إذا ضرب صبياً إلى حدّ وجوب الدية كانت الدية للصبي ، فلو مات الصبي فعلى الضارب أن يدفع ديته إلى ورثته ولو ضرب الوالد ولده حتى مات كانت ديته لسائر الورثة ، وليس له شيء من الدية» .

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: يستفاد من هذه الأحكام الدينية الثلاثة أنه لا يجوز ضرب الطفل فإذا ضرب أحد الوالدين أو المعلم طفلاً على وجهه وسبب تغير لونه فعليه أن يدفع ديته ، وعند ارتكاب الطفل إحدى المعاصي يجوز ضربه بحيث لا يصل حدّ وجوب الدية .

إن الآباء والأُمهات الذين يضربون أبناءهم إلى حدّ وجوب الدية مدينون إليهم بقيمة الدية ، فإما عليهم أن يرضوهم أو يحصلوا على العفو منهم وكذلك حكم المعلمين الذين يضربون تلامذتهم[2].

---

(١) صراط النجاة - الميرزا جواد التبريزي : ٢ / ٤١٥ - ٤١٦ سؤال ١٢٨٣ .

(٢) الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٩٣ المحاضرة ١٥.

وبين يديك جدول للديّات[١] كما عن بعضهم:

نوع الإصابة	في الوجه	في الجسد
الاحمرار	٩ $	٤/٥ $
الاخضرار	١٨ $	٩ $
الاسوداد	٣٦ $	١٨ $
إذا جرح الجلد دون اللحم	٦٠ $	فيه تفصيل
إذا أخذ من اللحم يسيراً	١٢٠ $	فيه تفصيل
إذا أخذ من اللحم كثيراً	١٨٠ $	فيه تفصيل
إلى ما بين اللحم والعظم	٢٤٠ $	فيه تفصيل
إذا كسر العظم	٣٠٠ $	فيه تفصيل
إذا هشم العظم	٦٠٠ $	فيه تفصيل
إذا نقل العظم الى موضع آخر	٩٠٠ $	فيه تفصيل
إذا بلغت أم الدماغ	٢٠٠٠ $	فيه تفصيل

(١) ديات اللطم في الوجه والضرب في الجسد في حدها الأقصى على أساس مراعاة الصلح لصالح المجني عليه.

٣ ـ الأسلوب الإهمالي وخطورته:

ونعني به سكوت الأب عن الفعل السيّىء للأولاد تارة لعدم أهمية الفعل في نظره أو لله من تكرار تنبيه الأولاد أو لوجود الأب في حالة المرض والتعب .

ولا شكّ بأنّ ذلك يؤدي الى إهمال تربية الأولاد، ومع تكرار هذا الأسلوب وعلى فترات طويلة تقع المصيبة ويقع ما لم نتوقّع.

ويزداد الأمر تعقيداً أو خطورة إذا كانت أفعال الأولاد قبيحة جداً وتؤثر سلباً على الفرد والمجتمع كعادة السرقة أو التدخين أو المخدرات أو الانجرار إلى السياسات أو العقائد الباطلة أو ما شابه من الأمور التي يصعب علاجها بمرور الزمن، في حين أنّ علاجها يكون سهلاً في الزمن الأول .

وقد تكون من الأمور التي ضياعها يشكل ضرراً كبيراً على المستقبل، كالأمور الدراسية والجامعية، ففي مرحلة معينة على الشاب انتخاب نوع دراسته فعند إهمال الأب له قد يتخذ الاتجاه الخطأ أو الذي لا يناسبه أو الذي لا يفيده أو الذي لا يستطيع إكماله، وينبغي أن يكون تدخل الأب هنا بواسطة الاستشارة من أهل الاختصاص.

علاج الأسلوب الإهمالي:

وعلاج هذه الأسلوب مبني على معرفة الوالدين لخطورة هذا الإهمال، فإنهما عندما يعرفان بأن بعض أولادهما سوف يكون مدمن خمر أو سوف يقضي عدة سنوات في السجن أو سوف يكون سبباً لقتل أحد الأبرياء أو لانتحال ديناً غير الدين الإسلامي أو لالتقاط شبهة عقائدية وما شابه ذلك من الأفعال القبيحة

والسيئة، فإنهما سوف يستنهضان هممها وتقوى إرادتهما على ترك الإهمال واللّامبالات وسيندفعان إلى الحوار وإيجاد الحلول المناسبة ولو بواسطة استشارة الأخصّائيين.

ويكفي أن يشعر الأب بالمسؤولية الشرعية والاجتماعية تجاه أبنائه ويحاول مراقبة تصرفاتهم وإرشادهم الى الطريق الصحيح بعد الاستشارة من أهل الاختصاص والتجربة.

وعلى الأُم مسؤولية أيضاً في هذا المجال بالإضافة إلى حثّ الأب على تحمل المسؤولية والالتفات الى أولاده وفلذة أكباده.

٤ ـ أسلوب التبرّوء والطرد وخطورته:

وهو قيام أحد الوالدين بطرد أحد الأولاد من المنزل الى خارجه والبراءة منه نتيجة مشكلة معينة أو تصرف غير أخلاقي أو عمل ما خالف له العقل والشرع.

وخطورة هذا الأسلوب في انعكاسه على الولد المطرود بشكل عام، فإن الولد عندما يقوم بعمل سيىء فله مبرراته أو دوافعه وأسبابه ولو بنظره هو، وقد يكون أحد الأسباب هو تقصير نفس الأهل، كما وقد يكون الولد اضطر لذلك أو انحرج من وضعٍ معين ففعله، لذا على الأب معرفة ذلك بدقة قبل اتخاذ أي موقف، حتى لا يتحول الأب بنظر ولده إلى ظالم مشحف مما يدفعه إلى الهروب أو الهجرة، وهذا أمر خطير وسلبياته كثيرة.

وحتى لو كان الأب محقاً فيما قام به وكان الولد مقصّراً من كل الجهات، فإنّ هذا الأسلوب يترك أثراً سيئاً على الولد، حتى لو شعر بخطئه وبشناعة فعله الذي كان سبب طرده لِما للطرد من إهانة اجتماعية بنظر عامة الناس الذين ينظرون إلى المطرود بأنه شخص شاذ ومنحرف.

نعم إن هذا الأسلوب وإن كان له فوائد نادرة وفي ظروف خاصة جدًّا إلّاأنّ مخاطره أكبر وأشد، ومنها انعكاسه على شخصية بعض الشباب[1] الذين قد يقومون بأعمال أشد شناعة وخطورة مما قاموا به سابقاً ويتحولوا إلى معاندين في الباطل.

فعلى الأب أن لا يخاطر بهذا المستوى مع وجود الأساليب الأخرى التي تؤدي الغرض، ما دام أنّ الهدف هو إصلاح ولده لا الانتصار عليه ومن المعلوم أن البيت هو مكان الإلفة العائلية وليس حلبة صراع للأقوى.

---

(١) لأن غالبية حالات الطرد هي للشباب .

٥ ـ الأسلوب الردعي غير المبرر:

والمراد به منع الأولاد عن أمور حرصاً عليهم من الوقوع في مكروه ما.

كما لو رأى الأب سلبيات ركوب الدراجة أو مشاهدة التلفاز أو سوء تربية الأولاد، فيقوم بردع ولده عن ركوب الدراجة أومشاهدة التلفاز أو معاشرة أيٍّ من أنداده...

تقييم الأسلوب الردعي:

وهذا الأسلوب يدور بين الحُسن والقبح ، فهو في بعض المواقف أمر ضروري لأنه لمصلحة الأولاد وحمايتهم بل قد يجب ذلك فيما إذا احتمل حصول ضرر معتد به عليهم أو خيف من الوقوع في الحرام .

وبالأخص إذا كان العمل يمسّ بالممتلكات الخاصة للناس أو العامة للدولة.

وفي بعض المواقف يترك هذا الأسلوب أثراً سيئاً على تربية الأولاد لأن الولد عندما نمنعه عن هذا التصرف الذي له خلفيات متعددة ومن دون إيضاح المبررات المقنعة، يتصور أنّ الأب يتدخل في خصوصياته ويريد تحجيم أفعاله، وقد يتوهم أنه يبغضه أو.....

لذا على الأب عند استعمال هذا الأسلوب أن يعمل على توعية الولد وشرح أبعاد الموضوع وخطورته في المستقبل على نفس الولد وأثره السيىء على العائلة أو على المجتمع إن كان، وقد تحتاج التوعية هذه إلى تكرارها وفي ظروف متعددة مؤاتية، وكذلك قد تحتاج إلى طلب العون من الزوجة الأم.

٦ ـ الأسلوب المنعي غير المبرّر:

والمراد به قيام الأب بمنع أولاده من بعض الامتيازات أو من بعض ما يرغبون به ويحبونه عقوبة على ما اقترفوه، كمنعهم من الخروج من المنزل أو إلى الرحلات الترفيهية (البحر أو النهر) وما شابه من ذلك، وعدم إعطائهم المال، أو عدم شراء ملابس جديدة لهم في يوم العيد.

وعادة يكون ذلك نتيجة فعل الأولاد لما ينافي الأدب والأخلاق أو ترك الالتزام بالواجبات الدينية أو الاجتماعية أو نتيجة مخالفة أوامر الأهل.

وينبغي أنْ يكون الهدف من ذلك هو إقلاعه عن هذه التصرفات والأعمال، ولا ينبغي أن يكون المنع من قبل الأب أو الأُم هو غير ذلك مما تقدم في الأسلوب الردعي وغيره من الكيدية والتحدي.

تقييم الأسلوب المنعي:

وهو كالأسلوب الردعي من الأساليب المفيدة والمثمرة، خاصة إذا استعمل ضمن الضوابط المدروسة.

وقد يؤدي هذا الأسلوب إذا كان في محله نتيجته المرجوة فيقلع الولد عن هذه التصرفات الصادرة منه.

إلا أن خطورة هذا الأسلوب تكمن فيما لو كان استعماله في غير محله أو كان من غير إيضاح الأسباب والمبررات لأنه من دون ذلك سوف يكون موقف الأهل في نظر الولد عدوانياً وظالماً، وعندئذ لا يتمّ الهدف المطلوب من الردع، لأنه إذا ما سنحت الفرصة للعودة الى ذلك الفعل القبيح فإنه سوف يقوم به، وإنما تركه لحاجة معينة لالقناعته بضرره عليه، كما هو الصحيح .

ومن هنا لا بدّ في هذا الأسلوب كما في سابقه من توعية الولد على خطورة فعله وضرره عليه وعلى مستقبله، متزامناً مع منعه عما يحب، وقد يتطلب الموقف دخالة الأم.

نعم على الأُم أن تنسق مع الأب في ذلك وتلتزم بما يتفقا عليه، ولا تنجرّ الى عاطفتها، كما لو أعطته ما منعه والده إياه بداعي الشفقة، فإنّ هذا يبطل مفعول ما أراده الأب ويكون على خلاف الهدف المطلوب.

وقد قيل: «إن من الحبّ ما قتل» إضافةً إلى أنه يؤدي الى كره الولد لأبيه، لأنه منعه عما يحب وقد كانت أُمه أحنّ عليه منه .

٧ ـ الأسلوب الإمهالي غير المبرّر:

ونعني به تأجيل الأب تأديب الولد عند خطئه الى زمن آخر أو الى مكان آخر.

وسبب تأجيل العقاب أو التنبيه إما لوجود ضيف أثناء الخطأ أو إما لكون الزمان غير مناسب كفترة الليل المتأخرة أو لوجود أصدقائه وإخوته في المكان، أو لحدوث المشكلة في ظرف مُحرج كما لو كانت الأسرة على مائدة الطعام أو ما شابه من الأسباب المختلفة التي يقدّرها الأب.

تقييم الأسلوب الإمهالي:

إن هذا الأسلوب من الأساليب المهمة والفعالة التي تؤدي الى نتيجة مهمة وملموسة، خاصة إذا كان عن تأمل وتعقل من قبل الأب أو تشاور مع الأُم.

وأهمية هذا الأسلوب أنّه يترك الفرصة لتراجع الولد عن خطئه بنفسه كما لو كان الخطأ الأول ولم يكن من الأخطاء الخطيرة.

وهذا الأسلوب من حسناته أنه يلغي كل الاحتمالات التي تؤدي الى الأساليب الفاشلة المتقدمة وتفوت الفرصة على أسبابها، كالغضب الذي كان سبباً لكثير من الأساليب الفاشلة.

نعم على الأب عند فتح المشكلة مجدداً مع الولد اختيار المكان والزمان والأسلوب المناسب لذلك، كما وعليه توعية الولد وإرشاده الى خطورة مواقفه أو أعماله على نفسه وأهله ومجتمعه.

وعلى الرُّغم من حسنات هذا الأسلوب فإن له سيئاته الخطيرة إن لم يكن له مبررٌ كما لو ترك فروض مدرسته وسهر على شاشة التلفاز فإن الإمهال هنا لا ينفع بل هو المضرّ والمفوّت للمصلحة، وهكذا ما لو وُجِد الطفل يلعب بمفاتيح الغاز وما

شابه ذلك.

ولا ننسى الأسلوب القرآني القائل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين﴾[1].

ومهما كان الولد عنيداً أو مراهقاً أو مهملاً فإنه سيتأثر بالأسلوب القرآني إذا كان في محلّه وفي الوقت المناسب والطريقة المناسبة، وإن لم يكن للمرّة الأولى، ولا ينبغي للأب اليأس من ذلك.

واليأس أمر خطير في التربية، لأن من وقع في الخطأ غالباً ما يكون لديه دوافع شخصية أو مادية أو نفسية أو كيدية أو تحدٍ أو ما شابه من الأمور التي تؤدي الى الخطأ، وعليه فلا يتوقع منه أن يترك فعل الخطأ أو تكراره بمجرد توجيه اللوم له أو بيان خطورته وتداعياته، وقد لا يكفي التنبيه الأول والثّاني لأن سبب الخطأ لا زال موجوداً عنده.

ومن هنا عند علاج أي مشكلة أو عند توجيه اللوم للأولاد أو تأنيبهم أو تربيتهم، علينا معرفة الدوافع الكامنة خلف فعل الأخطاء، ومعرفة السبب الذي أدى الى ارتكاب الولد مثل هذا القبيح أو الفعل السيىء؟

ولعلّ الأب هو سبب وقوع الولد في الخطأ، علم أم لم يعلم.

فقبل ردع الولد عن فعله القبيح علينا دراسة أسبابه وإشعار الولد بالاهتمام به وبفعله.

بل من الأساليب الناجحة عند خطأ الولد أو الشاب عدم مفاجأته بأنّ فعله هذا هو خطأ أو قبيح، والأفضل أن يكون ذلك بصيغة السؤال عن الغاية من هذا الفعل ومعناه والهدف الذي يسعى الولد لتحقيقه.

فإننا عندما نتوجّه بذلك إلى الشاب أو الطفل فسوف يشعر بالاهتمام به وأن

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

الخلفية ليست كيدية ولا بغيضة ، بل الخلفية هي مصلحة الولد ومستقبله وعدم وقوعه في ما يضره، وسيتقبل فيما بعد أيّ نقد بنّاء من أجل استقامته وحسن تصرفه والتزامه بالآداب الفاضلة والأخلاق الإسلامية الحسنة.

أيها الأب العزيز ولدك قطعة من لحمك ودمك، فكما لديك أحاسيس وعواطف وميول فهو لديه ذلك، وكما كنت تحب أن يتعامل معك والداك فتعامل بما تحب مع أبنائك ، واصبر على ولدك لأنه تنقصه المعرفة والتجربة التي امتلكتها أنت طيلة سنوات طويلة .

أقول: سوف يأتي مزيد بيان حول تربية الأولاد في نهاية هذا الفصل عند الكلام عن كيفية التربية .

٨ ـ الأسلوب الإنقاذي:

وهو عبارة عن عدم القيام بأي انفعال ما تجاه خطأ الولد، ويصار الى التفكير بالبديل والوعد به من منطلق العاطفة، ولكي لا يتحسّس الولد بأيّ تبعيّة، كما لو كسر اللعبة الكهربائية بسبب لعبه المفرط فيقال له: سوف نشتري لك غيرها، أو قام بضرب صديقه فيقوم والده بتبرير ذلك وهكذا...

وهذا الأسلوب يجتمع مع الأسلوب الإمهالي من جهة عدم الانفعال إلا أن خطورته في تشجيع الولد على الخطيئة كما هو واضح، ومن ناحية ثانية سوف يقتل فيه جانب الإبداع، فإنه عندما نكون قد نبّهناه على خطئه في كسر لعبته مثلاً وتركنا له فرصة تصليحها فإنه سوف يكتسب خبرة الإبداع في تصليحها والحرص عليها.

ومع الأسلوب الإنقاذي كما أسلفنا سوف يحرم الطفل من هذا الإبداع وهذه الخبرة ولسوف يستهتر بكل ما له قيمة نتيجة وجود البدائل الحاضرة .

٩ ـ الأسلوب الاستدراجي أو الإيحائي:

وذلك بأن نقوم بتعريف الولد بخطئه بطريقة مختلفة، وذلك بأن نحكي له حكاية أو قصة أو نقوم أمامه بفعل نبيّن فيه خطأه الذي قام به أو كلامه غير المناسب الذي ذكره، فيقوم الولد بنفسه باكتشاف الخطأ من دون كسر عنفوانه أو شخصيته التي لا يحب لأحد أن يتعرض لها.

وهو من الأساليب الناجحة جزئياً، لانحصار أثره في موارد خاصة، وله سلبياته إذا ما استخدم في غير مورده كما لو تكرر الخطأ من الولد، وفي فترات قصيرة أو في الموارد الخطيرة.

نصيحة للآباء

يجب أخذ العبرة من تعامل رسول الله ﷺ مع أولاده ففي روايةٍ أن الحسن والحسين جاءا يسعيان إلى رسول الله ﷺ فأخذ أحدهما فضمّه إلى إبطه، وأخذ الآخر فضمّه إلى إبطه الآخر وقال: «هذان ريحانتاي من الدنيا» (١).

وقد بايع رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيّان (٢).

ومن صفات رسول الله ﷺ أنه كان يسلّم على الصغير والكبير فروي أنه مرّ يوماً على صبيان فسلّم عليهم (٣).

هذا إضافة الى ما سيأتي من ملاطفة رسول الله ﷺ لأولاده عليهم السلام عند الكلام عن التصابي.

فهذا يكشف لنا عن مدى اهتمام النبي الأعظم ﷺ بالطفل والعناية به والحفاظ على مشاعره ومعاملته بالمعاملة التي لا تخرجه عن بقية الناس أو تزويه جانباً.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ٧: ١٤ ـ دار الفكر ١٤٠٥ هـ ط ١.

(٢) تحف العقول: ٣٣٧.

(٣) مستدرك الوسائل ٢: ٦٩.

الأساليب التي تؤدي إلى نجاح الأُبوة في التربية وإدارة الأُسرة

وأفضل الأساليب التي تؤدي إلى نجاح مهمة الآباء في تربية الأولاد هي ما يلي:

أ ـ الأسلوب الهادئ:

وهو أن يقوم الأب ابتداء وعند حدوث المشكلة أو القيام بالفعل القبيح بالتكلم مع الولد وبالأسلوب الهادئ والمنطق السليم، من دون غضب ولا تسرع ولا هجوم بكلام وغيره، بل ببيان أن العمل الذي فعله هو عمل قبيح يؤثر عليه وعلى محيطه، وأن عليه أن يكون قدوة لإخوته أو لأصدقائه أو لجيرانه.

وقد يقوم الأب بملاطفة الولد في أثناء هذا الأسلوب.

وهذا الأسلوب إن نُفذ بالشروط التي ذكرناها سابقاً من ملاحظة الزمان والمكان والظرف والمنطق؛ فإنه مما لا شك فيه أنه سوف يؤثر في الولد ويترك عنده نتائج مهمة ومنها الإقلاع عن الفعل القبيح.

نعم على الأب دراسة الميدان وواقع الحال فهل من الأفضل القيام بهذا الأسلوب مباشرة أم عليه تأجيله الى وقت آخر؟ أم عليه توكيل غيره؟!

ولعل الأمر يعود الى نوع العمل وخطورته وهل فعله الولد أمام أصدقائه أو إخوته أو عامة الناس، وهل كان على الطعام أم على الشارع؟ كل ذلك يؤثر على استجابة الولد لملاحظة والده.

وكل أب عليه أن يدرس الأسلوب المناسب لأولاده متجنّباً الأساليب السلبية

التي ذكرناها أو ينتخب أسلوباً جديداً مدروساً أو مجرباً لكي يصل الى تربية ولده وتهذيبه.

ب ـ الأسلوب المتماشي مع الفطرة:

ونعني به استفادة الوالدين من الأمور الفطرية المودعة عند الولد، من أجل تسهيل التربية والتحلّي بالفضائل والأخلاق الإسلامية والبعد عن الرذائل، فمثلاً عندما نريد أن نقنع الأطفال أو الشباب ببعض الأمور التي نراها ترفع من شأنهم عند الله تعالى، وتجعل لهم مكانة بين الناس لحُسنها، سواء في الدراسة أو غيرها، ما علينا إلا إبراز الآثار المستقبلية لها ليرغب الطفل أو يفكر الشاب فيها فيحبها أو يعشقها فيلتزم بها عن قناعة ورغبة وطموح من أجل الوصول الى الهدف المنشود.

مثال: إذا كنا نريد إقناع الطفل أو الشاب بترك الحسد والغيرة من أصدقائه أو إخوته، فينبغي أن يقوم الأب أو الأُم بإظهار مساوىء الحسد وبغض الله تعالى للحاسد فيقال له: إن الحسد يضعف شخصية الإنسان لأنه يجعله يلتهي بمراقبة أفعال الآخرين فيقصّر في أفعاله مما يؤثر على مواهبه والإبداع فيها.

ومعلوم أن كل إنسان يحب نجاح عمله وشهرته بالعمل الصالح في نظر الناس، أيضاً يحب قوة شخصيته وعدم تسلط الآخرين عليه، فمن أجل الوصول الى هذه الرفعة السليمة والكمال الفطري والإنساني نغذي هذه الطاقة الفطرية السليمة والصحيحة بالأسلوب الحسن؛ وعندئذ نرى أنَّ الطفل أو الشاب قد تخلّيا عن الحسد أو الغيره.

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: حب الكمال من الأمور الفطرية عند الانسان، والتي يمكن أن تكون أساسا ثابتا لتربية الطفل: غريزة التفوق، وحب الكمال. إن الرغبة في الترقي والتعالي تعتبر من فروع حب الذات المودع في فطرة كل إنسان. وعلى المربي القدير أن يستغل هذه الثروة النفسية، ويقيم شطراً من الأساليب

التربوية الصحيحة على هذا الأساس، فيسوق الطفل إلى طريق الترقي والتعالي.

لقد ورد بهذا الصدد حديث عن الإمام الحسن عليه السلام: ... «**أنه دعا بنيه وبني أخيه، فقال: إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم... فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته**»[1].

وفي هذا الحديث نجد أن الإمام الحسن عليه السلام، لأجل أن يحث أبناءه وأبناء أخيه على اكتساب العلوم ويشجعهم على ذلك يستفيد من حب الذات والترقي عندهم -وهو أمر فطري- من دون أن يتوسل إلى الزجر والأساليب المخيفة، ويفهمهم أن تحصيل العلم في اليوم، سبيل الوصول إلى العزة والعظمة في الغد.

إن الأسلوب المستعمل في هذا الحديث يعد من أعظم الأساليب في مجال التعليم والتربية في العصر الحديث، فكل أسرة تستطيع أن تشجع أبناءها على تحصيل العلوم بهذا الأسلوب، وتدفعهم منذ البداية إلى التعالي والترقي فإن الأطفال يسعون وراء العلم بدافع ذاتي، ولا يحتاجون إلى التهديد والتعقيب[2].

تنبيه:

وأخيراً... لا بدّ من التأكيد على نقطة مهمة في المقام، ألا وهي أنّ الأساليب التي وصفناها بالفاشلة، هي فاشلة في مورد الفشل والآثار السلبية فقط، ومن هذه الناحية هي فاشلة في الغالب، وإن التمسنا لهذه الأساليب نواحٍ إيجابية ومفيدة بلحاظ آثارها الإيجابية التربوية والمردود الحَسَن على الطرف المقصود، فإنها تدخل في الأساليب التربوية الناجحة، واللبيب الحكيم هو الذي يقدر أن يضع كل أسلوب في مكانه المناسب.

---

(١) بحار الأنوار: ١ / ١١٠.

(٢) الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٧٧ المحاضرة الخامسة عشرة.

آثــار التربيــة

تربية الأولاد مسؤولية شرعية واجتماعية أُخذتْ على عاتق الوالدين وآثارها كثيرة:

١ ـ منها ما يعود على نفس الوالدين، والأثر العائد عليهما:

أ ـ إما أثراً دنيوياً والذي يتمثل ببرّ الأولاد لوالديهما وعطفهم عليهما وحسن معاشرتهم لهما، خاصة عند تقدمهما في السن وحاجتهما الى أولادهما.

ب ـ وإما أثراً برزخياً وأُخروياً فإن عمل الإنسان ينقطع عند موته وانتقاله الى عالم البرزخ والقبر إلا من ثلاثة أمور كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد موته، وولد صالح يستغفر له[1].

وفي عالم الآخرة يرى الثواب المترتب على تربية وتهذيب أولاده، فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم.**

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: **أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يُغفر لكم**[2].

٢ ـ ومن آثار التربية ما يعود على نفس الشخص واستقامته وتعلقه بدينه وعقيدته وإسلامه وطهارة قلبه، ويظهر على هندامه بالنظافة والأناقة والترتيب،

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٢.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٠٧، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

فالشخص المهذّب هو الشخص الناجح في سلوكه وهو صاحب التصرفات واللّياقات المتّزنة، وصاحب الشخصية القوية، والعقل الفطن والذي يعرف ماذا يريد وأين يذهب، وهو الذي يُعتمد عليه في المهمات، وتوكل إليه الأمور الصعبة، ويستطيع في المستقبل أن يؤسس أسرة جديدة يعتني بها كما اعتنى به أهله، هذا مضافاً الى ضمان آخرته عند الله تعالى لالتزامه بالتربية والدين وبأخلاق نبيه صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين عليهم السلام .

٣ ـ ومن آثار التربية ما يعود على العائلة ونجاحها وتكاتفها وتآزرها، فيحب الأخ أخاه ويدافع عن أخته ويعطف عليها ويشعر بالمسؤولية تجاههما، فيفكر بعائلته كما يفكر بنفسه بل أكثر، وهذا كله بسبب التربية الصالحة التي يتلقاها الولد منذ الصِّغر بل مُذْ كان في رحِم أُمه كما يأتي قريباً .

٤ ـ ومن آثار التربية ما يعود على المجتمع المحيط بالشخص، وبالدرجة الأولى الجيران هم أول من يستفيد من تربية هذا الطفل، سواء في حسن تعامله معهم ومساعدته لهم أم في رفع الأذية عنهم، أو في عدم إفساد أولادهم .

نعم إن آثار التربية الصالحة تعمّ المجتمع لأنّ نجاح المجتمع مرهون بنجاح أفراده ورقيّهم الى مستوى المسؤولية، وهو مشروط بتربية الأفراد وحسن تأديبهم وبتعلّمهم ثقافياً وأكاديمياً ضمن الأهداف الصالحة.

كيف تربي أولادك ؟

إن أهم شرط للتربية الصحيحة هي التربية القائمة على أساس التعقل والتدبر بالإضافة إلى الجانب العاطفي، فمن الضروري أن تكون إدارة الأُسرة قائمة على ذلك.

ومن الشروط أيضاً الإنصاف والعدل في التعاطي والتصرف مع أفراد الأُسرة جميعاً ومن قبل الجميع أيضاً قال رسول الله ﷺ: «**ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلاكان خراباً**»(١).

إنّ التعامل بالحكمة والتعقل والتدبر يؤدي الى إصلاح الشخص الذي يراد تربيته، وهو الأسلوب الناجح في كل المجتمعات والأزمنة كما تشهد له التجارب.

(وعلى الوالدين أنْ يضعوا للأطفال برنامجاً يوضّحون لهم المحبوب والمذموم من الأعمال، ويكون المدح أو التأنيب منصبّاً على العمل المرتكب، لكي نزرع في قلوبهم حبّ الأعمال الصالحة وبغض الأعمال غير الصالحة، وأن نعمل على تقوية الضمير في نفس الطفل في هذهِ المرحلة حتى يكون صمام أمانٍ له في المستقبل فنزرع في قلبه الخوف من ارتكاب العمل غير الصالح والشوق إلى العمل الصالح، بدلاً من الخوف من العقوبة أو الشوق إلى المدح والإطراء، وعلى الوالدين أن يجعلوا المدح أو التأنيب خالصاً من أجل تربية الأطفال، وان لا يعكسوا أوضاعهم النفسية في التربية، كمن يواجه مشكلة فيصّب غضبه على الطفل دون

---

(١) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي : ١ / ٣٨٢.

أي مبرّر)[١].

يقول (جان جاك روسو) عن طفله: «إن الغرض الأساسي من تربيته هو أن أعلمه كيف يشعر، ويحب الجمال في أشكاله، وأن أرسخ عواطفه وأذواقه، وأن أمنع شهواته من النزول إلى الخبيث والمرذول فإذا تم ذلك وجد طريقه إلى السعادة ممهداً»[٢].

وسنتكلم عن تربية الطفل في خمس مراحل، والكلام عن أسلوب الأب فقط:

١ ـ في مرحلة الحمل .

٢ ـ في سنّ الطفولة (دون ٧ سنوات) .

٣ ـ في سنّ اللعب (دون ١٢ سنة) .

٤ ـ في سنّ المراهقة (فوق ١٢ سنة) .

٥ ـ في سنّ النضوج (فوق ٢١ سنة) .

المرحلة الأولى:

مرحلة الحمل

إنّ لمرحلة الحمل تأثير مهم على تربية الأولاد، وبقدر ما يعتني الأب والأُم بهذه المرحلة بقدر ما يسهل الأمر في المراحل التالية، فما زُرع هنا يُحصد هناك .

إنّ نوعية الطعام وكيفيّته والتي يتناولها الرجل قبل أن يأتي أهله أو التي تأكلها المرأة في فترة الحمل لها الأثر البالغ على وضع الجنين وعلى صفاء وطهارة قلبه، فلا بدّ وأن يكون حلالاً اكتسبه من عمله المشروع، لا من هنا وهناك أو بأساليب خدّاعة أو كان مسروقاً أو مشبوهاً .

---

(١) تربية الطفل في الإسلام: ٦٥ ، مركز الرسالة، قم .

(٢) أدب الأطفال في صدر الإسلام الدكتور نجيب الكيلاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ سنة ١٤٠٦ هـ ـ ص٢٠.

وأن يكون طاهراً غير نجس.

وكذلك في استمرار الغذاء الروحي والمادّي للجنين، فبقدر ما تهتم المرأة الحامل بنفسها وبطفلها وبغذائها بقدر ما ينعكس ذلك علىٰ صفاء الطفل ونقائه وحُسن أخلاقه بل وحُسن بَشَرته وجماله.

إنّ كلّ ما يفعله الرجل قبل التقاء انعقاد النطفة، وكل ما تفعله المرأة في فترة حملها ـ كما يأتي ـ يؤثّر، فإن كان حُزناً ومقتاً وغضباً فسوف يكون الجنين سيىء الخلق.

وإن كان عبادة لله وطاعة له وللوالدين وللزوج كان عيشة هادئة بعيدة عن العصبيّة والشِّجَار ولعنة الشيطان، فسوف يتنعّم الطفل بالأخلاق الحسنة والسلوك المهذّب.

وهكذا بالنسبة للطعام الذي تتناوله المرأة في فترة حملها لابدّ وأن يكون طاهراً حلالاً وقد تناولته علىٰ طهارةٍ ووضوء، وبدأت به بتسمية الله تعالىٰ، فإنّ كلّ شيءٍ لا يُبدأ به «باسم الله» فهو أبتر، كما في الحديث[1]، وأن تتناول طعامها بحالة نفسيّة مطمئنّة ومزاج هادئ.

وكذلك على الزوج أن يعتني بطعامه قبل إتيان أهله وبالتسمية لله تعالىٰ والاستعاذة من الشيطان الرجيم، وأن يلتزم بما جاء في الشريعة في الليلة الأولىٰ وكذلك عليه أن يهيئ لزوجته الطعام الحلال الطاهر والعيشة الهنيئة البعيدة عن المشاكل، فإنّه يؤثّر علىٰ سلوك الطفل ومستقبله.

قال آية الله المظاهري: أمّا ما يجب أن تلتفت إليه النساء في الحمل، فهو مدّة الحمل، وهي التي يتقرّر فيها مصير الطفل، فعلىٰ الحامل أن تنتبه إلىٰ حالتها النفسيّة والتي تنعكس سلباً أو إيجاباً علىٰ الطفل في بطنها، وقد تعرّضنا في الصفحات الأولىٰ إلىٰ رواية نقلها لنا المرحوم الفيض في كتاب الصافي عن الإمام

---

(١) وسائل الشيعة: ٤/١١٩٤، ح ٩٠٣٥، ومنية المريد: ٢٧٤.

الصادق عليه السلام جاء بها الآية الشريفة: ﴿هو الذي يُصوّركم في الأرحام كيف يشاء﴾[١].

وجاء فيها أنّ المصير الذي على ناصية الأُمّ ينطبع هو الآخر علىٰ ناصية الطفل، فإن كان شقاءً خرج الطفل شقيّاً وإن كان سعادة جاء الطفل سعيداً!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**السعيد مَنْ سُعد في بطن أُمّه، والشقيّ مَنْ شُقي في بطن أُمّه**»[٢].

«والمقصود من الشقاء والسعادة في بطن الأم ، هو تلك الانعكاسات التي تطرأ على الجنين تأثراً بالحالة الصحية الجسدية والنفسية للأم ، فتولّد فيه استعداداً للشقاء أو للسعادة ، فبعض الأمراض الجسدية تؤثر على الجنين فيولد مصاباً ببعضها وتلازمه الإصابة إلى الكبر فتكون مصدر الشقاء له ، أو يكون سالماً من الأمراض فتكون السلامة ملازمة له ، وكذلك الحالة النفسية والعاطفية ، فالقلق أو الاطمئنان ، والاضطراب أو الاستقرار، والخوف وعدمه ، وغير ذلك يؤثر في الجنين ويبقى ملازماً له ما لم يتوفر له المحيط الاجتماعي المثالي لكي ينقذه من آثار الماضي أو يبعده عن السلامة في صحته الجسدية والنفسية»[٣].

قال أحّد علماء النفس: علىٰ الرجل حين يصل باب داره أن ينظّف حذاءه من الطين خارج المنزل، وعليه كذلك أن يُنظّف ما في داخله من الغيظ والغضب قبل ورود المنزل، حتّىٰ لا ينعكس شيء ممّا في الخارج علىٰ داخل المنزل، وكذا المرأة مسؤولة عن تهيئة نفسها لزوجها وإن لم تفعل فهي آثمة.

ويقول هذا العالم النفساني أيضاً: إنّ الزوجة ترمي بالأوساخ والأتربة، قبل مجئ زوجها إلىٰ البيت، لكي يبدو بيتها نظيفاً ومرتّباً، وأهم من ذلك أن ترمي ما في نفسها من أدران وهموم قبل مجيئه، حتّىٰ تكون علىٰ استعدادٍ كامل لإدامة الحياة

---

(١) سورة آل عمران: ٦ .

(٢) انظر كنز العمّال: ٤٩ .

(٣) تربية الطفل في الإسلام: ٣٧ ، مركز الرسالة، قم .

الزوجيّة بشكلها الطبيعي.

إنّ الآباء والأُمّهات كثيراً ما يهتمّون بلباس أبنائهم وبدروسهم، لكنّهم يتناسون تربيتهم تربيةً ساميةً تسعدهم.

أقول: سوف نكتفي بهذا القدر هنا وللبحث تتمة مهمة نفصّل جوانبها في الفصل التالي عند الكلام عن «الأُمومة الفاشلة» إن شاء الله تعالى.

المرحلة الثانية:

سنّ الطفولة

وتبدأ هذه المرحلة من الأشهر الأولى لولادة الولد والتي يحتاج فيها الطفل الى الرعاية الخاصة المملوءة بالحنان والعطف.

وبقدر ما يُظهر الوالدان الحبّ للأولاد بقدر ما يتعلّق الطفل بهما ممّا يساعد علىٰ التأثير عليه وتعويده علىٰ الطاعة وحسن الأدب، وعلىٰ العكس إذا شعر الأولاد بعدم حبّ الأهل لهم فإنّه يؤدّي لعصيان أوامرهم ممّا يخاف عليه أن يصبح في المستقبل شرّيراً.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**جاء رجل إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما قبّلت صبيّاً قط، فلمّا ولّىٰ قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا رجل عندي أنّه من أهل النار**»[١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أكثروا من قُبلة أولادكم، فإنّ لكم بكلّ قبلة درجة في الجنّة مسيرة خمسمائة عام**»[٢].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قبلة الولد رحمة وقُبلة المرأة شهوة، وقُبلة الوالدين، **عبادة وقُبلة الرجل أخاه دين، وزاد عنه الحسن البصري وقُبلة الإمام العادل طاعة**[٣].

فتقبيل الولد من الأُمور التي تظهر حبّ الوالدين للولد، وقال صلى الله عليه وآله: «**أحبّوا الصبيان وارحموهم**»[٤].

---

(١) الكافي: ٦/٥٠، ح٧.

(٢) روضة الواعظين: ٤٠٤.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢٠٦ ، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

(٤) بحار الأنوار: ١٠٤/٩٣.

وعليهما أيضاً إطعام الأولاد بأيديهما بين فترة وأُخرىٰ حتّىٰ لو تجاوزوا السابعة من العمر، حتّىٰ يستمر الشعور بالحبّ والاهتمام من قبل الوالدين.

وأيضاً مراقبة طعامهم وفراشهم وكيفيّة نومهم، وسلامة جسدهم وبنيانهم.

هذا وقال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله ليرحم العبد لشدّة حبّه لولده**»[1].

وقد ورد في الروايات أن الولد في هذه المرحلة سيد نفسه أو أنها مرحلة لعب ولهو بالنسبة إليه، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: **دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدب سبعاً وألزمه نفسك سبع سنين**.

وقال النبي الأعظم ﷺ: **الولد سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين**[2].

وهذا يرتبط فقط بالتربية والتأديب وإلا فالرعاية والحنان والعطف وإشعاره بالاهتمام به من قِبل الوالدين أمر لا حدّ له ولا فترة زمنية معينة له.

نعم هو سيد نفسه لكن هذا لا يمنع من منعه عن الأمور التي تضر به مادياً كشرب الدخان أو الجلوس فترة طويلة مع المدخنين أو التعرض لمكانٍ موبوء.

هذا إضافة للرعاية الصحية والبيئية الشاملة لطيلة هذه السنوات.

وكذلك حمايته من الأمور التي تضر به ضرراً معنوياً كأكل الطعام أو شرب الشراب النجس أو المحرم (المسروق أو السحت) أو الذي فيه شبهة، أو اصطحابه الى أماكن الفسق والفجور والتي يُعصى الله فيها.

كما وعلينا منعه عن الألعاب التي تؤذيه أو تترك أثراً سيئاً عليه أو الأفلام التلفزيونية التي تسبّب له عقدة نفسية أو خوفاً في الليل كأفلام الرعب، ولو كانت أفلاماً كرتونية.

وعلى الوالدين الاهتمام قليلاً بتعليم الأولاد حتى في السن المبكر، فقد أثبت

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٣١٠.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٠٧، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

«علم النفس الحديث» صحة هذا المنهج حيث إن الطفل في سنّ (٢ ـ ٣ سنوات، يكتسب كلام الطفل طابعاً مترابطاً ممّا يتيح له إمكانية التعبير عن فهمه لكثير من الأشياء والعلاقات... وفي نهاية السنة الثالثة يصبح الطفل قادراً على استخدام الكلام وفق قواعد نحوية ملحوظة وهذا يمكنه من صنع جمل أولية وصحيحة)[1].

(١) علم النفس التربوي ، للدكتور علي منصور ٢ : ١٣٢ ـ ١٤٠٧ هـ ، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٥٤، مركز الرسالة، قم ..

المرحلة الثالثة:

سنّ اللعب (دون ١٢ سنة)

هي مرحلة يميل فيها الولد إلى اللعب ويتأهل للتعلُّم والتأدُّب بما هو مناسب أو بالأسلوب التدريجي كما يستفاد من قول الإمام الصادق عليه السلام قال: **احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين ثم أدبه في الكتاب ست سنين ثم ضمه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك فإن قبل وصلح وإلا فخل عنه** [١].

ففرق عليه السلام بين الأدب الأول الذي اعتبره أدب القرآن الكريم، وبين الأدب الثاني الذي يلازم فيه أباه للتعلم والتأديب، ولعل المراد بالأدب الثاني إما خصوص التجارب أو الأعم من التربية والتجارب والخبرة التي يُكسبها الوالد من ملازمته ولده.

وفي مكارم الأخلاق عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدَّب سبعاً وألزمه نفسك سبع سنين** [٢].

نعم ليس معنى ذلك ترك الرعاية العاطفية بل الرحمة أمر مطلوب، لكن بشرط أن لا تؤدي الى دلال الطفل بنحوٍ يُهمل المطلوب منه أو يرتكب الممنوع عنه.

كما أن الرعاية الصحية والنظافة أمر ضروري للأولاد في هذه المرحلة كما ذكرنا في المرحلة السابقة.

وكذلك مسألة التعليم خاصة الأمور الفقهية التي عبر عنها الإمام الصادق

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٧ ، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد .

(٢) المصدر نفسه .

عليه السلام في الحديث المتقدم بأدب الكتاب: (أدبه في الكتاب ست سنين) فهذه المرحلة هي مرحلة تعويد الولد على الأمور الواجبة والمستحبة وإبعاده عن الأمور المحرّمة والمكروهة، نعم ليس دفعةً واحدة بل بأسلوب تدريجي هادىء غير مزعج ولا مملّ .

ولن ننسى تعليمه قراءة القرآن الكريم، خاصة إذا لم يكن من ضمن برامج المدارس .

وعلى الأب اصطحاب ولده الى المساجد للصلاة أو تعويده على ذلك تدريجياً، وإجلاسه في حلقات الدروس الدينية أو المحاضرات الثقافية العامة أو مجالس العزاء أو السَّفَر به الى المقامات الدينية خاصة الأضرحة المقدسة لأهل البيت عليهم السلام .

وأيضاً عليه متابعة أمور دراسته في المدارس العصرية ولو بواسطة والدته للتوفيق بين نشاط المدرسة ودور الأهل بنحوٍ مستمر.

أهمية اللعب وأثره على التربية

«اللعب استعداد فطري عند الطفل يتم من خلاله التخلّص من الطاقة الزائدة وهو مقدمة للعمل الجدّي الهادف ، وفيه يشعر الطفل بقدرته على التعامل مع الآخرين ، وبمقدرته اللغوية والعقلية والجسدية ، ومن خلاله يكتسب الطفل المعرفة الدقيقة بخصائص الأشياء التي تحيط به ، فللعب فوائد متعددة للطفل وهو ضروري للطفل في هذه المرحلة والمرحلة التي تليها ، فالطفل (يتعلم عن طريق اللعب عادات التحكم في الذات والتعاون والثقة بالنفس... والألعاب تضفي على نفسيته البهجة والسرور وتنمي مواهبه وقدرته على الخَلق والإبداع)[1].

ومن خلال اللعب يتحقق (النمو النفسي والعقلي والاجتماعي والانفعالي

---

(١) قاموس الطفل الطبّي : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

للطفل... ويتعلم الطفل من خلاله المعايير الاجتماعية ، وضبط الانفعالات والنظام والتعاون... ويُشبع حاجات الطفل مثل حب التملك... ويشعر الطفل بالمتعة ويعيش طفولته)[١].

فاللعب حاجة ضرورية للطفل ، فلا يمكن أن نتصور أو نرى طفلاً لا يلعب ، وحتى الأنبياء والصالحين فإنهم مرّوا في مرحلة اللعب وإن اختلفوا عن الآخرين في طريقة وأسلوب اللعب ، ولذا جاءت الروايات لتؤكد على إشباع هذه الحاجة قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : «دع ابنك يلعب سبع سنين...»[٢].[٣].

يقول الدكتور سوك : (إننا يجب أن نترك للأطفال إدارة شؤون ألعابهم حتى يستطيعوا التعلّم منها... لا بدّ أن نترك له قيادة الأمر بنفسه ، وأن يتبع ما يقوله له خياله ، بهذا فقط تصبح اللعبة مفيدة ، إنّها يجب ان تكون معلِّمة له ، ولا بدّ أن يخضعها لأفكاره ، وعندما يجد نفسه في حاجة إلى مساعدة أحد الوالدين لإدارة الكمّية من المشاكل الطارئة مع لعبته ، فلا بدّ أن يساعده الوالدان)[٤].

ويؤكد جميع علماء النفس والتربية على حرية الأطفال في اللعب (إذا حاول الأطفال رسم برنامج خاص لهم في أعمالهم فلا تمنعوهم من ذلك، لأنّ مواصلة تطبيق خطّة مرسومة دون وقوف العوائق في طريق ذلك عامل فعّال في تكون الشخصية عندهم)[٥].

(فالطفل أثناء لعبه يعبر عن مشكلاته وصراعاته التي يعاني منها ، ويسقط ما بنفسه من انفعالات تجاه الكبار على لعبه)[٦].

---

(١) العلاج النفسي الجماعي للأطفال، لكاميليا عبدالفتاح: ١٦٢ ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٥ م .

(٢) مكارم الأخلاق : ٢٢٢ .

(٣) تربية الطفل في الإسلام: ٧٤ ، مركز الرسالة، قم .

(٤) مشاكل الآباء : ١٠٦ .

(٥) الطفل بين الوراثة والتربية ٢ : ٦٤ ، عن كتاب نحن والأبناء ٥٦ .

(٦) قاموس الطفل الطبي : ٣١٧ .

المرحلة الرابعة:

سنّ المراهقة (فوق ١٢ سنة)

هي مرحلة حساسة لانتقال الطفل من مرحلة العطف واللعب الى مرحلة المراهقة وقرب النضوج، والتي يتغير فيها الشاب ليس على الصعيد النفسي بل حتى على الصعيد البدني، إذاً في هذه المرحلة أو هذا السن يدخل الشاب في مرحلة البلوغ الشرعي ووجوب التزامه بمجموعة من التكاليف الشرعية كالصلاة والصوم وشرائطهما من غسل الجنابة والتطهير من مجموعة من النجاسات، وحرمة السلام بالكفّ والنظر الى المرأة الأجنبية وحرمة الكذب والغيبة والنميمة، ووجوب ردّ السلام وطاعة الوالدين وصلة الرحم، ونحو ذلك من الأحكام الشرعية العامة والتي لها دخل في التربية والتعليم وبناء الشخصية لدى الشباب.

ولا بدّ من الإشارة الى أنّ التغيّر الفيسولوجي والذي يرافقه التغيّر النفسي ينعكس على نظرة المراهق الى الآخرين وبالأخص الى الجنس الآخر ولذا يميل في هذه المرحلة الى خوض التجارب والدخول في المغامرات وغيرها ...

وقد تعرضت بعض الروايات لهذه المرحلة ومن بعض جوانبها فقال الإمام الصادق عليه السلام في الحديث المتقدم: **احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين ثم أدبه في الكتاب ست سنين ثم ضمّه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك**[1].

فقوله عليه السلام: «**ثم ضمه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك**» وفي رواية: «دع ابنك

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٧، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

يلعب سبع سنين ويؤدب سبعاً وألزمه نفسك سبع سنين»[١].

وقال النبيﷺ: الولد سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين[٢].

فهذه مرحلة الأدب الثاني والرعاية الخاصة بالشاب.

والروايات كما ترى بين ما يأمر بضم الطفل الى والده أو ملازمته له، وبين اعتباره كوزير يُستشار.

وهذا معناه أن هذه المرحلة ليست مرحلة ذات برنامج واحد أو موحد، بل هي مرحلة صعبة يمرُّ بها المراهق مما يحتاج الى عناية خاصة تفرضها الظروف المستجدة والتي قد تختلف من شخص لآخر ومن بيئة إلى أخرى.

فالرعاية الصحية تبقى مطلوبة ولكن تكون من نوع خاص، وهي التوعية العلمية مع التماس الواقع بشيء من الدليل والبرهان، كما لو أظهرنا له مضار المشروبات الكحولية في كلام الأطباء وكذا ما قالوه عن لحم الخنزير وخاصة أنه سوف تتغير معاشرته والتي يميل بها الى صحبة الأكبر سنّاً.

وكذلك تعويده على الحفاظ على البيئة ونظافتها مع إرشاده الى مطالعة الكتب التي تعنى بذلك.

وأما الحب والعطف اللذان كان يحتاجهما في الصغر ففي هذه المرحلة يُترجمان على شكل اهتمام بشبابه وشؤونه وتلبية الحاجات التي يراها ضرورية.

ومن الأمور التي لا بدّ للأب أن يهتم بها هي تعليم ولده الأحكام الشرعية التي يبتلي بها ككيفية غسل الجنابة والوضوء الصحيح والصلاة الصحيحة وحرمة السلام بالكفّ على المرأة الأجنبية وحرمة العادة السريّة وغيرها من المحرمات التي يراها الأب موضع ابتلاء ولده.

قال رسول اللهﷺ: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين واضربوهم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

على تركها إذا بلغوا تسعاً»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «أدّب صغار بيتك بلسانك على الصلاة والطهور، فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً»[٢].

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام : (إنّه كان يأخذ من عنده الصبيان بأن يصلّوا الظهر والعصر في وقتٍ واحد والمغرب والعشاء في وقتٍ واحد ، فقيل له في ذلك ، فقال عليه السلام : «هو أخف عليهم وأجدر أن يسارعوا اليها ولا يضيّعوها ولا يناموا عنها ولا يشتغلوا» ، وكان لا يأخذهم بغير الصلاة المكتوبة ، ويقول : «إذا أطاقوا فلا تؤخرونها عن المكتوبة»[٣].

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «إنّا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم ، فإن كان إلى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقل ، فإذا غلبهم العطش والغرْث أفطروا حتى يتعودوا الصوم ويطيقوه فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع سنين بما أطاقوا من صيام فإذا غلبهم العطش أفطروا»[٤].

وعن سماعة قال : سألته عن الصبي متى يصوم ؟ قال الإمام الصادق عليه السلام : «إذا قوي على الصيّام»[٥].

وكذلك عليه تشجيعه على مواصلة قراءة القرآن والتعلّق بأهل البيت عليهم السلام وذلك باصطحابه الى الأماكن المقدّسة والمجالس الدينية .

أما التربية والأدب فهو أمر ضروري في هذه المرحلة كما كان في المرحلة

(١) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٤ .

(٢) تنبيه الخواطر ، لورّام بن أبي فراس : ٣٩٠ ـ دار التعارف بدون تاريخ .

(٣) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٤ .

(٤) الكافي ٤ : ١٢٤ ح ١ باب صوم الصبيان، والغرث هو الجوع كما في مجمع البحرين.

(٥) الكافي ٤ : ١٢٥ ح ٣ باب صوم الصبيان .

الثانية، فيستمر الأب بتأديبه على المروءة والأخلاق الفاضلة ومعاشرة الناس بالحُسنى، وتنبيهه عند الخطأ بالأسلوب الهادىء الذي تقدّم سابقاً أو بتأجيله الى وقت مناسب يستطيع فيه أن يشرح له أبعاد العمل القبيح الذي ارتكبه .

نعم الأسلوب كما ذكرنا سابقاً سيكون أسلوب تعامل الملوك مع الوزراء، أي على الأب مؤاخاة ولده في هذا السنّ، فعند تبيين أي حكم شرعي أو اجتماعي أو عند توجيه الملاحظات أو تصويب الأخطاء، عليه تمرير ذلك بالأسلوب المناسب الذي يحمل طابع المشورة لا الأمر والفرض والإلزام، لأن الشاب في هذه المرحلة يعتبر نفسه رجلاً مستقلاً صاحب رأي وجيه، فتتغيّر أفعاله وأقواله على هذا الأساس.

وليعلم أن هذه المرحلة الحسّاسة تختلف من شاب الى آخر شدة وضعفاً، فعلى الأب ملاحظة ذلك عند تعليم ولده أو تأديبه .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام : «... وإنّما قلب الحَدِث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته . فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبُّك ، لتستقبل بجدِّ رأيكَ من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته..» [١].

وقال عليه السلام : «علمّوا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم» [٢] .

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «اعملوا الخير وذكّروا به أهليكم وأدّبوهم على طاعة الله» [٣].

---

(١) نهج البلاغة ، تحقيق صبحي الصالح : ٥٤٦ .

(٢) كنز العمال ٢ : ٥٣٩ ح ٤٦٧٥ .

(٣) مستدرك الوسائل ٢ : ٣٦٢ .

المرحلة الخامسة:

سنّ النضوج (فوق ٢١ سنة)

هي المرحلة التي يدخل فيها الشاب بعد مرحلة المراهقة والتي يكون قد تعرض فيها الى تجارب إيجابية وسلبية، واستفاد من تربية والديه أو ساءت حالته أكثر نتيجة إهمالهم .

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة وعي وإدراك لحقيقة الكثير من القضايا التي كانت تجول في فكره في المراحل السابقة، ووجد عليها الأجوبة المناسبة التي لم يستطع أن يدركها سابقاً أو استحى من السؤال عنها .

وفي حياة الشاب المتعلم والجامعي هنا محطة تعليمية مهمة تحدِّد مستقبله فهو في هذا السن أو قبله سوف يختار المنهج الجامعي لدراسته ويحدِّد نوع التخصص الذي سوف يلازمه بقية حياته، ويدخل من خلاله الى المعترك الاجتماعي والمعيشي .

وهنا للأهل وللقيِّمين على الشأن الاجتماعي دورٌ مهم في انتخاب التخصص المناسب لهذا الشاب وذلك بملاحظة أمرين:

١ ـ وضع الشخص ورغبته في تخصّص معين .

٢ ـ حاجة المجتمع لبعض التخصُّصات .

ويمكن مراعاة الأمرين معاً وإعطاء الأولوية للثاني لأن الشباب في هذه الأيام قد يختار التخصصات العصرية نتيجة التقدم العلمي وانبهارهم بالغرب أو نتيجة تأثرهم بوضع عاطفي عاشوه في الماضي أو نتيجة تضيحة أحد الأبناء لتأمين بقية نفقات العائلة، كالتخصصات الالكترونية أو الكمبيوترية أو كالتخصصات الاقتصادية .

أما ما يحتاجه المجتمع كـالتخصصات المـهمة الطـبيّة والمـتعدد فـي هـذه الأزمنة فإن الشباب يستبعدونها من فكرهم، فعلى الأهل وذوي التأثير ارشادهم الى مثل هذه التخصصات المهمة والمصيرية أحياناً.

كما ويدخل الشاب في هذه المرحلة الى المـعترك الاجـتماعي أو السـياسي ويتعرّف على بعض الأفكار الجديدة مما يكسبه خبرة وعلماً جديداً، وهو أمر مهم لكن ليس للأب الكثير من القدرة والفُرَص على التأثير على ولده خاصة إذا لم يكن الأب في المعترك الاجتماعي أو السياسي، لكن عليه توعية الولد على ما لديه مـن خـبرة وتـجربة فـيوصيه بأن لا يسـتعجل الأمـور فـي اخـتيار التـيار أو النـهج الاجتماعي الذي يريد أن يسلكه، لأن الشاب عادة ما يستعجل ذلك لاندفاعه ورغبته في الخدمة أو التطوع.

أما من ناحية تعامل الأب مع هذا الشاب فهي مرحلة المؤاخاة مما لا شك فيه والمعبر عنها «بـالوزارة» فـالأسلوب لا بـدّ وأن يكـون حَـذِراً مـناسباً بـالحُسنى والكلمة الطيبة كما تقدم ذكره سابقاً.

تنبيه:

هذا الكلام وإن كان في غالبيته يرتبط بالشباب المتعلمين والجامعيين لتوفّر فرص الاختصاصات وتنوع الاختلاطات، أما الشباب الذين أخـذوا جـانب المـهن الحرة أو الزراعية أو التجارية أو الحرفية، فيختلف ظرفهم إلى حدٍّ مـا، ولذا قـد لا يختلف معهم الأسلوب لكن يتغير المنطق والمنهج ولكل مقام مقال.

آداب تتعلق بالحامل والمولود

ووردت عدة روايات تتعلق بالمراحل المتقدمة لكن تنحو منحًى آخر، منها ما يتعلق بالمستحبات ومنها بالواجبات ومنها بالآداب العامة نذكرها لما فيها من فوائد جمّة:

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من ولد له مولود فليؤذن في أُذنه اليمنى بأذان الصلاة ، وليقم في اليسرى فإنّها عصمة من الشيطان الرجيم**»[١].

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ضمن وصايا عديدة: «**يا علي إذا ولد لك غلام أو جارية ، فأذّن في أُذنه اليمنى وأقم في اليسرى فإنّه لا يضرّه الشيطان أبداً**» [٢].

وقد منع رسول الله صلى الله عليه وآله الحامل في أُسبوعها الأول من (الألبان والخلّ والكزبرة والتفاح الحامض) ، لتأثير هذه المواد على تأخر الإنجاب واضطرابه وعسر الولادة ، والإصابة ببعض الأمراض [٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أطعموا نساءكم الحوامل اللبان ، فإنّه يزيد في عقل الصبي» [٤].

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام : «أطعموا حبالاكم اللبان ، فإن يكن

---

(١) الكافي : ٦ / ٢٤ ح ٦ باب ما يفعل بالمولود .
(٢) تحف العقول : ١٧ .
(٣) مكارم الأخلاق : ٢٠٩ .
(٤) مكارم الأخلاق : ١٩٤ .

في بطنهنَّ غلام خرج ذكي القلب عالماً شجاعاً ، وإن يكن جارية حسن خَلقها وخُلقها وعظمت عجيزتها وحظيت عند زوجها»[١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر ، فإن ولدها يكون حليماً نقياً»[٢].

وقال الطبرسي في الآداب الدينية: إذا قربت ولادة المرأة فلتخل بها النساء ليولين أمرها فإذا ولدت المولود فمن السُّنّة أن يغسّل ويؤذّن في أُذنه اليُمنى ويقام في أُذنه اليسرى ويحنَّك بماء الفرات إن وجد فإن لم يوجد فبماء عذْب ويحنَّك أيضاً بتربة الحسين عليه السلام[٣].

ومن حق الوالد أن يسميه ويحسن اسمه، وأحسن الأسماء أسماء الأنبياء عليهم السلام ولا تسمِّه حكماً ولا حكيماً ولا خالداً ولا مالكاً ولا حارثاً ولا تكنِّهِ أبا القاسم إذا كان اسمه محمداً[٤].

وإذا كان يوم السابع فعق عنه بكبش إن كان ذكراً وإن كان أنثى بنعجة، وهي سنّة مؤكدة لا تقوم مقامها الصَّدَقة بثمنها وتعطى القابلة رُبْع العقيقة، ويستحب أن يطبخ اللحم ويُدعى عليه قوم من المؤمنين وكلما كثر عددهم كان أفضل فإن لم يفعل ذلك فرّق اللحم على الفقراء فإنه أيضاً يجزي، ولا ينبغي أن يكسر العظم بل تفصل الأعضاء ولا ينبغي أن يأكل الأبوان من العقيقة البتة[٥].

وينبغي أن يحلق رأس المولود في اليوم السابع ويتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة ويكون ذلك مع العقيقة في موضع واحد وإذا مضت سبعة أيام فليس عليه

(١) مكارم الأخلاق : ١٩٤ .
(٢) مكارم الأخلاق : ١٦٩ .
(٣) انظر: الكافي: ٦ / ٢٤، ح ٣ و ٤، تهذيب الأحكام : ٧ / ٤٣٦، ح ١٧٣٩، و ١٧٤٠.
(٤) انظر: تهذيب الأحكام: ٧ / ٤٣٧، ح ١٧٤٥، و ح ١٧٥٣.
(٥) انظر: الكافي: ٦ / ٢٩، ح ١٠ ـ ١٢.

حلق، ويقول عند ذبح العقيقة: «بسم الله والحمد لله ربّ العالمين» وينبغي أن يقول: «آمنا بالله وصدقنا رسول الله ﷺ اللهم اخسأ عنا الشيطان الرجيم والحمد لله رب العالمين»(١).

وينبغي أن يثقب أذنا الصبي بخلاف اليهود.

وأما الختان فمن السنن اللازمة في الرجال ومستحبة في النساء ويقول عند الختان: «اللهم إن هذه [سنتك و] سنة نبيك واتّباع (أمنائك وكتبك)(٢) وعلى مشيئتك وإرادتك وقضائك لأمر أردته وقضاء حتمته فأذقته حر الحديد في ختانه لأمر أنت أعرف به [منّا] اللهم وطهّره من الذنوب وزد في عمره وادفع الآفات عن بدنه والأوجاع عن جسده وزده من الغنى وادفع عنه الفقر فإنك تعلم ولا نعلم»(٣).

فمن لم يقلها عند ختان ولده فليقلها من قبل أن يبلغ الحلم، فمن قالها كفي حرّ الحديد من قتل وغيره(٤).

وعن عبد الله بن فضالة عن أبي عبد الله أو أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول إذا بلغ الغلام ثلاث سنين فقل له سبع مرات (قل لا إله إلا الله)، ثم يترك حتى يبلغ ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرين يوماً ثم يقال له قل: محمد رسول الله، سبع مرات، ويترك حتى يتم له أربع سنين ثم يقال له سبع مرات قل: صلى الله على محمد وآل محمد، ويترك حتى يتم له خمس سنين ثم يقال له: أيهما يمينك وأيهما شمالك؟ فإذا عرف ذلك حوّل وجهه إلى القبلة ويقال له اسجد، ثم يترك حتى يتم له ست سنين فإذا تم له ست سنين قيل له: صلِّ وعُلم الركوع والسجود حتى يتم له سبع سنين،

---

(١) انظر: الكافي: ٦ / ٣١، ح ٥، من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٤٨٧، ح ٤٧٢٣، بتفاوت.

(٢) في بعض المصادر: (منالك ولنبيك)، وفي بعضها: (لمثالك وكتبك).

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٤٨٨، ح ٤٧٢٦، مكارم الأخلاق: ٢٢٩، وسائل الشيعة: ٢١ / ٤٤٤، ح ٢٧٥٣٨.

(٤) انظر: من لا يحضره الفقيه: ١ / ٢٨١، ح ٨٦٣، أمالي الطوسي: ٤٣٣، ح / ٩٧٢.

فإذا تم له سبع سنين قيل له: اغسل وجهك وكفيك، فإذا غسلهما قيل له: صل ثم يُترك حتى يتم له تسع سنين، فإذا تمت له علم الوضوء وضُرِب عليه وأُمِر بالصلاة وضُرِب عليها، فإذا تعلم الوضوء والصلاة غفر الله لوالديه إن شاء الله [1].

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠ ، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

النوع الثاني:

أسلوب الأب مع أولاده الإناث

إن ما ذكرناه في أسلوب الآباء من الذكور من ناحية الخلفية يجري هنا بعينه، وكذلك الأساليب السبعة المذكورة أعلاه الناتجة عن تصرف الآباء فإنها تجري هنا ولا داعي لإعادتها، نعم يختلف الكلام هنا لبعض الخصوصيات الموجودة في الفتيات والتي سوف تؤثر حتماً على الأسلوب.

إضافة الى أن من عادة البنات الخجل والحياء كما أن العاطفة عندهن أكبر، وعادة قربها من الأُم أكثر من الأب، وهذه أمور سوف تؤثر أيضاً على الأسلوب المتبع معهنّ ـ أحياناً سلباً وأحياناً إيجاباً ـ وسوف نتعرض لبعضها إن شاء الله ضمن أمثلة محددة:

وسوف نقسّم مرحلة تعامل وتعاطي الأب مع بناته الى مرحلتين:

١ ـ في السنّ المبكر .

٢ ـ في سن المراهقة .

أما المرحلة الأولى:

وهو السن الذي تحتاج فيه البنت الى العطف والحنان والتصابي لها باللعب والى الرعاية الصحية والبيئية والمدرسية.

وسوف يأتي الكلام ـ في الأمر الثاني من الأمور التي تؤدي الى فشل الأُبوة ـ عن كل هذه الأمور بالتفصيل فلا داعي لذكرها هنا لخصوص البنات، نعم فيما

يخص الحنان والعطف تتوقع البنت من والديها وخاصة من الأب العطف الزائد عن الشباب، وهذه لخصوصية في الإناث مع جانب صغير من الغنج والدلال في هذا السن المبكر.

ومن هنا لا بأس بتحقيق رغبة البنات في هذا الدلال بترجمته بالعطف والحنان المدروسين استجابة لرغبتها، أو بتخصيصها بهدية معينة بين فترة وأُخرى، بشرط أن لا يثير ذلك حساسية المشاعر لدى بقية الإخوة مع مراعاة مبدأ الإنصاف والعدل داخل الأسرة.

أما المرحلة الثانية:

وهي بلوغ الفتيات سنّ التاسعة الى السابعة عشرة، وهنا الكلام تارة عن مرحلة البلوغ وأخرى عن مرحلة النضوج:

أما مرحلة البلوغ فيكفي من قبل الأب إشعار البنت حين البلوغ الشرعي أنها دخلت في مرحلة جديدة وأنه سوف يختلف التعامل معها عما كانت عليه، مع التأكيد على بقاء الحنان والعطف تجاهها إلا أنه سوف يكون مصحوباً في هذه المرحلة بالحجة والتأنيب المفيد.

نعم للأُم دور كبير وحساس في هذه المرحلة (البلوغ) كما سوف نفصله في الفصل الرابع.

أما مرحلة النضوج وهو بعد سنّ الثالثة عشرة عند بعض الفتيات أو بعد سن الرابعة عشرة عند البعض الأخر، فهنا تحتاج البنت الى مراقبة حثيثة من قبل الأب ولو من قبل الأُم بالأصالة والوكالة، خاصة فيما يتعلق بخروجها خارج المنزل وجلوسها مع صديقاتها ونوع المدرسة التي توضع فيها، والى مراقبة جلوسها على شاشة التلفزة وصفحات الأنترنت.

أما خروجها من المنزل:

فعلى الأب معرفة كيفية خروج البنات الناضجات والى أين ومع مَن؟ حتى لو كان في النهار، وإذا استطاع منعها ليلاً فهو أفضل إلاّ للضّرورة، هذا إذا كان الخروج منفرداً، أما مع أمها أو عماتها أو خالاتها أو محارمها فلا بأس به.

وليفهمها أن المنع ليس لعدم الثقة بها بل حفاظاً على سمعتها وعفّتها وأن الناس لا ترحم الفتاة التي تخرج وحيدة كما تفعل اللّواتي يتمشَّيْنَ على الطرقات (الكزدورة)، وعند انتشار دعاية على فتاة ما فإنها تلحقها طيلة حياتها، وليضرب لها مثلاً عند الحوار معها منفردة أو ضمن جلسة عائلية وهو الأفضل عن سمعة بعض الفتيات التي لم تكن تبالي في أي وقت خرجت ومع مَن؟؛ وكيف أصبحت منبوذة في المجتمع وقلّت لها فرص العمل الناجح والزواج المشرِّف؟

نَعم على الأب وكذا الأُم التعويض على البنات في مسألة الحد من الخروج، بأن ينظم لهنّ الخروج مع جميع أفراد العائلة في نزهة أو الى زيارة الأرحام بين فترة وأُخرى، كما سوف نتعرض لذلك لاحقاً.

أما جلوسها مع صديقاتها:

فأيضاً على الأب أن يعلم عند خروج البنت من المنزل أو عند ذهابها الى المدرسة أو عند مرافقة صديقاتها الى نزهة أو رحلة، مع مَنْ تجلس هل مع الفتيات أو مع الشباب ؟.

وعند معرفته بخروجها مع مَن لا يحب أو لا يناسب وضعها الشرعي أو الاجتماعي، فعليه دراسة الحلول لذلك ولا يستعمل أسلوب الضرب ولا التهديد بمنعها من الخروج مباشرة، بل عليه توعيتها وتعريفها سلبيات الخروج غير المشرف أو الذي فيه شبهة على البنات كما ذكرنا في الأساليب الناجحة.

وليتساعد الأب مع الأُم في ذلك ولكن في أوقاتٍ مختلفة لكي لا تفهم البنت أنهما متفقان عليها فيضعف التأثُّر لديها.

وإذا كان الأمر مهماً أو كانت المشكلة كبيرة ولم تقتنع البنت منهما، فلا بأس بالاستعانة ببعض صديقات البنت الواعين والمحافظين على السمعة والشرف، فتذهب الأُم سراً وتتكلم معهن من دون معرفة البنت وترشدهن الى فتح الموضوع مع ابنتها لتبيين خطورة ما قامت به على مستقبلها، وذلك بأسلوب مناسب وحنكة ومن دون إخبارها بأن أُمها تحدثت معهنّ في ذلك، فإن ذلك أقرب وقعاً على البنت لأن البنت عادة تسمع من صديقاتها أكثر من غيرهن.

وإذا احتاج الأمر فليستعن الأهل بالأرحام فإن البنات عادة ما يكون لديهن ميل وأُنس الى بعض العمات أو الخالات أو بناتهن فإن فعل ذلك يفيد في إقناعها.

ولتكن هذه المراقبة سرية الى حدٍّ ما من قبل الأب ومن دون معرفة إخوتها وأخواتها بل وبالتشاور مع أمها، كما عليه أن يكرر هذه المراقبة بين فترة وأخرى لأن هذا السن للفتيات سنٌّ حساس وحذر وخطير، وما ذكرناه هو من باب استقراء الاحتمالات القريبة والناجحة في إيصال الفتاة الى الهدف المرجو، ولا ندعي أن هذا هو كل الحلول ولعله يوجد من اساليب الإقناع ما يتناسب مع هذه الفتاة دون تلك.

أما نوع المدرسة التي توضع فيها:

فهنا ولأن مجتمعاتنا غير إسلامية بالكامل فمدارسنا بعضها لديه منهج إسلامي كامل وبعضها جزئي وبعضها علماني وبعضها على غير الديانة الإسلامية، فلا بدّ للأب من مراقبة الوضع بدقة وتحمُّل المسؤولية كاملة، ونقصد هنا بالمراقبة الأخلاقية بالأخص[1]، وأمّا في المدارس الدينية أو ذات المنهج الديني سوف تكون المراقبة أقل عناءً بالجملة منها في المدارس العلمانية أو غير

---

(١) أما المراقبة الدراسية فهي مطلوبة للجميع ومن الجميع.

الإسلامية، ولسنا بصدد القول بأنّ المدارس غير الإسلامية فيها الكثير من الإباحيات، كما لا نضمن كل من يجلس على المقاعد الدراسية في المدارس الإسلامية، لكن نحن نتكلم عن الفتيات وإرشادهن الى الآداب الإسلامية وثقافة أهل البيت عليهم السلام والالتزام بالحد الأدنى من الواجبات الإسلامية، ومما لا شك فيه أن في المدارس غير الإسلامية أو الإسلامية ذات الطابع العلماني يوجد بعض العادات والتقاليد المنافية للمروءة وللعفة، ولا أقل أنه لا يوجد فيها حافز ديني مشجع للفتيات على الالتزام به، بل نجد في بعض المدارس ذات المناهج التعليمية والتي تأخذ طابعاً منافياً للأخلاق كنشر الصور غير المحتشمة في بعض الكتب، أو نجد جوّاً سائداً في صفوف المدرسة المختلفة حيث تجلس البنات الى جانب الشباب على المقعد الواحد وكذلك حالة الاختلاط في الرحلات أو العمل الفنيّ والمسرحي والى غير ذلك مما فيه عدة محاذير أخلاقية وسلوكية.

فعلى الأب تكليفه الشرعي ـ والى جانب الأُم كما سيأتي ـ من مراقبة بناته بل إذا علم بعدم استطاعته منع ابنته عن المشاركة في المشتبهات في الحد الأقل ناهيك عن ارتكاب المحرمات ـ مما يهدد أخلاقها وعفّتها ـ فيجب عليه إخراجها من هذه المدارس التي لا تراعي الآداب العامة والأمور الأخلاقية حتى لو كانت المدارس شبه إسلامية، بل قد يضطر إلى هذا الإجراء حتى في المدارس الإسلامية.

وقد أثبتت التجربة أن سنة واحدة في المدارس التي لا يوجد فيها رقابة أخلاقية للفتيات ـ حتى في الوقت القصير في داخل المدرسة كفترة الفرصة الصباحية ـ أن هذه المدة كافية في إفساد أخلاق البنت وفي ترك الأثر السيىء على حياتها حتى بعد زواجها، خاصة في السن الحساس للفتيات وهو ١٦ و١٧ عشر.

ومهما كانت المدرسة تعطي للفتيات من العلوم العصرية والجامعية فإنها لا تساوي شيئاً أمام شرفها وعفّتها، وعلى الأب كربِّ أسرة المسؤولية الأولى في ذلك، إضافة الى إدارة المدرسة.

إلا أنّا ما ذكرناه ليس قاعدة يبنى عليها ولذا يوجد من الفتيات وهنَّ كثيرات في مثل هكذا مدارس من ذوات الخلق الحسن والآداب والعفة، لأنّ وعيهنّ ووعي أهلهنَّ كان أقوى من عوامل الإفساد إلا أنه من حام حول الحمى أو شك أن يقع فيها، ولا أقلّ من أنّ هذا الصنف الناجح في نفسه سوف يعاني الكثير من الإحراجات في حين أنّ الاحتياط هو سبيل النجاة ولذا من الأفضل اختيار المدرسة اللائقة بعفة الفتاة ولياقتها.

نعم إنّ هذا الكلام كله من أجل الحفاظ على بناتنا في المجتمعات غير الإسلامية، ولسنا بصدد تصنيف الفتيات اللاتي يدرسن في مثل هذه المدارس ولا يسعنا إلا أن نقول خيراً في أخواتنا وبناتنا حتى لو درسن في المدارس المختلفة كما في الجامعات، وكل مرادنا هو التوجيه الى المصالح المضمونة النتائج بالنسبة الى الفتاة ومستقبلها مع الإمكان، لأن للنفس حدودها في القوة والشجاعة والصبر والتحمُّل، والله هو المستعان على عواقب الأمور.

أما جلوسها على شاشة التلفزة وصفحات الأنترنت:

وهو الأخطر في هذه الأزمنة، حيث إن هذه الشاشات المتنوعة والصفحات المختلفة كما فيها المعلومات العلمية المفيدة، فيها أيضاً المفاسد الأخلاقية والشبهات العقائدية بل والمشاهد الإباحية، فإذا كنا لا ندري عن بناتنا وأولادنا الى أين يدخلون وماذا يشاهدون فكيف نضمن بقاء أخلاقهم الحسنة وآدابهم الفاضلة؟

هذا مضافاً الى أن الشاشات وصفحات الأنترنت تأخذ من الإنسان الوقت الكثير، فإذا لم يقدر على ضبط نفسه ولم يلتزم ببرنامج محدد فقد تكون على حساب الأولويات ونتيجتها خسارة الأهداف المرجوة والندامة.

فعلى الأب وضع برنامج مدروس ـ وبمساعدة الأُم ـ لبناته وأولاده للوقت

الذي سوف يقضونه على هذه الشاشات والصفحات مع توعيتهم من الدخول الى المواقع غير الأخلاقية وتحذيرهم من عواقبها على أنفسهم والعائلة والمجتمع، وأنهم سوف يحاسبون على أي تقصير في ذلك.

ثم يراقب من بعيد وبسرية تامة استخدام بناته وأولاده لهذه الشاشات والصفحات، مستعيناً بالأم أو الأصدقاء أو بقية أبنائه بحسب الحاجة والاقتضاء.

سلبيات التلفاز والكومبيوتر والأنترنت

ولما انجر بنا الكلام عن مراقبة الأولاد وخاصة في مرحلة النضوج، فلا بأس بذكر سلبيات شاشات التلفاز السامة التي لها الأثر السلبي الكبير على الناضجين، وإنما تبرز السلبيات الخطيرة لاستعمال التلفاز أو الكمبيوتر أو شبكات الأنترنت عند عدم رقابة الأهل للأولاد أثناء جلوسهم أمام هذه الشاشات.

قال دكتور جواد مطوق باحث أكاديمي ومعدّ برامج : التطورات التكنولوجية دخلت في جميع نواحي حياتنا وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا فلا يمكن أن نتصور كيف يمكن أن نعيش بدون الاستخدامات الحديثة للتكنولوجيا.

فهي في البيت وفي المكتب وفي الشارع، إذن فهي ملازمة لنا في كل خطوة نخطوها، لقد أصبحنا جميعاً نتعامل مع التكنولوجيا بشكل مستمر وكثيف، بدأنا نستخدم الكمبيوتر والانترنت والفضائيات والتلفون الجوال، والتكنولوجيا الرقمية الحديثة التي بدأت تفرض وجودها علينا بطبيعة الحال بدأنا نحصل على الفوائد من التكنولوجيا الحديثة، الكمبيوتر والانترنت من الوسائل التي غزت حياتنا وأصبحنا نتعامل معها بشكل طبيعي، الأطفال والصغار سنّاً بطبيعة الحال هم كذلك ليسوا ببعيدين عن الاستخدامات الحديثة والمتعددة لهذه الأجهزة فهي دخلت عالم وخيال الأطفال وبدأت تؤثر بشكل كبير على شخصية الطفل لما تحويه من وسائل تسلية ولهو وثقافة وأدوات متعة، فهي تخدم الطفل وتساهم في رفع مستواه الثقافي والعلمي وإدراكه للأمور، لكنّ المشكلة تبدأ من عدم توجيه وتوعية الطفل بشكل صحيح، ويؤدي بدون شك إلى الاستخدام السيّئ للتكنولوجيا، وفي النهاية يؤثر على شخصية وسلوك الطفل وربما تصبح

التكنولوجيا هذه أداة ضارة على عكس ما هو مطلوب منها.

ويؤكد أن غياب الوعي الأسري والرقابة المطلوبة من قبل الأسرة تجعل عملية السيطرة على الطفل صعبة جداً، وإن ترك الطفل للمربية الأجنبية وللخادمة في رعايته وتوجيهه ووجود الكثير من مقاهي الانترنت التي يمكن أن يدخلها الطفل وبعض الصغار سناً، وغياب الرقابة الصارمة من أخطر الأمور التي بدأت تترك بصماتها واضحة على العائلات والأسر، وبدأنا نسمع الكثير من التجاوزات والانحرافات والأخبار السيئة التي بدأت تقلق علماء المجتمع والنفس على حد سواء، لما لهذه الظاهرة من انعكاسات سيئة على المجتمع ومستقبل الأجيال القادمة، نقطة أخرى يجب الإشارة إليها وهي مسألة انتشار الفضائيات وغياب البرامج الموجهة للطفل خصوصاً في الفضائيات العربية، واقتصار عرضها لبرامج الأطفال المعدة والمهيأة خصيصاً لمجتمعات غير مجتمعاتنا وإلى أطفال غير أطفالنا لما يحويه بعضها من مواضيع فيها الكثير من الإساءة إلى عاداتنا وتقاليدنا العربية والإسلامية وإلى قيمنا الأصيلة، وأنه ترك الطفل على هواه بدون توجيه ورعاية من قبل الأسرة وغياب البديل من البرامج الإعلامية الهادفة والتي تخاطب عالم وعقل ووجدان الطفل العربي مما يساعد بدون شك على أن تكون التكنولوجيا الحديثة هذه نقمة وليست نعمة لأطفالنا، إن الاهتمام من قبل الأسرة والمجتمع والأجهزة الإعلامية على اختلاف أنواعها ووسائلها بالطفل وبعالم الطفل يساعد بدون شك على أن تكون التكنولوجيا الحديثة أداة يمكن أن تكون في مصلحة وفائدة أطفالنا الذين هم بدون شك مستقبل الأمة[١].

الرسوم المتحركة وأثرها السيىء

قالت الباحثة بدرية أحمد : نلاحظ أن التلفاز يحاول جذب الصغار إلى عالم

---

(١) مقالة للدكتور جواد مطوق باحث أكاديمي ومعد برامج، عن بعض مواقع الأنترنت.

الرسوم المتحركة وهذه الرسوم تخلق عوالم مثيرة صاخبة من مخلوقات وحركات غير منطقية تتحدى كل قوانين الحركة والزمن والحياة، ومعظم هذه الرسوم تكون مستوردة من الدول الأجنبية، والطفل مخلوق بريء يقتبس كل ما يشاهده بعفوية من قيم وعادات ومضامين فهذه الفضائيات تقدم برامج الرسوم المتحركة لكل أطفال العالم وفق منظورها الخاص ولا يمكن للطفل العربي أن يتقبل كل ما يشاهده على الفضائيات فلكل مجتمع عاداته وتقاليده يتربى وسطها الأطفال ومن الصعب تغيير هذه القيم بعرض رسائل معينة في برنامج الرسوم المتحركة في الفضائيات[١].

سلبيات المقاهي

قال الدكتور صالح بن رميح الرميح أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب، في جامعة الملك سعود بالرياض: الآثار السلبية لارتياد هؤلاء الشباب تلك المقاهي كالتالي:

* إنفاق الوقت الطويل أمام شبكة الانترنت والإبحار من موقع إلى آخر مما يتسبب في إهمال الشباب المذاكرة وقضاء لوازم أسرتهم.

* الانبهار بما يعرضه الغرب من أفكار ومعلومات وموضات وما ينشأ عنها من تطبع بطباعهم والتأثر بأخلاقهم.

* هدر المال خاصة إذا استمر ساعات طويلة.

* إقامة علاقات مشبوهة مع الجنس الآخر مما قد يؤدي إلى انعزال الفرد عن الآخرين كذلك النظر إلى ما حرمه الله.

* التعود على الاطلاع على المنكر وعدم إنكاره من خلال المواد المختلفة.

---

(١) مقالة لبدرية أحمد، عن بعض مواقع الأنترنت.

* هناك أيضاً آثار صحية سلبية على العينين والظهر»(١).

ضرورة رقابة الأطفال وهم على الانترنت

قال الدكتور عبدالله بن سلطان السبيعي أستاذ الطب النفسي المشارك بكلية الطب جامعة الملك سعود رئيس المجلس السعودي للطب النفسي:

إن الانترنت مصدر ضخم للمعلومات غثها وسمينها ولا بأس من ارتياد الأطفال لمقاهي الانترنت وتصفح المواقع التي تلائم مداركهم ولا تتعارض مع ديننا وعاداتنا وتقاليدنا، لذلك فإن وجود رقيب على الأطفال أمر ضروري ولعل الدولة قد أحسنت في عمل بعض الحواجز الحائلة دون الدخول للمواقع المخلة والمنافية لديننا، والواقع إن هذه الحواجز لم توضع للأطفال ولكن للكثير من الكبار الذين تصغر عقولهم وتؤجج عواطفهم وشهواتهم عند التعرض لأقل المغريات.

وإن عدم الإشراف على الأطفال عند إبحارهم في مجاهل الانترنت لا بدّ أن يترك أثراً ويحدث تغييراً في أفكارهم ينعكس على سلوكهم وعلاقاتهم، هؤلاء هم أطفال اليوم شباب الغد القريب ورجال الغد الأبعد المنظور لا بدّ أن تصطبغ ثقافتهم ومفاهيمهم، والانترنت في مجمله ثقافة غربية، ومن طبائع الأمور وسنة الحياة أن يقلد الضعيف القوي ونحن والشكوى لله شعوب تعاني من الضعف الثقافي والنفسي والشعور بالهزيمة ولا بدّ أن نكتسب من ثقافة الغرب التي اكتسحت كل الشعوب إلا من رحم الله، هذا التغير العقائدي والفكري والسلوكي لا بدّ وأن ينعكس على علاقاتنا كأفراد وأسر.

وعن البديل الذي يمكن أن نوفره لأطفالنا فإن بديل الانترنت هو الانترنت نفسه لكن نوفر فيه مواقع عربية إسلامية مثيرة وجذابة مصممة بعناية تحتوي المفيد والجديد في نفس الوقت، ولا بدّ أن نجاري العصر ونركب قارب النجاة

---

(١) مقالة تحقيقية لرياض العسافي، عن بعض مواقع الأنترنت.

باستعمال سلاح العصرنة والتقدم».

«هناك الكثير من الأساليب التي تهيأ لحماية الأطفال من التعرض للمواقع الإباحية والخلاعية وغيرها من المواقع غير المناسبة على الانترنت.

ومن هذه الأساليب التعرّف على البرامج التي تتيح رقابة أبوية على الانترنت واستخدامها لمنع برامج ومواقع معينة.

بإمكانك أيضاً استخدام خيار تخزين ملف بعناوين المواقع التي تُزار على الانترنت وتحقق منها مرة أسبوعياً على الأقل. تأكد من معرفتك للمواقع التي يدخلها أطفالك والوقت الذي يقضونه فيها.

وبعبارة أخرى، هيّىء جهازك بطريقة تسمح لأطفالك باستخدام الانترنت كمصدر للتعلم وليس كجهاز للتفاعل. وتذكّر أن قيمة الانترنت كلها تكمن في الجانب التعليمي الثقافي وليس في الجوانب الأخرى.

إذا لم تكن لديك معرفة بكيفية تهيئة جهازك وضبطه لهذا الغرض، اتصل بالشركة المزوّدة بالخدمة لتطلب منها أن تشرح لك ذلك خطوة خطوة»[١].

---

(١) مقالة لرياض العسافي ، عن بعض مواقع الأنترنت.

ثواب البنات

روي عن حمزة بن حمران بإسناده أنه أتـى رجـل النـبي ﷺ وعـنده رجـل فأخبره بمولود له فتغير لون الرجل فقال النبي ﷺ : ما لك؟

فقال: خير، قال: قل: قال: خرجت والمرأة تمخض فأخبرت أنها ولدت جارية، فقال له النبي ﷺ: الأرض تُقِلُّها والسماء تُظِلُّها والله يرزقها وهي ريحانة تَشُمُّها.

ثم أقبل على أصحابه فقال: من كانت له ابنة واحدة فهو مقروح، ومن كان له ابنتان فيا غوثاه، ومن كان له ثلاث بنات وضع عنه الجهاد وكل مكروه، ومن كان له أربع بنات فيا عباد الله أعينوه يا عباد الله أقرضوه يا عباد الله ارحموه [١].

وقال رسول الله ﷺ : من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجـنة، قيل: يا رسول الله واثنتين؟

قال: واثنتين.

قيل: يا رسول الله وواحدة؟

قال: وواحدة [٢].

فإن هذه الرواية فيها من الدلالة على شدة العناية بالبنت لوضعها الاجتماعي الحساس سواء من جهة كونها مـدرسة تـربوية للأجـيال أم مـن جـهة وضـعها العاطفي في الأسرة والمجتمع والتي يسارع اليها الخلل عند أي إهمال أو تجنٍّ.

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٥ ، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

(٢) المصدر السابق .

تربية الطفل اليتيم

«اليتيم بعد فقد والده أو والدته أو كليهما يشعر بالحرمان المطلق، حرمان من إشباع حاجاته العاطفية والروحية، وحرمان من إشباع حاجاته المادية وكيفيتها كالحاجة إلى المأكل والمشرب والملبس، فتنتابه الهواجس والمخاوف، ويخيّم عليه القلق والاضطراب، فالشعور بالحرمان من العطف والحنان له تأثيراته السلبية على كيان الطفل وعلى بناء شخصيته، ومن خلال متابعة الواقع الاجتماعي نجد أن أغلب الأيتام الذين لم يجدوا العناية والاهتمام من قبل الآخرين كانوا مضطربي الشخصية، تنتابهم العُقَد النفسية، وسوء التوافق مع المجتمع، الذي حرمهم من العناية والاهتمام، لذا أوصى الإسلام برعاية اليتيم رعاية خاصة لا تقل عن الرعاية الممنوحة للأطفال الآخرين، فأكدَّ على إشباع جميع حاجاتهم المادية والروحية، وكانت الآيات القرآنية المختصة برعاية الأيتام أكثر من الآيات المختصة بعموم الأطفال لأهميتها.

ومن الحاجات التي أكدّ الإسلام على إشباعها هي الحاجات المادية.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً..﴾[1].

﴿... أو اطعامٍ في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة ﴾[2].

﴿... وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين ﴾[3].

---

(١) الإنسان ٧٦ : ٨.

(٢) البلد ٩٠ : ١٤ ـ ١٥.

(٣) البقرة ٢ : ١٧٧.

وجعل الله تعالى لليتيم حقاً في أموال المسلمين ﴿ واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنَّ لله خُمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين... ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿ قُل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين﴾ [٢].

ونهى تعالى عن التصرّف بأموال اليتيم إلاّ بالصورة الأحسن التي تجدي له نفعاً وربحاً ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه ﴾ [٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عال يتيماً حتى يستغني، أوجب الله له بذلك الجنّة» [٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «من كفل يتيماً من المسلمين فأدخله إلى طعامه وشرابه، أدخله الله الجنّة البتة، إلاّ أن يعمل ذنباً لا يغفر» [٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «أنا وكافل اليتيم في الجنّة كهاتين ـ وهو يشير بإصبعيه» [٦]

وراعى المنهج الإسلامي إشباع الحاجات المعنوية لليتيم كالإحسان إليه والعدل معه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين احساناً وذوي القربى واليتامى والمساكين... ﴾ [٧].

وقال تعالى: ﴿... وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ [٨].

---

(١) الأنفال ٨: ٤١.

(٢) البقرة ٢: ٢١٥.

(٣) الأنعام ٦: ١٥٢.

(٤) تحف العقول: ١٩٨.

(٥) مستدرك الوسائل ١: ١٤٨.

(٦) المحجة البيضاء ٣: ٤٠٣.

(٧) البقرة ٢: ٨٣.

(٨) النساء ٤: ١٢٧.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «خيرُ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسن إليه ، وشرّ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيم يساء إليه» [١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «حثّ الله تعالى على برِّ اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم ، فمن صانهم صانه الله تعالى ، ومن أكرمهم أكرمه الله تعالى ، ومن مسح يده برأس يتيم رفقاً به جعل الله تعالى له في الجنّة بكلِّ شعرة مرّت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا وما فيها...» [٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «ما من عبد يمسح يَدَه على رأس يتيم ترحمّاً له إلاّ أعطاه الله تعالى بكلِّ شعرة نوراً يوم القيامة» [٣].

كما أكّد الإسلام على رعاية اليتيم ومعالجة المشاكل التي تواجهه والتي تسبب له الألم والقلق والاضطراب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إذا بكى اليتيم اهتزّ العرش على بكائه فيقول الله تعالى : يا ملائكتي اشهدوا عليّ أنَّ من أسكته واسترضاه أرضيته في يوم القيامة» [٤].

وعنه صلى الله عليه وآله : «إذا بكى اليتيمُ في الارض يقول الله من أبكى عبدي وأنا غيّبت أباه في التراب فوعزتي وجلالي إنّ من أرضاه بشطر كلمة أدخلته الجنّة» [٥].

وأكّد أيضاً على التوصية بشؤون اليتيم وإدخال الفرح على قلبه بإشباع حاجاته المادية أو الروحية من احترام وتقدير ومحبّة أو مدح وتشجيع إلى غير ذلك .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنَّ في الجنّة داراً يقال لها دار الفرح لايدخلها إلاّ من فرّح

(١) المحجة البيضاء ٣ : ٤٠٣ .

(٢) المحجة البيضاء ٣ : ٤٠٣ .

(٣) المحجة البيضاء ٣ : ٤٠٣ .

(٤) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٣ .

(٥) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٣ .

يتامى المؤمنين»[١].

كما وأعطى الإسلام الاهتمام والعناية باليتيم من جهة تربيته تربية صالحة وإعداده إعداداً جيداً كي يكون عنصراً صالحاً في المجتمع ، قال أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام : «**أدّب اليتيم بما تؤدّب منه ولدك...**»[٢].

فاليتيم الذي يحصل على العناية والرعاية والحب والحنان يشعر بالراحة والطمأنينة ويعيش سوّياً في عواطفه وفي شخصيته ، أمّا في حالة الحرمان فإنّه لا يصبح سويّاً وقد يلتقطه بعض المنحرفين فيوجهه الوجهة غير الصالحة فيصبح عنصراً ضاراً في المجتمع»[٣].

بل قد تنشأ لديه نتيجة الحرمان حالة الانتقام وحالة العدوانية على الآخرين وقساوة القلب.

---

(١) كنز العمال ٣ : ١٧٠ ح ٦٠٠٨.

(٢) الكافي ٦ : ٤٧ ح ٨ باب تأديب الولد.

(٣) تربية الطفل في الإسلام: ٨٧ ـ ٩١ ، مركز الرسالة، قم .

القسم الثاني:

الأمر الثاني الذي يؤدي الى فشل الأُبوة والأُمومة الجهل بالأحكام الشرعية المرتبطة بحقوق الأولاد.

الجهل بحقوق الأولاد

سواء منها ما يتعلق بالواجبات والمحرمات أم المستحبات والمكروهات، فإن الله تعالى عندما وضع حقوقاً للأولاد وضعها لعلمه بحاجتهم إليها وعدم صلاح حالهم إلا بها ،ولا يتم بناء شخصيتهم السوية إلا من خلالها حتى في حالة الحمل والمرحلة الجينية فكلما قصّر الوالدان في حق من حقوق أولادهم كان ذلك سبباً لنقصٍ في كمال تربية وتهذيب الولد.

فمثلاً إذا قصر الأب في تسمية ولده ووضع له اسماً غريباً أو منفِّراً فإن الولد عندما يكبر ويسمع اسمه من رفقائه أو يسمع ويرى تهتكهم وسخريتهم من اسمه سوف يتأثر نفسياً بل قد ينعزل عن أقرانه ويؤدي ذلك الى عُقدة نفسية، وقد وجدنا الكثير من الأولاد بعد كِبَرِهم قد غيّروا أسماءهم.

لذا على الآباء والأُمهات التعرف على الحقوق الشرعية والاجتماعية للأولاد لكي لا يكونوا سبباً لفسادهم أو سوء حالهم، والإمام زين العابدين عليه السلام يبيّن لنا في «رسالة الحقوق» الحقوق المتوجّبة للولد، وهذه الرسالة المباركة هي نداءات الإسلام بحقوق الإنسان قبل أن تفتح حضارة الإنسان المادية عينيها على ما يسمى بالحقوق، ولكن للأسف نتيجة تخاذل المجتمع الإسلامي وهجرانه لقيمه، جاءت المنظمات الإنسانية في العالم لتعلِّمنا معنى حقوق الإنسان وصنّفتنا في

العالم الثالث الذي ينتظر لقمة أكله ودستور بلاده ومناهج التعليم من الدول الصناعية الكبرى، إنها الفضيحة والطامّة الكبرى لمجتمع يعيش على هامش التاريخ وكلُّ الطاقات والموارد وأعظم الدساتير «القرآن الكريم» هو بين يديه!.

حقّ الأولاد في رسالة الحقوق

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: **وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره و شره، وأنك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عزّ وجلّ والمعونة له على طاعته (فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب) فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه، (المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا المعذِر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه ولا قوة إلا بالله تعالى)**[١][٢].

ـ فإذا أدركَ الآباء أنّ الأبناء بخيرهم وشرّهم منسوبون إليهم يدركون أهميّة تأديبهم وتعليمهم وتهذيبهم، وحسن معاشرتهم، والتلطّف بهم، وتسميتهم بأحسن الأسماء وإسكانهم وإطعامهم بما يليق مع كرامة الإنسان.

فحسن أدب الولد وطيب مولده يرجع بالخير علىٰ والديه في الدنيا بمدح وثناء الناس له واتخاذه قدوة، وفي الآخرة بالقرب من الباري عزّ وجلّ.

وفي المقابل سوء أدب وأخلاق الأولاد وخبث سريرتهم وقبح أسمائهم ومعشرهم يعود علىٰ الآباء بالشرّ في الدنيا بذمّ الناس، والعقاب في الآخرة علىٰ التهاون في حقوق الأبناء.

وورد في الروايات ما يشير إلىٰ جملة من الحقوق[٣]:

---

(١) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.

(٢) تحف العقول: ٢٦٣ـ ١٨٩.

(٣) انظر الكافي: ٦ / ٤٨ ح ١ وما بعده.

١ ـ أن يحسّن الوالدان تسمية الأولاد، وخير الأسماء ما حمّد وعبّد وكذا التسمية باسم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأسماء أهل بيته عليهم السلام.

٢ ـ أن يعلّم الوالدان الأولاد القراءة والكتابة.

٣ ـ أن يعلّمانهم قراءة القرآن، والصلاة، وبقيّة العبادات.

٤ ـ أن يضعه موضعاً مناسباً، سواء من جهة المسكن، أو المعيشة، أو التعلّم فيضعه في البيت المناسب، وفي المدرسة المناسبة.

٥ ـ أن يُعلّمه السباحة، وركوب الخيل والرماية، وفنون الحرب، وأساليب التجارة والصناعة، والزراعة، ونحو ذلك ممّا يحتاجه الولد في حياته الاجتماعيّة واليوميّة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علمّوا أولادكم السباحة والرماية» (١).

قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «تستحب غرامة الصبي في صغره ليكون حليماً في كبره» (٢).

والصحة البدنية لها تأثير واضح على الصحة النفسية كما هو مشهور عند علماء النفس والتربية (٣).

وما ورد في الروايات في خصوص السباحة، وركوب الخيل، ليس علىٰ وجه الحصر من بين الطرق الرياضية واللياقة البدنية، بل ورود النصّ بهما، إمّا لأهمّيتهما في ذلك المجتمع، أو لعدم الاحتياج إلىٰ غيرهما في العصر الأوّل، فيكونان كناية عن كل ما يحتاجه الولد لبناء لياقاته.

٦ ـ أن يطهره من الأدناس الماديّة والمعنويّة، فلا بدّ من المحافظة علىٰ نظافة الولد وطهارته، وعلىٰ أخلاقه فلا يشجعه على الكلام البذيء ولا يطعمه الطعام

---

(١) الكافي ٦ : ٤٧ ح ٤ باب تأديب الولد .

(٢) الكافي ٦ : ٥١ ح ٢ باب ٣٧ من كتاب العقيقة، والغرامة ما يلزم أداؤه كما في مجمع البحرين .

(٣) علم النفس ، لجميل صليبا : ٣٨٣ .

الحرام والنجس.

٧ـ أن يؤدبه ويربّيه علىٰ طاعة الله وطاعة والديه، واحترام الناس وحب أهل البيت ومودتهم عليهم السلام.

٨ـ أن يزوّجه إذا بلغ، ويحسن له في الاختيار ويرشده إلى كيفية التعامل مع زوجته ويشجعه على بناء أسرة ملتزمة هادفة.

٩ـ أن يحسن معاشرته ويرحمه ولا يشقّ عليه كما تقدّم.

١٠ـ أن يفي لهم بما يعدهم به.

* وهذه الحقوق مستفادة من مجموع روايات عن أهل البيت عليهم السلام.

منها ما روي عن الإمام الكاظم قال عليه السلام: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما حق ابني هذا؟

قال صلى الله عليه وآله: **تحسن اسمه وأدبه، وضْعه موضعاً مناسباً** [1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «... **ومن علّمه القرآن دُعي بالأبوين فكسيا حلّتين تضيء من نورهما وجوه أهل الجنة**» [2].

وعن السكوني قال: دخلتُ علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، وأنا مغموم مكروب، فقال لي: يا سكوني مِمَ غمُّكَ؟

قلت: ولدت لي ابنة.

فقال عليه السلام: يا سكوني علىٰ الأرض ثقلها وعلىٰ الله رزقها، تعيش في غير أجلكَ، وتأكل من غير رزقكَ. فسرى والله عنّي [الغمّ ثمّ] قال لي: ما سمّيتها؟

قلت: فاطمة.

قال عليه السلام: آه آه، ثمّ وضع يده علىٰ جبهته فقال عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حقّ**

---

(١) الكافي: ٦ / ٤٨ ح ١.

(٢) الكافي ٦ : ٤٩ ح ١ باب بر الأولاد.

الولد علىٰ والده إذا كان ذكراً أن يستفره أُمّه[١] ويستحسن اسمه ويعلّمه الكتاب ويطهره ويعلّمه السباحة. وإذا كانت أُنثىٰ أن يستفره أُمّها ويحسن اسمها ويُعلّمها سورة النور، ولا يُعلّمها سورة يوسف، ولا ينزلها الغرف[٢] ويعجّل سراحها إلىٰ بيت زوجها.

أما إذا سمّيتها فاطمة فلا تسبّها ولا تلعنها ولا تضربها»[٣].

وفي رواية: «تحسّن اسمه وأدبه، وَضَعْهُ موضعاً حسناً»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «أحبّوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم فإنّهم لا يدرون إلّا أنّكم ترزقونهم»[٥].

---

(١) يستفره أُمّه: أي يستحسن اختيارها كما المستفاد من مجمع البحرين.

(٢) وهي الأماكن والشوارع الفاسدة التي يخاف علىٰ عرض البنات منها.

(٣) فروع الكافي: ٤٩/٦، باب حقّ الأولاد.

(٤) فروع الكافي: ٤٨/٦، والبحار: ٨٠/٧٤.

(٥) الكافي: ٤٩/٦، ح ٣، ومكارم الأخلاق: ٢٠٥، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

القسم الثالث:

عدم اللعب مع الأولاد والتصابي لهم

الأمـــر الثــالث الذي يـؤدي الى فشـل الأُبـوة والأُمـومة هـو إهـمال الأولاد والانشـغال بالعمل والمنزل وغيرهما، وقد حثّ الإسلام كثيراً على إعـطاء الأولاد وقتاً للعب والراحة وأن يقوم الوالدان بأنفسهما بهذا الدور، قال رسـول الله ﷺ : **من كان له صبي فليتصاب له** [(١)].

وعن عبدالله بن الزبير قال: (أنا أحدّثكم بأشبه أهله إليه وأحبهم إليه الحسن ابن عليّ، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع، فيفرج له بـين رجـليه حـتى يـخرج مـن الجانب الآخر) [(٢)].

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «**قال والدي: والله لأصانع بعض ولدي وأجلسه على فخذي وأكثر له المحبّة، وأكثر له الشكر، وإنّ الحق لغيره من ولدي، ولكن محافظة عليه منه ومن غيره لئلا يصنعوا به ما فعل بيوسف إخوته**» [(٣)].

وقد أكدّ علماء التربية هذه الحقيقة، يقول موريس تي يش: (يجب أن تسلكوا مع أولادكم كأصدقاء، أن تعملوا معهم، أن تشاركوهم في اللـعب... أن تـتحدثوا

---

(١) ميزان الحكمة: ١٠ / ٧٠٠.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٧: ١٠.

(٣) مستدرك الوسائل ١٢: ٦٢٦.

معهم بعبارات الودّ والصداقة... إنّ الفرد يجب أن يعرف كيف يجعل نفسه بمستوى الأطفال ويتكلم بلغة يفهمونها) (١).

وهذا أمر يحتاجه الطفل خاصة في بداية حياته إلىٰ لعبٍ ولهوٍ ليعيش طفولته ويتنعم بها، الشيء الذي يعطيه السعادة الآنية والراحة النفسيّة في المستقبل ليتدرّج في شؤون الحياة وينطلق من ثمّ الى مرحلة الشباب، علىٰ العكس ما لو حُرِمَ من طفولته، فإنّه يبقىٰ يعيش عقدة الطفولة وفقدانه للسعادة ممّا يؤثّر علىٰ مستقبله وتربيته لأولاده.

فينبغي للآباء والأُمّهات مداعبة وملاطفة أبنائهم وبناتهم، وممازحتهم والتصابي لهم، ومعنىٰ التصابي للأولاد أن يجعل الأب أو الأُمّ نفسه بمرتبة الصغير فيفعل مع ابنه ما يفعله الصغار معهم، ينبغي أن لا يتعيّب الإنسان من ذلك مهما كان عمره وشأنه، فإنّ لنا أُسوة حسنة برسول البشريّة ﷺ الذي كان يتصابىٰ لأولاده وأحفاده صلوات المصلّين عليهم أجمعين.

وعند التصابي للأولاد وملاطفتهم تحصل لدى الإنسان السعادة الحقيقية التي تملأُ البيت سروراً وفرحاً وراحة بال وهدوء حال مباركة من الله جلّ اسمه إلّا أنّ نجاح ذلك متوقف على حسن تثمين الوقت ومراعاة الأولوية في الحياة، والطلب من الله سبحانه في ذلك، ومن يدّع أنه لا وقت له للتصابي مع أولاده فنقول له: الوقت موجود لديك وإنما تفتقر الى نظم وقتك والذي هو سرُّ النجاح خصوصاً عندما تزدحم الهموم وأعباء الحياة كما في عصرنا الحالي، بل إنّ السعادة تكون بالعمل الصحيح الناتج عن الطريقة الصحيحة(٢).

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية ٢ : ٩٧.

(٢) الوقت هو الحياة: ٩٦.

القسم الرابع:

عدم التهادي

الأمر الرابع الذي قد يؤدي الى فشل الأُبوة والأُمومة في بعض الجوانب التربويّة عدم اتحاف الولد بهدية بين فترة وأخرى أو عند المناسبات، وهو أمر مستحب، وله أهمية كبيرة خاصة عند العودة من السفر، وهو يترك آثاراً إيجابية عند الأولاد يترجم بالسعادة والفرح على وجوههم، لأنّ الهدية من أكبر الوسائل التي توطد العلاقات الاجتماعية حتى مع البعيد فكيف مع الولد والبنت وهما عربون المحبة والوفاء والتي يتلقاها القلب بشغفٍ ومصادقة يبقى أثرها مدى الحياة لا ينسى بل هي من أعظم الوسائل التي تمحي درن النفوس من الأحقاد والغضاضة وتحول العداوة الى وئام ومحبّة.

ففي كتاب نوادر الحكمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : **من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور، فإنه من فرّح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقرّ عين ابن فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله أدخله الله جنات النعيم**[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**اعدلوا بين أولادكم في النِحَل**[٢] **كما تحبّون أن يعدلوا**

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٧، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

(٢) النحل: العطيّة والهديّة.

بينكم في البرّ واللطف»[١].

وفي حديث عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله يَـأْكُـلُ الْهَدِيَّةَ وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَ يَقُولُ: تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَسُلُّ السَّخَائِمَ وَ تُجْلِي ضَغَائِنَ الْعَدَاوَةِ وَ الأَحْقَادِ.

وعن عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: تَهَادَوْا تَحَابُّوا، تَـهَادَوْا فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِالضَّغَائِنِ[٢].

(١) ميزان الحكمة: ١٠/٧٠٦.

(٢) الكافي: ٥ / ١٤٤ ـ ١٤٥ ح ٧ ـ ١٤، والسخائم هي مساوئ الأخلاق كما هو المستفاد من مجمع البحرين.

القسم الخامس:

عدم إظهار الحب والعطف على الأولاد

الأمر الخامس الذي يؤدي الى فشل الأُبوة والأُمومة ترك الحب والعطف على الأولاد، وهو أمر مهمّ في المرحلة الأُولىٰ لبناء الطفل حتّىٰ ينمو علىٰ ذلك الحبّ والحنان، فبقدر ما يظهر الوالدان الحبّ للأولاد بقدر ما يتعلّق الطفل بهما ممّا يفسح المجال ويساعد علىٰ التأثير عليه وتعويده علىٰ الطاعة والأدب، وعلىٰ العكس إذا شعر الأولاد بعدم حبّ الأهل لهم فإنّه يؤدّي لعصيان أوامرهم ممّا يفقد عوامل التأثير التربوي عليه.

قال الصادق عليه السلام: «جاء رجل إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: **ما قبّلت صبيّاً قط، فلمّا ولّىٰ قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا رجل عندي أنّه من أهل النار**»[١].

وقال صلى الله عليه وآله: «**أحبّوا الصبيان وارحموهم**»[٢].

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبّل الحسن والحسين عليهما السلام، فقال الأقرع بن حابس: **إن لي عشرة من الأولاد ما قبّلت واحداً منهم، فقال: ما علي إن نزع الله الرحمة منك، أو كلمة نحوها.**

وقال صلى الله عليه وآله: **قبّلوا أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة ما بين كل درجتين خمسمائة عام.**

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة، وقبلة الوالدين،**

---

(١) الكافي: ٦/٥٠، ح٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٤/٩٣.

عبادة وقبلة الرجل أخاه دين، وزاد عنه الحسن البصري: وقبلة الإمام العادل طاعة[1].

وقال صلى الله عليه وآله : «نظر الوالد إلى ولده حبّاً له عبادة» [2].

وقال صلى الله عليه وآله : «أحبّوا الصبيان وارحموهم ، فإذا وعدتموهم فاوفوا لهم ، فإنّهم لا يرون إلّا أنكم ترزقونهم» [3].

ومن مصاديق محبة الطفل وإشعاره بمكانته التشجيع له ومدحه على ما ينجزه من أعمال وإنْ كانت يسيرة والتجاوز عن بعض الهفوات ، وعدم تسفيه أقواله أو أعماله وعدم حمله على ما لا يطيق كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وآله : «رحم الله من أعان ولده على برّه... يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره ولا يرهقه ولا يخرق به...» [4].

وعليهما أيضاً إطعام الأولاد بأيديهما بين فترة وأُخرىٰ حتّىٰ لو تجاوزوا السابعة من العمر، حتّىٰ يستمر الشعور بالحبّ والاهتمام من قبل الوالدين.

وأيضاً مراقبة طعامهم وفراشهم وكيفيّة نومهم، وسلامة جسدهم وبنيانهم.

هذا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ الله ليرحم العبد لشدّة حبّه لولده»[5].

وعند إظهار هذا الحب الواعي والمفيد للأولاد يعكس سعادة على الآباء سواء من الناحية العاطفية التي تخرج منهم فتترك أثراً إيجابياً، أم من ناحية هدوء البال الذي يحصل عند الآباء نتيجة الهدوء والرضا الذي يحصل عند الأبناء جراء الحب والعطف.

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام : «اللهّم ومُنّ عليّ ببقاء ولدي... وربِّ لي

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٦ ، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد.

(٢) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٦ .

(٣) مكارم الأخلاق : ٢١٩ .

(٤) الكافي ٦ : ٥٠ ح ٦ باب بر الأولاد، لا يخرق به أي لا يأتي بما لا يرفق به. كما هو المستفاد من مجمع البحرين.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٣١٠ .

صغيرهم... وأصِحّ لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم... واجعلهم أبراراً أتقياء بُصراء... وأعنّي على تربيتهم وتأديبهم وبرِّهم... وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم»[١].

العطف بين الوالد والولد

قال الشيخ مغنية في شرح الصحيفة السجادية: أوصى سبحانه الولد بوالديه، وأمره بالعطف عليهما، ولم يوص الوالد بشيء من ذلِكَ، والسّر واضح؛ لأنّ الولد بضعة من الوالد، بل هو نفسه، ولا عكس، قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين عليه السلام لولده الإمام الحَسن عليه السلام: «وجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي حتّى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني»[٢].

وكتب ولد لوالده: جُعلت فداك. فكتب إليه والده: لا تقل مثل هذا، فأنت على يومي أصبر مِنّي على يومك. ومن الأمثال عندنا في جبل عامل: قَلْبِي على قلب وْلِدِي، وقلب وْلِدِي عليّ مِنْ حجر[٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَ أَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[٤] وما قال: إنّ من آبائكم، وأُمهاتكم عدواً لكم فاحذروهم، لأنّ عاطفة الوالدين ذاتية كما أشرنا، أمّا عاطفة الولد نحو أبويه فهي لاتصل الى مستوى عاطفة أبوية عليه ولذا حالة الانقلاب الى العداوة منتظرة من الولد أكثر مما هي من الوالدين، إلا أننا لا نبالغ إن قلنا إنّ الأهل مسؤولون بالدرجة الأولى عن نمو مستوى العاطفة لدى الأولاد كما

---

(١) الصحيفة السجادية الجامعة: ١٢٨ ـ ١٢٩ مؤسسة الإمام المهدي قم ١٤١١ هـ ط ١.

(٢) انظر، نهج البلاغة: ٣ / ٣٨، الْكِتَاب (٣١)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٦ / ٥٧، شرح نهج البلاغة لعبده: ٣ / ٤٣، نظم درر السّمطين: ١٦٢، ينابيع الْمَوَدَّة: ٣ / ٤٣٨، تحف العقول: ٦٨، مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٩٩.

(٣) انظر، كِتَاب الأمثال البغدادية: ٣٥١.

(٤) سورة التّغابن: ١٤.

قلناه في الفشل التربوي وأساليبه ولا بدّ من الإشارة الى أنّ للحبِّ حدوداً وللعاطفة حدود أيضاً فينبغي أن يكون للعقل صوته المؤثر عند اشتعال نار الحب والحنان والعاطفة في القلب وحتى لا يتحول الحب والعاطفة الى عكس المطلوب، كما قيل «من الحب ما قتل» وسيأتي الكلام في التوازن بين اللين والشدّة.

وفي الأشعار[١]:

أرى ولد الفـتى كَـلّاً عَـلَيْهِ ... لقـد سـعد الَّـذِي أمسـى عـقيما

فـإمّا أنْ تـربيه عـدواً ... وإمّـا أنْ تـخلفه يـتيما

وبعد، فإنّ الولد إمّا نعيم ليس كمثله إلا الجنّة، وإمّا جحيم دونه عذاب الحريق، والويل كلّ الويل لمن ابتلاه اللّه بامرأة سوء، وولد عاق... والإمام عليه السلام يدعو اللّه ويناشده في أنْ يمده، ويسعده بأولاد يُحبهم، ويُحبونه، أذلة عَلَيْهِ، وعلى الْمُؤْمِنِين، أعزة على أعداء اللّهُ، وأعدائه، وزَينٌ له في مغيبه، ومحضره، وفي الحديث: «إنّ اللّه سبحانه رفع العذاب عن رجل أدْرَك له ولد صالح، فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً»[٢].

أيهم أشد قسوة الضرب أم حرمان العطف والحنان؟

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: «هناك آباء وأمهات مستبدون لا يتمالكون على أنفسهم من الإساءة والضرب.

---

(١) ينسب هَذا الشّعر إلى القاضي أبي القاسم التّنوخي (الصّغير)، قبل موته بقليل، دخل عَلَيْهِ القاضي أبي عبد اللّه ابن الدّامغاني، قال فأخرج إليّ ولده من جارية له فلما رآها بكى فقلت: تعيش إنْ شاء اللّه، وتربيه، ويقر اللّه عينك به، فقال: هيهات واللّه ما يتربى إلا يتيماً، وأنشد هَذا الشّعر. انظر، معجم الأدباء: ١٤/ ١١٠ - ١٢٤.

(٢) انظر، الكافي: ٦/ ٤، أمالي الشّيخ الصّدوق: ٤١٤، وسائل الشّيعة: ١١ / ٥٦١ ح ٢.

وفي هذه الصورة لا تكون بعض العقوبات البدنية مضرة بمقدار ضرر بعض التشديدات بالنسبة إلى القلب.

إن الحبس في غرفة، أو النظر إلى الجدار من دون أن يجرؤ على القيام بحركة صغيرة تحطم القابلية على التحمل عند الطفل».

«هناك بعض الأولياء يصبون طعام الطفل في إناء يشبه إناء طعام الحيوانات: وحتى في بعض الأحيان يقوم هذا الأب أو الأُم غير العاديين بتقديم الطعام إلى الطفل في وعاء القاذورات، أو يبصق الأب في وجه الطفل أو يعريه في الشارع وأمثال ذلك مشاهدة بكثرة!».

«هؤلاء الأطفال تتحطم أعصابهم، وتصبح أفعالهم خالية من التروي والتفكير، وغالباً يؤدي بهم النفور نحو الانحراف وظهور ذلك في مظهر الجريمة، ذلك أن هؤلاء الأطفال يريدون أن ينتقموا ممن يعذبهم بواسطة نوع من الانتحار الخلقي، ولذلك فإنهم لا يهتمون كثيراً بالترحم الذي يمكن أن يصيبهم، كما أنهم لا يتأثرون بكل عقوبة»[١].

فمن الضروري أن تكون إدارة الأُسرة قائمة على العقل والدراية والإنصاف والعدالة، وفي هذا يقول الرسول الأعظم ﷺ: «**ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة، إلا كان خراباً**»[٢].[٣]

التوازن في تربية الطفل بين اللين والشدّة

(تكريم الطفل والإحسان إليه وإشعاره بالحب والحنان وإشعاره بمكانته الاجتماعية وبأنه مقبول عند والديه وعند المجتمع، يجب أنْ لا يتعدى الحدود إلى

---

(١) جه ميدانيم ؟ تربيت أطفال دشوار ص ٣٠.

(٢) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي: ١ / ٣٨٢.

(٣) الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٩٥ المحاضرة الخامسة عشرة.

درجة الإفراط في كلِّ ذلك، وأن لا تُتْرك له الحرية المطلقة في أن يعمل ما يشاء، فلابدّ من وضع منهجٍ متوازن في التصرّف معه من قبل الوالدين، فلا يتساهلان معه إلى أقصى حدود التساهل، ولا أن يعنّف على كلِّ شيء يرتكبه، فلا بدّ أنْ يكون اللين وتكون الشدّة في حدودهما، ويكون الاعتدال بينهما هو الحاكم على الموقف منه لأننا أبناء الشريعة الوسطىٰ حتى يجتاز مرحلة الطفولة بسلام واطمئنان، يميّز بين السلوك المحبوب والسلوك المنبوذ، لأن السنين الخمس الأولى أو الست من الحياة هي التي تكوّن نمط شخصيته.

وقد أكدّت الروايات على الاعتدال في التعامل مع الطفل فلا إفراط ولا تفريط.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «**شرّ الآباء من دعاه البرّ إلى الإفراط..**»[١].

وفي حالة ارتكاب الطفل لبعض المخالفات السلوكية، على الوالدين أنْ يُشعِرا الطفل بأضرار هذه المخالفة وإقناعه بالإقلاع عنها، فإذا لم ينفع الإقناع واللين يأتي دور التأنيب أو العقاب المعنوي أو... والعقوبة العاطفية خيرٌ من العقوبة البدنية كما أجاب الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام حينما سُئِل عن كيفية التعامل مع الطفل فقال: «لا تضربه واهجره... ولا تطل»[٢].[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الإفراط في الملامة يشبّ نيران اللجاج**»[٤].

إن (طريقة المبالغة التي تتبعها الأمهات عندما يصاب أطفالهنّ بالمرض تؤثر على نفسية الطفل في الكبر... يخلق منه طفلاً مكتئباً كثير الشكوى سريع الانفعال)[٥].

---

(١) مشاكل الآباء: ١٤١، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٦٢، مركز الرسالة، قم..

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٠.

(٣) تربية الطفل في الإسلام: ٦٢، مركز الرسالة، قم.

(٤) تحف العقول: ٨٤.

(٥) قاموس الطفل الطبّي: ٢٧٨، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٦٦، مركز الرسالة، قم.

القسم السادس:

عدم الإحسان إلى الطفل وتكريمه

ومن الأمور التي تؤثر سلباً على تربية الطفل عدم الإحسان الى الأولاد وإكرامهم ـ مادياً ومعنوياً ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم»[١].

وقال صلى الله عليه وآله : «رحم الله عبداً أعان ولده على بِرّه بالإحسان إليه والتألف له وتعليمه وتأديبه»[٢].

والحذر كل الحذر من المنَّة والامتنان، فإذا ما أحسَّ الولد بأن والده يمنِّنه على إحسانه فإنه سوف ينفر من إحسانه، ويتحول إحسانه اليه الى أذية، وقد سمعت كثيراً عن أولادٍ بلغوا سنَّ الرشد وأهلهم أغنياء وقد عرضوا عليهم العمل والمال والزواج إلا أنهم رفضوا ذلك بحجَّة أنهم يريدون أن يصنعوا أنفسهم بأنفسهم وقد أحدث ذلك كثيراً من الإرباك لدى تلك الأسر. وهذا إن دلَّ على الاعتداد الشخصي إلا أنه لا يخلو من الهروب من حالة المنّة التي لمسوها في تجربتهم.

---

(١) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٥ .

(٢) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٦ .

القسم السابع:

عدم إخراج الأولاد في نزهة

من الأمور التي قد تؤدي الى فشل الأُبوة والأُمومة حبس الأولاد في المنزل وعدم إخراجهم الى المنتزهات أو الملاهي العامة كبقية الأولاد للترفيه والراحة والاستراحة.

وإنّ من المسائل التي يتهاون بها البعض عدم رعاية أُسرته والالتفات إليهم والإحساس بمشاعرهم، فنتيجة كثرة العمل لديه أو لبعض الأسباب الشخصية يُهمل اصطحاب أولاده أو عموم عائلته الى بعض الأماكِن التي تدخل السرور على قلوبهم، فعلى الإنسان العاقل والمؤمن أن لا يفكر فقط في سعادته الشخصية ويترك سعادة عائلته وأولاده، وهم المقرونون مع النفس كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

فمن يحب أن لا يدخل النار عليه أن يحب ذلك لأولاده وأهل بيته، ومن يحب الاستيقاظ لصلاة الصبح لما فيه من ثوابٍ ورزقٍ فعليه أن يحب ذلك لغيره من أرحامه وأقاربه وأهل بيته.

وكذلك من يحب الترويح عن نفسه وشمّ رياحين الحياة عليه أن يحب ذلك لزوجته وأولاده فيصحبهم معه الى هذه الأماكن أو الأماكن الأخرى التي تغيّر من

---

(١) سورة التحريم: ٦.

نفسية المرء وتقوي عزيمته.

وأيُّ تقصير في ترك إسعاد الأولاد والزوجة يؤدي إلى فشل تربوي له مردوده السلبي على العائلة والمجتمع، إذ عندما لا ترفّه المرأة عن نفسها ولا تغيّر ما تعودت عليه من الهموم والتعب والنظر الى جدران المنزل، كيف يطلب منها أن تربي الأولاد وتسعد الزوج وتعطيه ما يحتاجه أو يحبه ويرغب به ما دامت قلقة ومتوترة من الناحية النفسية؟

وكذلك في مسألة الأولاد فإن راحتهم تؤدي الى راحة الأب وسعادتهم تؤدي الى سعادته، كما أن انزعاجهم وتكدُّر مزاجهم يؤدي الى انزعاج الأب ولو عاطفياً.

وكذلك على الزوج ـ كمسؤول عن عائلته[1] ـ الذهاب مع أولاده الى الأماكن الدينية كالذهاب الى المساجد للصلاة والاستفادة من أنشطتها.

والتواجد في الحسينيات ومجالس العزاء للاستماع الى المواعظ الدينية المفيدة وتحصيل ثواب البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وبقية المعصومين عليهم السلام.

وكذلك الذهاب الى أضرحة رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام للتبرك بتلك المشاهد المشرفة وللتوسل بأنوارهم القدسية وزيارة تلك الأجساد الطاهرة والتي تعطي حياةً سعيدةً للأسرة، وتنتشر البركة على كل أفرادها ببركة محمد وآل محمد: وبركة أماكنهم وكل ما هو موجود حولهم.

---

(١) وإلا قد تفرض الظروف على الزوجة أو أحد الأبناء أو البنات أن يتصدى لمهام الأب.

القسم الثامن:

عدم تعليم الأولاد الواجبات وترك المحرمات

من الأمور التي تؤدي الى فشل الأُبوة والأُمومة عدم تفقيه الأولاد وتعليمهم ما يجب عليهم وما يحرم فعله، وقد تقدم تفصيل ذلك.

في المحاسن عن ابن أبي عمير عن العلاء عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله وأبو جعفر عليهما السلام: **لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته**[١].

وفي رواية: **لو أتيت بشاب من شباب شيعتنا لم يتفقه لأحسنت أدبه** [٢].

فالمطلوب من العلماء والجمعيات الخيرية والمؤسسات الإسلامية بث الثقافة العامة في المجتمع وعند مختلف الطبقات والفئات، والتي أهمها مرحلة الشباب والشابات، والمسؤولية اتجاه البنات أكثر لأن الشاب تتوفر له الفرص السانحة واختلاطه أكثر في الغالب بالعلماء أو المثقفين فتترسخ في ذهنه ثقافة عامة وهي وإن كانت غير كافية لكنها تترك أثراً إيجابياً عليه، أما الفتيات فإنهن لا يفقهن الكثير عن تجربة الحياة العامة فضلاً عن التفقه في الأحكام الشرعية، وللأسف فإن بعض الأُمهات إما نتيجة الجهل أو الحياء أو العمل تترك ابنتها تذهب الى بيت زوجها والى حياة جديدة تختلف من حيث المضمون والجوهر عن حياة بيت الأهل، من دون إرشادها الى أبسط الحقوق الزوجية.

نعم لا نريد أن نسجل موقفاً مسبقاً على النساء، فإن المشكلة مشابهة لما عند

---

(١) المحاسن: ١ / ٢٢٨.

(٢) دعائم الإسلام: ١ / ٨٠.

الرجال، لكن عندما يكون الطرفان لا يفقهان شيئاً عن الحياة الزوجية أو عن الأحكام الشرعية المرتبطة بذلك فإن الفشل أسرع الى حياتهما الزوجية .

فعلى كل إنسان التفقه في الدين خاصة الأحكام التي تكون محل ابتلاء الإنسان، كالصلاة، والصوم، والحج، وموارد الإسراف، وتربية الأولاد، وتعلم أحكام برّ الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وأحكام التجارة التي يحتاجها الإنسان عادة كأحكام الربا والسحت والغش والغصب، وأحكام حرمة الكذب والغِيبة ومواردها والنميمة والبهتان والحقد وسائر المحرمات التي يبتلي بها الإنسان عادة .

وينبغي نقل الثقافة الى كل أفراد العائلة، فالله يحاسب الإنسان على تقصيره تجاههم، **﴿يا أيُّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكةٍ غلاظٍ شداد﴾** .

فإذا كان المثقف هو الرجل فعليه نقل ذلك الى زوجته، وإذا كانت هي المثقفة فعليها نقل ذلك الى زوجها وأولادها خاصة البنات منهم، بل حتى لو كانت الثقافة عند الأولاد دون الأهل فينبغي عليهم نقل ذلك الى والديهم بل هو واجب في الأمور التي هي محل ابتلاء شرعاً كالصلاة وأحكامها والوضوء والتيمم والطهارة وغسل الجنابة وما شابه ذلك، ولا ينبغي للوالدين الحياء من ذلك فالعار أولى من دخول النار.

ولا بدّ من التنويه بأمر يهمّنا، وهو وجود وسائل إعلامية مؤسساتية أخذت على عاتقها بثّ كثير من البرامج الثقافية والدينية سواء في المرئيات أو المسموعات أو في النوادي والجمعيات وحتى على مستوى الغرف الصغيرة للإنترنت والتي تحرص على الضوابط الأخلاقية ومراعاتها.

وهذا قد سدّ باباً كبيراً من احتياجاتنا في هذا العصر الذي تميز بالإعلام والذي قفز قفزة نوعية في عالم الإلكترونيات هذا فضلاً عن المؤسسات التربوية.

القسم التاسع:

ترك تعويد الأولاد على المستحبات

من المسائل التي ترتبط بالجملة بفشل الوالدين في تربية أولادهم تجاهل التعاليم التربوية للأطفال ولو بنحو المستحبات الشرعية، لما لها من أثر كبير على تربية الطفل منذ الصغر.

وبين أيدينا نماذج منها:

١ ـ التسمية عند الطعام والشراب بل عند الابتداء بكل، فإن الأمر الذي لا يبتدأ فيه «بسم الله الرحمن الرحيم» فهو أبتر ناقص منزوع البركة من الله تعالى.

٢ ـ الصلاة المستحبة وبالأخص صلاة جماعة.

٣ ـ الذهاب للمسجد، ولا أقل يوم الجمعة.

٤ ـ المواظبة على غسل يوم الجمعة.

٥ ـ قص الأظافر كل خميس أو جمعة.

٦ ـ المشاركة في مجالس العزاء والمناسبات الدينية كما تقدم في السعادة العائلية.

٧ ـ الشكر عند حصول كل نعمة أو تجددها، ولا أقل المواظبة على سجدتي الشكر بعد كل صلاة[١]، أو الإكثار من قول «الحمد لله» فهي غاية الشكر، قال الإمام

---

(١) وكيفيتها أن يسجد الإنسان واضعاً يديه ورجليه وركبتيه وجبهته على ما يصح السجود عليه =

الصادق عليه السلام : يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة وأحببت دوامها والزيادة من الله عز وجل فأكثر حمد الله عليها فقد قال الله عز وجل: ﴿لَإِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1][2].

٨ ـ تعويدهم على كثرة الصلاة على محمد وآل محمد ولو قبل النوم.

٩ ـ تعويدهم على تعقيبات الصلاة وأهمها تسبيح الزهراء عليها السلام [3].

١٠ ـ تعويدهم على زيارة الأرحام والأقارب كلّ أسبوع، أو لا أقل في الشهر مرة.

١١ ـ تعويدهم على التصدق كما قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام : «مر الصبي فليتصدّق بيده بالكسرة والقبضة والشيء وإن قلّ ، فإن كلّ شيء يراد به الله وان قلّ بعد أن تصدق النيّة فيه عظيم...» [4].

وغير ذلك كثير منها حسن الأخلاق مع الوالدين والبدء بالسلام واحترام الآخر وبالأخص أهل العلم والدين وحسن الجوار ومساعدة المظلوم ومواجهة الظالم وحب المصالح العامة واحترامها وحب الفقراء والابتسامة بوجه الأخ والصديق والعشير وحسن المعاملة مع الناس في السوق أو في المسجد أو في المدرسة والجامعة و....

= كالقرص أو التراب ويقول: الشكر لله أو شكراً لله، ثلاث مرات، ثم يرفع رأسه ويسجد مرة ثانية ويقول كما قال أول مرة.

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٧٣، شعب الإيمان: ٤ / ١٠٨، ح ٤٤٤٦، العقد الفريد: ٣ / ١٧٥.

(٣) وكيفيته: ٣٤ مرة «الله أكبر»، ٣٣ مرة «الحمد لله»، ٣٣ مرة «سبحان الله».

(٤) الوسائل ٩: ٣٧٦ ح ١ باب ٤.

القسم العاشر:

عدم العدالة بين الأولاد

من الأمور التي تؤدي إلى فشل الأُبوة والأُمومة عدم العدالة بين الأولاد في المعاملة أو في الهدايا و العطف والحنان والخروج من المنزل للتنزّه و الجلوس علىٰ المائدة، بل حتّىٰ في نظرة المحبة.

ولا يفرّق في ذلك بين الذكر والأُنثىٰ ولا بين الصغير والكبير، وإذا اضطرّ للتفرقة بين الأولاد لحاجة ملحّة ولا يمكن التغاضي عنها فليكن سرّاً.

قال رسول الله ﷺ: «اتّقوا الله واعدلوا في أولادكم».

وقال ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم في النحل[1] كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف»[2].

قال رسول الله ﷺ: اعدلوا بين أولادكم في السر كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف.

وعنه ﷺ أنه نظر إلى رجل له ابنان فقبل أحدهما وترك الآخر، فقال النبي ﷺ: فهلا ساويت[3] بينهما[4].

---

(١) النحل: العطيّة والهديّة.

(٢) ميزان الحكمة: ١٠/٧٠٦.

(٣) في البحار والعدة: واسيت.

(٤) مكارم الأخلاق: ٢٠٦، الفصل السادس في الأولاد وما يتعلق بهم، في فضل الأولاد، وعدة

وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يحبّ أن تعدلوا بين أولادكم حتّى في القُبَل»[١].

قال العلامة الفلسفي في المورد محذراً من حالة المنافسة بين الأولاد:

«والطفل الأول في الأُسرة يكون موضع حب وحنان وعناية من قبل والديه لأنّه الطفل الأول والطفل الوحيد، فيمنح الاهتمام الزائد، والرأفة الزائدة، وتلبّى كثيراً من حاجاته المادية والنفسية، فنجد الوالدين يسعيان إلى إرضائه بمختلف الوسائل ويوفّران له ما يحتاجه من ملابس وألعاب وغير ذلك من الحاجات، ويكون مصاحباً لوالديه في أغلب الأوقات سواء مع الأُم أو مع الأب أو مع كليهما وبعبارة أُخرى يلقى دلالاً واهتماماً استثنائياً، ومثل هذا الطفل وبهذه العناية والاهتمام، سيواجه مشكلة صعبة عليه في حالة ولادة الطفل الثاني، وتبدأ مخاوفه من الطفل الثاني، لأنّه سيكون منافساً له في كلِّ شيء، ينافسه في حب الوالدين ورعايتهم له، وينافسه في منصبه باعتباره الطفل الوحيد سابقاً، وينافسه في ألعابه»[٢].

منشأ الغيرة بين الأولاد

إنّ من لوازم العدالة هو عدم إقامة المقارنة بين الأطفال، في صفاتهم الجسمية والمعنوية والنفسية، فلا يصح أن يقال فلان أجمل من فلان، أو أذكى منه أو أكثر خلقاً منه لأنّها ستكون منبعاً للحقد والتحاسد، لأنّ المقارنة بين الأطفال تؤدي إلى (الغيرة من بعضهم وإلى التنافس)[٣] أي التنافس غير النزيه.

والمقارنة تؤدي إلى فقدان الثقة بين الأشقاء والعكس صحيح (عدم التفرقة

= الداعي: ٦١.

(١) ميزان الحكمة: ١٠/٧٠٧.

(٢) تربية الطفل في الإسلام: ٦٧، مركز الرسالة، قم..

(٣) حديث إلى الامهات: ٦٨، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٧٠، مركز الرسالة، قم.

في المعاملة هو أكبر دعامة لخلق جوٍّ من الثقة المتبادلة بينه وبين سائر أفراد العائلة) [١].

ونلاحظ عند كثير من الآباء مواقفَ غير مقصودة بأن يقول أمام الأخوة : إن ابني فلان يشبهني ، وفلان لا يشبهني ، فحتى هذه المقارنة في ظروف خاصّة تعمل عملها في الغيرة والتنافس (غير المتّزن)، والأفضل اجتنابها [٢].

وهذه الغيرة من الأمور الفطرية الشريفة إذا اعتدلت بموازين العقل والشرع ولكن ضمن حدود الاعتدال وهي كبقية الأمور الفطرية مثل الشجاعة والكرم... هي في خدمة الإنسان وتكامله بل هي البوصلة الداخلية التي تأخذ بيد الإنسان نحو تكامله، ولكن إذا ما خرجت من حدِّ الاعتدال الى الإفراط أو التفريط تصبح ذات مردود تربوي سلبي على الفرد، وأي إشعال لنار الغيرة بالطريق غير المعتبر لدى العقل والشرع تصبح هذه الغيرة قاتلة للنمو الطبيعي لشخصية الإنسان.

---

(١) قاموس الطفل الطبي : ٢٧٤، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٧٠ ، مركز الرسالة، قم .

(٢) تربية الطفل في الإسلام: ٧٠ ، مركز الرسالة، قم .

القسم الحادي عشر:

عدم الصبر على الأولاد

ومن الأمور التي تسبب سوء التربية عند الأولاد وتكشف عن الفشل الأبوي هو عدم تحمّل تصرفات الأولاد وسرعة الغضب عليهم و تأنيبهم.

فينبغي للآباء عدم التسرّع في ضرب أو توهين أو إحراج الأولاد، بل لا بدّ من الاحتياط في ذلك لما فيه من أثرٍ سلبي عليهم، خصوصاً الضرب الذي يؤدّي إلىٰ جبن الولد، أو إلىٰ قساوة قلبه كما تقدم.

فإنّ الحكم علىٰ تصرّفات الأولاد ليس بالمعطيات التي لدىٰ الآباء ولا من خلال فهمهم الخاص للأُمور، بل لا بدّ للآباء الحكم علىٰ تصرّفات الأولاد من خلال فهمهم للأُمور، إذ العقول تختلف ولكلّ تفكيره المختلف وعلىٰ أساسه يتصرّف.

فقد يصدر من الأولاد ما هو مزعج وغير لائق خاصّة أمام الناس، ولكن ليس كلّ هذه الأخطاء عن سوء نيّة أو سابق إصرار وتعمّد، فعند مراعاة هذه الخصوصية نستطيع أن نحسن التصرف معهم بحكمة عالية ورويَّة.

ويجب عند مواجهات تصرفات الأولاد بالصبر والتحمُّل أن تكون النيّة هي إصلاحهم وتوعيتهم لا الانتقام منهم ولو بعد حين، إذ فرق كبير بين الأمرين، وكيفية المعاملة واضحة وجليّة يقرؤها الأولاد بكل وضوح.

ولذا عند التعامل مع الأولاد بالصبر والرويّة والأسلوب الهادئ فإنهم يشعرون بذلك وينعكس عليهم راحة واستقراراً مما يساعد على الوصول إلى هدفه المطلوب، والعكس هو الصحيح.

القسم الثاني عشر:

عدم الرعاية الصحية والبيئية للأولاد

من المسائل التي تترك أثراً سيئاً على تربية الأولاد إهمال رعايتهم من الناحية الصحية أو البيئية، خاصة فيما يترك أثراً مرضياً مزمناً عندهم، يكشف عن إهمال الأهل وعدم مسارعتهم الى أخذ الأولاد الى الطبيب، فإن ذلك قد يفقد ثقة الأولاد بالأهل، ومن ثم سوف ينعكس سلباً على تجاوبهم مع إرشاداتهم التربوية.

وللأسف فإن بعض الأهل لا يلتفتون الى بعض الأمراض التي تكون عند أولادهم أو يهملون علاجها، كالالتهابات التي تصيب الأطفال خاصة في المسالك البولية فإنها قد تؤدي إلى مرض خطير، أو إهمال علاج الأذنين الذي قد يؤدي الى تعطيل السمع أو خفته.

على الأهل عند ملاحظة أي تغير عند الطفل أو ظهور أي عوارض غريبة اصطحاب أبنائهم وفلذة أكبادهم الى الطبيب المختص.

بل عليهم مراجعة الأطباء في كل فترة حتى لو لم يظهر شيء من العوارض من باب الاحتياط والاطمئنان على صحتهم.

وقد تقدم ما يفيد في ذلك عند الكلام عن مراحل تربية الطفل.

القسم الثالث عشر:

ترك التفكير بمستقبل الأولاد الدراسي والجامعي والمهني

إنّ عدم تفكير الأهل في مستقبل الأولاد من الأمور التي توقع الأولاد في متاهات الحياة وتنعكس سلباً على بعدهم التربوي وذلك عندما يفسرون ذلك بقساوة القلب أو الإهمال، وعندها تنقطع أواصر الثقة بين الموجِّه والموجَّه.

وعليه فإنّ من الأمور التي يهملها بعض الأهل العناية بدراسة أولادهم وتوعيتهم على أهمية الدراسة والعلم وأنه سلاح كل إنسان من ذكر وأنثى، وقد يؤدي هذا الإهمال إلى فشل في شخصية الأبناء خصوصاً إذا ما أضيف إليه عدم التوجيه الأخلاقي والديني، والجهل أكبر عدوٍّ للإنسان فرداً وجماعات ومن الإهمال توجُّه الأولاد إلى مدارس غير إسلامية أو منحرفة أو الى أفكار خطيرة على صعيد العقيدة والدين.

وقد أثبتت التجارب أن المتعلم والمتخصص غالباً ما تكون لديه فرص العمل أكثر من غيره بحيث يكون ذلك مدعاة للاستقرار والراحة.

فعلى الأهل توعية أبنائهم الى نوعية الدراسة والاختصاص الذي لا بدّ أن يسلكوه ـ كما ذكرناه سابقاً ـ بالإضافة إلس السعي الدؤوب لتأمين العمل المناسب.

هذا عند الأبناء الذين يسلكون المنهج التعليمي، أما من يرغب منهم في التوجه الى الزراعة أو التجارة أو الصناعة أو الحرفية، فعلى الوالدين توجيه أبنائهم الى ما فيه صلاح حالهم وما يتناسب مع طبائعهم وميولهم، مع ملاحظة حاجة المجتمع

لذلك، وبالطبع هذا محكوم للواقع الخارجي.

ويمكن القول: إنه في الزمن الصعب كزماننا إن لم تتكاتف الأسر ويقف بعضهم إلى جانب البعض الآخر متعاونين على السراء والضراء سوف يواجه الفرد الكثير من المتاعب والمعاناة وصعاب الحياة، مما يعكس القلق والانحراف وعدم التعاون التربوي، وأكثر تأخّر الزواج راجع الى هذه الضغوطات الكبيرة والتي أورثتنا إياها الأنظمة السياسية والاقتصادية الفاشلة لدى الحكومات. ولا يبقى الأمل إلّا على النشاطات المؤسساتيّة والفردية.

وعليه ينبغي للأهل التفكير في حياة أبنائهم الزوجية أيضاً وما يتعلق بها من تأمين السكن، وذلك يحتهم على سياسة اقتصادية توفّق بين المصروف وبين ادّخار ما يكفي لتهيئة مكان السكن ونفقة الزواج...

ما يؤدي إلى نجاح الوالدين في التربية

مما تقدم يُعلم أنّ لدينا الكثير من الأمور التي تؤدي الى نجاح التربية، لكن نلقي الضوء على أمورٍ يساعد مراعاتها إلى نجاح الوالدين في تربية أبنائهم :

١ ـ تثبيت عقيدة الطفل:

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «**بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليه المرجئة**» [١].

والمرجئة مذهب عقائدي يقول بأنه لا تضرُّ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وقيل بأنهم يرجئون ولا يحكمون بإيمان أو كفر صاحب الكبيرة ويؤخرون حكمه الى يوم القيامة كما في كتاب الملل والنحل ج ١ ص ١٢٥: ويحتمل أن يكون المراد من كلمة هو المرجئة العقائد المنحرفة التي توجد في كل عصر ومصر، ومن كلمة الحديث العقيدة السليمة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يشجّع على تعليم الأطفال شعر أبي طالب عليه السلام ، فعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب وأن يدوّن ، وقال : تعلّموه وعلمّوه أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير»[٢].

---

(١) الكافي ٦ : ٤٧ ح ٥ باب تأديب الولد .

(٢) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٥ .

=

إنّ (من أهم القيم التي يجب غرسها في الطفل.. مما سوف يعطيه الأمل في الحياة هو الاعتماد على الخالق، حيث يوجد عنده الوازع الديني الذي يحميه من اقتراف المآثم)[١].

والطفل في هذه المرحلة يكون مقلِّداً لوالديه في كل شيء بما فيها الإيمان بالله تعالى، يقول الدكتور «سوك» : (إنّ الأساس الذي يؤمن به الابن بالله وحبه للخالق العظيم هو نفس الأساس الذي يحب به الوالدان الله).

ويقول: (بين العمر الثالث والعمر السادس يحاول تقليد الأبوين في كلِّ شيء فإذا حدّثاه عن الله فإنه يؤمن بالصورة التي تحددها كلماتهما عن الله حرفياً)[٢].

= وكان من شعره عليه السلام قوله :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... رسولاً كموسى خط في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة ... ولا حيف فيمن خصه الله بالحب

وإن الذي رقشتم في كتابكم ... يكون لكم يوماً كراغية السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى ... ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب

ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا ... أواصرنا بعد المودة والقرب

راجع بحار الأنوار: ٣١ / ١٦٠ وما بعدها.

(١) قاموس الطفل الطبي : ٢٩٤ ، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٥٤ ، مركز الرسالة، قم مع تصرُّف غير مخلّ .

(٢) مشاكل الآباء في تربية الأبناء : ٢٤٨ ، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٥٥ ، مركز الرسالة، قم .

٢ ـ ربط الطفل بالقدوة الحسنة والمثل الأعلى:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أدبّوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم ، وحبّ أهل بيته ، وقراءة القرآن» [١].

علينا ربط أولادنا بمحمد وآل محمد عليهم السلام وتعويدهم على حبهم واحترامهم بل واحترام كلّ ما ينسب إليهم عليهم السلام كمقاماتهم الشريفة وتربتهم المنيفة وأسمائهم المباركة، فهم أساس وجودنا وغايته وبتوسطهم نبقى ونستمر [٢] في طريق السعادة والتكامل.

إنّ «الطفل في الأعوام المتأخرة من هذه المرحلة يحاول التشبه بالأشخاص الأكثر حيوية والأشد فاعلية في المجتمع ، ويطلق علماء النفس مفهوم المحاكاة للتعبير عن التشبه الفجائي السريع الذي ينتهي بانتهاء المؤثر ، فهو تشبه آني ويطلقون عبارة الاقتباس على التشبه البطيء[٣] الذي يستحكم في العقل والعاطفة ومن مصاديقه التقليد والاقتداء ، والنماذج العالية من الشخصية هي المؤثرة في التشبه ، فأهل الكرامة وأهل القدوة يكرمهم الشعب ويبجلهم وهم الذين (يقتدي بهم عامة الشعب)[٤].

والطفل غالباً ما يتشبه بمن لهم سلطان روحي ونفسي على الناس ومنهم الملوك والحكام ، والفائزون والناجحون في الحياة ، وكلّ من له تأثير على الناس كالمعلم وعالم الدين.

---

(١) كنز العمال ١٦ : ٤٥٦ ح ٤٥٤٠٩ .

(٢) قد فصّلنا ذلك في كتاب عجائب قدرة آل محمد عليهم السلام ط. دار الصفوة .

(٣) علم الاجتماع نقولا الحدّاد : ٨٦ .

(٤) علم الاجتماع : ١٤٠ .

ويرى بعض علماء النفس الحاجة إلى تصور المثل الأعلى لدى كل إنسان[1] وهي حاجة ضرورية، والمثل الأعلى في رأي هؤلاء العلماء يختلف باختلاف الناس، ويتبدل بتبدل ظروفهم المادية والنفسية والاجتماعية ، ويعتبرون المثل الأعلى متجسداً في القيم المعنوية والأهداف المتوخاة في الحياة.

والمثل الأعلى بهذا المفهوم ضروري جداً لكلِّ إنسان وخصوصاً الطفل في الأعوام المتأخرة من هذه المرحلة ، ولكنّ المثل الأعلى إن لم يتحول من المفهوم إلى المصداق وإلى من تتجسد فيه قيم هذا المثل الأعلى يبقى محدوداً في حدود التصورات، فالطفل بحاجة إلى التشبه والاقتداء بما هو ملموس في الواقع الموضوعي، وخير من يتجسد به المثل الأعلى هو النموذج الأعلى للشخصية الإنسانية .

والاقتداء بالأسلاف (أكثر من الاقتداء بالطبقة العليا) .

ومن هنا فالضرورة الحاكمة في الاقتداء هي الاقتداء بالسلف الصالح وهم الأنبياء والأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، والصالحون من الصحابة والتابعين ، والماضون من علماء الدين ، فهم قمم في الفضائل والمكارم والمواقف النبيلة ، وممّا يساعد على التشبّه والاقتداء بهم تأثيرهم الروحي على مختلف طبقات الناس الذين يكنّون لهم التبجيل والتقديس .

وحياة الصالحين مليئة بجميع القيم والمكارم التي يريد الإنسان التمسك بها، والاقتداء هو الذي يجعل الطفل إنساناً عظيماً تبعاً لمن يقتدي بهم ، وإذا فقد الاقتداء جمدت جذوة الحياة وضعف الطموح وانحرف عن مساره للتعلق والاقتداء بالهامشيين من الأشخاص العاديين.

فالواجب على الوالدين توجيه أنظار الطفل وأفكاره وعواطفه ومواقفه نحو الشخصيات النموذجية ابتداءً من آدم وانتهاءً بالعظماء المعاصرين ، ولكلِّ نبي

---

(١) علم النفس جميل صليبا : ٧٢٨ .

عليه السلام أو إمام من أئمة الهدى عليهم السلام تاريخ حافل بجميع المكارم والقيم والمواقف السائدة في الحياة.

والقدوة الصالحة لها تأثير ومواقف مشرّفة في كلّ زاوية من زوايا الحياة، والاقتداء بها تنعكس آثاره على جميع جوانب شخصيّة الطفل العاطفية والعقلية والسلوكية، فتندفع الشخصية للوصول إلى المقامات العالية التي وصلها الصالحون المقتدى بهم»[١].

ولقد أغنانا الله سبحانه بلطفه ورحمته بالمُثُل العليا وعلى رأس النساء سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، وفي زمان الغيبة الكبرى يوجد الإمام المعصوم المهدي المنتظر (عج) وهو الغائب الحاضر والحامل لكل المميزات الشخصية للسلف الصالح من الأنبياء والأولياء عليهم السلام بل كل ما لديهم هو مشتمل عليه حتى إرث النبوة وعلم الأولين والآخرين.

ولذا ورد في السلام على الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) عند رؤيته: «السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة والنبوة ومعدن العلم وموضع الرسالة».[٢]

٣ ـ تربية الطفل على طاعة الوالدين:

من الأمور التي تنجح التربية تعويد الطفل منذ الصغر على الطاعة خاصة طاعة الوالدين، بل ينبغي تعويدهم على احترام كل كبير، قال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «**جرأة الولد على والده في صغره، تدعو إلى العقوق في كبره**»[٣].

وقال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «... شرّ الأبناء من دعاه التقصير إلى

(١) تربية الطفل في الإسلام: ١١٢ ـ ١١٠، مركز الرسالة، قم.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢ / ٦٥٣.

(٣) تحف العقول: ٣٦٨.

العقوق»[١].

يقول الدكتور «يسري عبد المحسن» : (أهم العوامل التي تساعد الطفل على الطاعة.. الحب والحنان الذي يشعر به الطفل من كلِّ أفراد الأُسرة)[٢].

ومن الوسائل التي تجعله مطيعاً هي إشباع حاجاته الأساسية وهي (الأمن، والمحبة، والتقدير، والحرية، والحاجة إلى سلطة ضاغطة)[٣].

ويرى الدكتور «فاخر عاقل» هذه الحاجات بالشكل التالي (الحاجة إلى توكيد الذات، أو المكانة، أن يعترف به وبمكانته، وأن ينتبه إليه.. والحاجة إلى الأمان والحاجة إلى المحبة والحاجة إلى الاستقلال)[٤].

فإذا شعر الطفل بالحب والحنان والتقدير من قبل والديه، فإنه يحاول المحافظة على ذلك بإرضاء والديه وأهم مصاديق الإرضاء هو طاعتهما[٥].

فالوالدان هما الأساس في تربية الطفل على الطاعة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **«رحم الله والدين أعانا ولدهما على برّهما»**[٦].

وأُسلوب الإعانة الولد كما حدّده رسول الله صلى الله عليه وآله : **«رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتألف له، وتعليمه وتأديبه»**[٧].

وقال صلى الله عليه وآله : **«رحم الله من أعان ولده على برّه، وهو أن يعفو عن سيئته، ويدعو له فيما بينه وبين الله»**[٨].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٢٠.

(٢) قاموس الطفل الطبي : ٣٢٨، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٥٨، مركز الرسالة، قم.

(٣) علم النفس، لعبدالعزيز القوصي : ٢٦٤.

(٤) علم النفس التربوي، لفاخر عاقل : ١٠٠ ـ ١٠١.

(٥) تربية الطفل في الإسلام: ٥٨، مركز الرسالة، قم.

(٦) مستدرك الوسائل ٢ : ٦١٨.

(٧) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٦.

(٨) عدة الداعي : ٦١.

وقال صلى الله عليه وآله : «رحم الله من أعان ولده على برّه... يقبل ميسوره ، ويتجاوز عن معسوره ، ولا يرهقه ولا يخرق به...»[١].

وهذه الطاعة هي المنطلق التأديبي لطاعة الله تعالى في أوليائه وحججه على خلقه وعلى رأسهم الإمام المنتظر (عج) ولا تصلح الرعية من غير راعٍ، وكل راعٍ يفتقر الى طاعة رعيته حتى يبلغ الأهداف المرجوّة في مشروع العدالة في الأرض والتي هي في مصلحة سعادة الإنسان فرداً وجماعات في الدنيا والآخرة.

٤ ـ عدم الإباحية أمام الطفل:

بعض الناس يتهاونون في الأمور الجنسية أمام الأطفال، فيتكلمون بالكلام الذي يثير انتباههم أو يحرك تفكيرهم نحو أمور كلها سلبيات، أو يمارسون بعض الأفعال مع نسائهم أمامهم كالتقبيل والضمّ وبعض الإثارات الجنسية والأخطر هو ممارسة الأهل الجنس أمام الأولاد كما تدعو لذلك بعض الظواهر المنحرفة في بلاد الغرب، وقد حذّر الإسلام من ذلك كثيراً وأنه يترك أثراً سيئاً على أولادهم وفلذة أكبادهم، فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **والذي نفسي بيده لو أنّ رجلاً غشي امرأته ، وفي البيت صبي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونَفَسَهُما ما أفلح أبداً إن كان غلاماً كان زانياً ، أو جارية كانت زانية**»[٢].

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : «لا يجامع الرجل امرأته ولا جاريته ، وفي البيت صبي فإن ذلك ممّا يورث الزنى»[٣].

---

(١) الكافي ٦ : ٥٠ ح ٦ بر الأولاد .

(٢) وسائل الشيعة ٢٠ : ١٣٣ ح ٢ باب ٦٧ .

(٣) وسائل الشيعة ٢٠ : ١٣٤ ح ٧ باب ٦٧ .

٥ ـ عدم الشجار أمام الطفل:

(إنّ الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية التي تصيب الطفل في حداثته والرجل في مستقبله ، تكون نتيجة المعاملة الخاطئة للأبوين كالاحتكاكات الزوجية التي تخلق الجو العائلي المتوتر الذي يسلب الطفل الأمن النفسي)[١].

ويقول العالم «جيرارد فوجان» : (والأم التي لا تجد التقدير الكافي إنسانة وأم وزوجة في المنزل لا تستطيع أن تعطي الشعور بالأمن)[٢].

فالشعور بالأمن والاستقرار من أهم العوامل في بناء شخصية الطفل بناءً سوياً متزناً ، وهذا الشعور ينتفي في حالة استمرار الخلافات والعلاقات المتشنجة، والطفل في حالة مثل هذه يكون متردداً حيراناً لا يدري ماذا يفعل ، فهو لا يستطيع إيقاف النزاع والخصام وخصوصاً إذا كان مصحوباً بالشدة ، ولا يستطيع أن يقف مع أحد والديه دون الآخر ، إضافة إلى محاولات كلّ من الوالدين بتقريب الطفل اليهما بإثبات حقّه واتهام المقابل بإثارة المشاكل والخلافات ، وكل ذلك يترك بصماته الداكنة على قلب الطفل وعقله وإرادته .

يقول الدكتور سوك : (إنّ العيادات النفسية تشهد آلاف الحالات من الأبناء الذين نشأوا وسط ظروف عائلية مليئة بالخلاف الشديد ، إن هؤلاء الأبناء يشعرون في الكبر بأنهم ليسوا كبقية البشر ، وتنعدم فيهم الثقة بالنفس ، فيخافون من إقامة علاقات عاطفية سليمة ويتذكرون أن معنى تكوين أسرة هو الوجود في

---

(١) أضواء على النفس البشرية ، للدكتور الزين عباس عمارة : ٣٠٢ ـ دار الثقافة بيروت ـ ١٤٠٧هـ ط ١.

(٢) أضواء على النفس البشرية ، للدكتور الزين عباس عمارة : ٣٠٢ ـ دار الثقافة بيروت ـ ١٤٠٧ هـ ط ١ ، عنه كتاب تربية الطفل في الإسلام: ١٨ ، مركز الرسالة، قم .

بيت يختلفون فيه مع طرف آخر ويتبادلون معه الإهانات)[١].

بل نقول: إن تحويل البيت الأسريّ الى حلبة صراع مكشوفة هو على خلاف الفطرة وتعاليم السماء وما عليه بناء العقلاء فاطمة، وهنيئاً للأسرة التي تباتت على حلِّ مشاكلها على طاولة الحوار والتقييم، إن المشاكل منتظرة وليست بمستهجنة إلا أنّ سرّ النجاح يكمن في كيفية التغلب على المشاكل وأخذ القرار الشجاع في إنهائها وأن تكون بعيدة عن أعين الأطفال، وإن ظهر منها أمر أمامهم فعليهم وبجرأة الشجاعة الحكيمة أن يظهروا التفاهم السريع أمام عدسات أولادهم البريئة.

٦ ـ السعي لإصلاح المجتمع:

ومن الأمور التي تنجح التربية الأسرية هو السعي إلى إصلاح المجتمع ضمن مشروع الدولة المتكامل إن أمكن أو المؤسساتالهادفة والأنشطة الفردية كحدٍّ أدنى، لأنّ الجوَّ العام السائد في المجتمع له أثر كبير على الزمن الفرد والأسرة، ولعل عادة سيئة شائعة بين الناس تطغى على أيِّ مشروع تربوي داخل البيت، كما إنّ عشرة الأولاد مع أصدقائهم في المدارس تؤثر فيهم أكثر من تعاليم آبائهم.

إنّ الخطر كبير من الثقافة غير الإسلامية والتي تأتينا عبر شاشة التلفزيون والستاليت والأنترنت ناهيك عن البرامج المعدّة سلفاً حتى على مستوى المجلة والجريدة والنشرة الصغيرة ويافطات الأعلام والذي يتمحور في الغزو الثقافي لمجتمعنا وبيوتنا والذي يسعى لتفكيك القِيَم من المجتمعات، في خلفية السيطرة على البُنى التحتية والموارد الاقتصادية وأسواقها.

إنّ الأمر ذو أهمية بمكان ويحتاج إلى جهود متنوعة ومخلصة على كل

---

(١) مشاكل الآباء في تربية الأبناء: ٤٥، عنه كتاب تربية الطفل في الإسلام: ١٩، مركز الرسالة، قم.

الأصعدة ولا ننسى التنويه بالمؤسسات الإعلامية والثقافية والمدرسية التي أخذت على عاتقها المشروع الإصلاحي وإن كنّا نتأسف من عدم قيام الدول بالمسؤولية الملقات على عاتقها.

وتبقى جهود الأهل هي سيدة الموقف في التوجيه والهداية والمراقبة للأولاد. مما يصعب السيطرة عليه إلا بمراقبة الأولاد مراقبة كما ذكرنا في بداية الكتاب.

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: إن من أهم شروط التعالي والتكامل للأطفال والكبار هو كون الجو الذي يعيشون فيه حرّاً، ذلك أنه عندما يكفهر وجه المجتمع بالظلم والتجاوز ويسود الاستبداد والضغط الشديد ... وحين يحل اليأس محل الأمل، والظلم محل العدل، والاستهتار والفوضى بدل القانون، والخوف بدل الهدوء ... فمن المحتم أن ينقطع السبيل إلى التكامل في ذلك المجتمع، والذين يعيشون في أمثال هذه المجتمعات لا يقدرون على إخراج استعداداتهم الخفية وذخائرهم المعنوية من مرحلة القوة إلى حيز الوجود والفعلية بالشكل المناسب، ولا ينالون الترقي والتكامل اللذين يصبون إليهما، الأُسرة هي مهد تربية الأطفال، والوطن الواسع هو البيئة التربوية للكبار، وإن ما لا شك فيه هو أن الشرط الأول للتربية الصحيحة وإحياء الاستعدادات المختلفة هو الجو المناسب والعوامل المساعدة.. [1].

٧ ـ وحدة المنهج بين الوالدين:

«يجب على الوالدين الاتفاق على منهج واحد مشترك يحدّد لهما العلاقات والأدوار والواجبات في مختلف الجوانب، والمنهج الإسلامي بقواعده الثابتة هو من أفضل المناهج التي يجب تبنيها في الأُسرة المسلمة (وفي كل المجتمعات إن

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية – الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٣٧٩ المحاضرة الخامسة عشرة.

كان هناك انصاف خالٍ من العصبية والتعصّب)، فهو منهج ربانّي موضوع من قبل الله تعالى المهيمن على الحياة بأسرها والمحيط بكل دقائق الأمور وتعقيدات الحياة، وهو منهج منسجم مع الفطرة الإنسانية، لا لبس فيه ولا غموض ولا تعقيد ولا تكليف بما لا يُطاق، وهو موضع قبول بالفطرة الإنسانية السليمة فجميع التوجيهات والقواعد السلوكية تستمد قوتها وفاعليتها من الله تعالى، وهذه الخاصية تدفع الأُسرة إلى الاقتناع باتباع هذا المنهج وتقرير مبادئه في برامجها، فلا مجال للنقاش في خطئه أو محدوديته أو عدم القدرة على تنفيذه. نعم هو بحاجة إلى التعمّق به وإلى حُسن إدراكه وفهمه وإلى الفن العالي في تحصيل لآلئه وجواهره، فهو الكفيل بتحقيق السعادة الأُسرية التي تساعد على تربية الطفل تربية صالحة وسليمة، على إصلاح الخلل في العلاقات والتقصير في أداء الأدوار.

والمنهج الإسلامي وضع قواعد كلية في التعامل والعلاقات والأدوار والسلوك، أمّا القواعد الفرعية أو تفاصيل القواعد الكلية ومصاديقها فإنها تتغير بتغير الظروف والعصور، فيجب على الوالدين الاتفاق على التفاصيل والمسائل الفرعية ولو بمراجعة المراجع الدينيين والأخصائيين فيتفقان، على قواعد ومعايير ثابتة ومقبولة من كليهما، سواءً في العلاقات القائمة بينهما أو علاقاتهما مع الأطفال والأسلوب التربوي الذي يجب اتّباعه معهم؛ لأنّ الاختلاف في طرق التعامل وفي أسلوب العلاقات يؤدي إلى اضطراب في الضوابط والقواعد السلوكية لدى الطفل، فيحاول إرضاء الوالد تارة والوالدة أُخرى، فيواجه سلوكين في آنٍ واحد، وهذا ما يؤدي إلى قلقه النفسي والعاطفي والسلوكي. (فإن الأطفال الذين يأتون من بيوت لا يتفق فيها الأب والأم فيما يخص تربية أطفالهم يكونون أطفالاً معضلين أكثر ممن عداهم) [١].

---

(١) علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ١١١ ـ دار العلم للملايين ١٩٨٥ ط ١١، عنه تربية الطفل في الإسلام: ١٠ ـ ١١، مركز الرسالة، قم (مع بعض التصرف داخل الهلالين).

ويتأكد هذا الأمر بحق الوالدين اللذين ينتميان إلى منهجين دينيَّيْن أو سياسيَّيْن.

٨ ـ الصبر الممكن دون خيار الطلاق:

من الأمور التي تؤدي الى سوء التربية وفشل الأولاد تعليمياً واجتماعياً هو لجوء الأهل الى خيار الطلاق وقد «حذّر الإسلام من الطلاق وإنهاء العلاقة الزوجية للآثار السلبية التي يتركها على الزوجين وعلى الأطفال وعلى المجتمع ، فالطلاق مصدر القلق عند الأطفال ومصدر للاضطراب النفسي والعاطفي والسلوكي ، حيثُ إن الطفل بحاجة إلى الحب والحنان من كلا الوالدين على حدٍّ سواء، بل إن التفكير المجرد بالطلاق يولد القلق والاضطراب في أعماقه، فيبقى في دوامة من المخاوف والاضطرابات التي تنعكس سلبياً على ثباته العاطفي وعلى شخصيته السوّية ، وقد وضع الإسلام منهجاً في العلاقات وإدامتها للحيلولة دون الوصول إلى قرار فصم العلاقات الزوجية، وتهديم الأُسرة ، فحذّر من الطلاق في مواضع مختلفة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**أوصاني جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلاّ من فاحشة مبيّنة**» [١].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : «ما من شيء ممّا أحلّه الله عزَّ وجلَّ أبغض إليه من الطلاق وإن الله يبغض المطلاق الذوّاق» [٢].

وقال عليه السلام : «إنّ الله عزّ وجلّ يحب البيت الذي فيه العرس ، ويبغض البيت الذي فيه الطلاق ، وما من شيء أبغض إلى الله عزّ وجل من الطلاق» [٣].

وحثّ الإسلام على اتخاذ التدابير الموضوعية للحيلولة دون وقوع الطلاق ،

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣ : ٢٧٨ باب حق المرأة على الزوج .

(٢) الكافي ٦ : ٥٤ باب كراهية طلاق الزوجة الموافقة ـ الذواق : السريع النكاح السريع الطلاق .

(٣) الكافي ٦ : ٥٤ باب كراهية طلاق الزوجة الموافقة .

فدعا إلى توثيق روابط المودّة والمحبّة ، ودعا إلى حلّ المشاكل والخلافات التي تؤدي إلى الطلاق ، فأمر بالعشرة بالمعروف ، قال الله تعالى : ﴿.. وعاشروهنّ بالمعروف فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[1].

وحثّ على الإصلاح وإعادة التماسك الأسري ، قال الله تعالى : ﴿ وإنْ امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جُناح عليهما أن يُصلحا بينهما صُلحاً والصُّلحُ خيرٌ..﴾ [2].

فالصلح أولى من عدمه ، وبما أن القلوب والمشاعر تتغير من وقت لآخر ومن طرفٍ لآخر ، فإنّ الإسلام حثّ على إجراء مفاوضات الصلح قبل القرار بالانفصال ، قال تعالى : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حَكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما إنّ الله كان عليماً خبيراً﴾[3] (وإذا لم تنفع كل محاولات الإصلاح وإعادة العلاقات إلى مجاريها ، وإذا لم تتوقف التشنجات والتوترات إلاّ بالطلاق ، فقد يكون الطلاق سعادة لكلا الزوجين ، ولكنّه يؤثر على نفسية الطفل ، وينعكس على سلوكه ، ولهذا منح الإسلام فرصة جديدة للعودة إلى الحياة الزوجية فأعطى للرجل حق العودة أثناء العدّة دون عقد جديد ، وبعد العدّة بعقد جديد وجعل للرجل حق العودة بعد الطلاق الأول والثاني ، فإذا لم تنجح محاولات إعادة العلاقة الزوجية ، وتمّ انفصالها ، يجب على الوالدين مراعاة مشاعر الطفل ومنحه الحنان والحب ، ويجب عليهما توفير كل الظروف التي تساعده على الإيمان والراحة والسعادة، كما يجب المحافظة على سلوكها الأخلاقي مع بعضهما البعض فلا يقعان في البهتان والغيبة وكشف المساوىء، متى يستطيع الطفل تحمّل صدمة الطلاق ، أمّا إذا لم يتّبع الوالدان المتفارقان القيم الأخلاقية مع بعضهما البعض، فإنّ

---

(١) سورة النساء: ٤ / ١٩ .

(٢) سورة النساء: ٤ / ١٢٨ .

(٣) سورة النساء: ٤ / ٣٥ .

الطفل سوف يبغض الحياة ويحتقر نفسه ، وستنعكس على عواطفه اتجاه والديه نظرة غير سليمة،فهو يحبهّما ويبغضهما في آنٍ واحد بعد اطلاعه على مساوئهما ، فيبقى يعيش في دوامة من القلق والاضطراب وتزداد همومه يوماً بعد يوم وتنعكس سلبياً على علاقاته الاجتماعية ، وعلاقاته الأسريّة في المستقبل [1]، ويكون عندئذٍ محلاً قابلاً لأي انحراف تربوي يتعرض له.

جسور التواصل الإيجابي مع الأبناء

- استمعوا لشكواهم وتفاعلوا معهم وساعدوهم على حلها.
- افسحوا لهم المجال للتعبير عن آرائهم وأفكارهم بحُريّة.
- عاملوهم باحترام مثلما ترغبون أن يعاملوكم.
- سامروهم بين الحين والآخر ممّا يقربهم إليكم.
- تجنبوا توجيه الانتقادات لهم والتي تؤدي إلى ضعف شخصيتهم وثقتهم بأنفسهم أمام الناس أو غير ذلك.
- حاسبوا سلوكهم ولا تحكموا عليهم.

التوجيه الأُسري

١ ـ الاحترام.

٢ ـ العاطفة.

٣ ـ النظام.

٤ ـ المرونة.

٥ ـ الحوار.

---

(١) تربية الطفل في الإسلام: ٢٣ ـ ٢٥ ، مركز الرسالة، قم .

التوجيه النفسي

يعتمد التوجيه النفسي على تحقيق التوجيه الأُسري. والسؤال هو: لماذاأغلب أبناء هذا الجيل يعاني من ابتعاد الأهل العاطفيين، ألم تلاحظوا بأنّ معظم المشاكل سببها ابتعاد الأهل!!!

العجب أنّ عادةِ الأهل يقولون أثناء غياب الأبناء أمام الناس «أولادي هم أغلى الناس عندي» بينما الأهل يبخلون عليهم بالكلام المهذب والأسلوب اللطيف!!!

القيمة التربوية للأولاد عند الإمام زين العابدين عليه السلام

يظهر في هذا الدعاء المبارك اهتمام الإمام عليه السلام بصلاح الأولاد، ويطلب من الله تبارك وتعالى أن يعينه على ذلك، وهو يعطينا الحافز الكبير للاهتمام بهم ورعايتهم:

قال عليه السلام: اللَّهُمَّ ومُنَّ عَلَيَّ بِبَقَاءِ وُلْدِي وَبِإِصْلاحِهِمْ لِي وَبِإِمْتَاعِي بِهِمْ إِلَهِي امْدُدْ لِي فِي أَعْمَارِهِمْ وَزِدْ لِي فِي آجَالِهِمْ وَرَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ وَقَوِّ لِي ضَعِيفَهُمْ وَأَصِحَّ لِي أَبْدَانَهُمْ وَأَدْيَانَهُمْ وَأَخْلاقَهُمْ وَعَافِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي جَوَارِحِهِمْ وَفِي كُلِّ مَا عُنِيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَدْرِرْ لِي وَعَلَى يَدَيَّ أَرْزَاقَهُمْ وَاجْعَلْهُمْ أَبْرَاراً أَتْقِيَاءَ بُصَرَاءَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَكَ وَلأَوْلِيَائِكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ وَلِجَمِيعِ أَعْدَائِكَ مُعَانِدِينَ وَمُبْغِضِينَ آمِينَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي وَأَقِمْ بِهِمْ أَوَدِي وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْرِي وَاكْفِنِي بِهِمْ فِي غَيْبَتِي وَأَعِنِّي بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ وَعَلَيَّ حَدِبِينَ مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلا عَاقِّينَ وَلا مُخَالِفِينَ وَلا خَاطِئِينَ وَأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبِرِّهِمْ وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلاداً ذُكُوراً وَاجْعَلْ ذَلِكَ خَيْراً لِي وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْناً عَلَى مَا سَأَلْتُكَ وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا وَأَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا وَرَغَّبْتَنَا فِي ثَوَابِ مَا أَمَرْتَنَا وَرَهَّبْتَنَا عِقَابَهُ وَجَعَلْتَ لَنَا عَدُوّاً يَكِيدُنَا سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ دِمَائِنَا لا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا وَلا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ وَيُخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَّعَنَا عَلَيْهَا وَإِنْ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ ثَبَّطَنَا عَنْهُ يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ إِنْ وَعَدَنَا

كَذَبَنَا وَإِنْ مَنَّانَا أَخْلَفَنَا وَإِلا تَصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُ يُضِلَّنَا وَإِلا تَقِنَا خَبَالَهُ يَسْتَزِلَّنَا اللَّهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ حَتَّى تَحْبِسَهُ عَنَّا بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لَكَ فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي وَاقْضِ لِي حَوَآئِجِي وَلا تَمْنَعْنِي الاجَابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي وَلا تَحْجُبْ دُعَآئِي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرتَنِي بِهِ وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَمَا نَسِيتُ أو أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ الْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إِلَيْكَ غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ الْمُعَوَّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ الرَّابِحِينَ فِي التِّجَارَةِ عَلَيْكَ الْمُجَارِينَ بِعِزِّكَ الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلالُ مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ بِجُودِكَ و كَرَمِكَ الْمُعَزِّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ وَالْمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ وَالْمُعَافَيْنَ مِنَ الْبَلاءِ بِرَحْمَتِكَ وَالْمُغْنَيْنَ مِن الْفَقْرِ بِغِنَاكَ وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطَآءِ بِتَقْوَاكَ و المُوَفَّقِينَ لِلْخَيْرِ و الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ بِطَاعَتِكَ و الْمُحَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ السَّاكِنِينَ فِي جِوَارِكَ اللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ وَأَعِذْنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ وَأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي وَلِوُلْدِي فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ سَمِيعٌ عَلِيمٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[١].

شرح دعاء الإمام عليه السلام

قال الشيخ محمد جواد مغنية: قوله عليه السلام: **(اللَّهُمَّ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقَاءِ وُلْدِي)** يتمنى الوالد طول الحياة لولده، لأنّه امتداد لوجوده، وذكره، وأجله، وعمره **(وَبِإِصْلاَحِهِمْ لِي)** اجعلهم من أهْل الإيمَان، والصّلاح كي يطيعوك شاكرين، ويسمعوا منّي غير

(١) الدُّعاء الخامس والعشرون من الصحيفة السجادية.

عاصين (وَبِإِمْتَاعِي بِهِمْ...) أتقوى بهم في شيخوختي، ويخدموني في ضعفي، وعلتي (وَرَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ) مدني بالعون من فضلك على تربيتهم تربية صالحة نافعة.

قوله عليه السلام :(وَقَوِّ لِي ضَعِيفَهُمْ، وَأَصِحَّ...) أسألك يا إلهي أنْ يكون أولادي بالكامل أصحاء أقوياء، وأبراراً أتقياء... وليس معنى هذا أنْ يهمل الوالد شأن أولاده بالمرة، ويترك تدبيرهم لله وهو واقف ينظر، ويتفرج، بل معناه أنْ يأخذ للأمر هبته من أجلهم، ويكافح بلا كللٍ، وملل، في سبيلهم متوكلاً على اللّه مستعيناً به في التّوفيق، وبلوغ الغاية، واللّه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، كيف! وقد أمر بالجهاد، والنّضال وقال فيما قال: ﴿وَ قُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، وندد بمن يعيش كَلّاً على سواه في الآية: ﴿وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيء وَ هُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْر هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَى صِرَاط مُّسْتَقِيم﴾[2].

وما من شك أنّ من ترك الكدح، والعمل من طاقته، وقدرته بزعم الاتكال على اللّه – فقد تمرد على أمره تعالى، ووضع رأيه فوق مشيئة الخالق، وإرادته من حيث يريد، أو لا يريد، وتواتر عن الرّسُول الأعظم صلى الله عليه وآله : «اعقلها وتوكل»[3]، وقال حكيم قديم: «إنّ اللّه سبحانه أمرنا بالتوكل عَلَيْهِ في العمل لا في البطالة، والكَسَل»[4].

وبكلام آخر إنّ التّربية من صنع الإنسَان، ولها أُسس، وقوانين تماماً كالصناعة، والزّراعة وغيرهما، والإمام عليه السلام في دعائه هذا يسأل اللّه سبحانه أنْ

---

(١) سورة التَّوْبَة: ١٠٥.

(٢) سورة النّحل: ٧٦.

(٣) انظر، صحيح التّرمذي: ٤ / ٧٧، فتح الباري: ٣ / ٣٠٤، الجامع الصّغير: ١ / ١٨٠، كنز العمال: ٣ / ١٠١ ح ٥٦٨٧ و ٥٦٩٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠ / ٣٠٦، صحيح ابن حبان: ٢ / ٥١٠.

(٤) انظر، المبسوط للسرخسي: ٣٠ / ٢٤٧.

يمهد له السّبيل إلى التّنفيذ، والقيام بما فرضه عَلَيْهِ من تربية الأوْلاَد، والعناية بهم، والكدح من أجلهم، وسبق الكلام عن ذلِكَ[١]، وأيضاً قد يأتي بأُسلوب ثالث، أو رابع.

قوله عليه السلام : (وَأدْرِرْ لِي، وَعَلَى يَدِي أرْزَاقَهُمْ) ما داموا صغاراً، وأطفالاً حتّى إذا بلغوا أشدهم سعوا في الأرْض، وأكلوا من كدّ اليمين. وفيه إيماء إلى أنّه ينبغي للإنسان أنْ يحتاط ويحترز من أنّ يترك أيتاماً بلا مال، ولا راع، وكفيل، وفي الحديث: «إنْ تذر ورثتك أغنياء خير من أنْ تذرهم عالة يتكففون النّاس».

وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[٢].

وأجهل خلق اللّه بالله، ودينه، وسُنته، وشريعته، من ترك العلاج للشفاء، والسّعي للرزق زاعماً - بلسان حاله، وأفعاله - أنّه قد أخذ من اللّه عهداً أنْ يعطيه ما يحتاج بمجرد نية التّوكل دون أنْ يسرح، ويتزحزح! إنّ اللّه سبحانه هو الَّذِي يشفي المريض، ما في ذلِكَ ريب، ولكن بالعلاج، ويطعم الجائع، ولكن بالسعي تماماً كما يخلق الحيوان من النّطفة، والشّجرة من النّواة، واللّيْل، والنّهَار من دوران الأرْض... وهكذا كلّ ما في السّماوات، والأرْض من أسباب، ومسببات، تُرد إلى السّبب الأوّل كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣].

قوله عليه السلام :(عَضُدِي) العضد: السّاعد وهو من المرفق إلى الكتف، والمُراد به هنا القوة، والمساعدة، قال سبحانه: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾[٤]، أي يساعدك، ويعينك (أَوَدِيْ): ثقلي، وحملي، قال عزّ من قائل: ﴿وَلاَ

---

(١) انظر، الدُّعاء العشرون من الصحيفة.

(٢) سورة النّور: ٣٣.

(٣) سورة الأعلى: ٢ ٣.

(٤) سورة القصص: ٣٥.

يَؤودهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[١] أي لا يثقله حفظهما (حَدِبِينَ): مُشفقين...

قوله عليه السلام :(وَأعِذْنِي، وَذُرِّيَّتِي...) واضح، وتَقَدَّمَ[٢].

قوله عليه السلام : (فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا، وَأَمَرْتَنَا...) خَلَق سبحانه الإنسَان، ومنحهُ العقل، والقُدرة، والحرية، وبهذه العناصر الثّلاثة مجتمعة يستحق الثّواب على الطّاعة، والعقاب على المعصية (وَرَهَّبْتَنَا عِقَابَهُ) أي خوفتنا عقاب عصيان ما أمرتنا به، ونهيتنا عنه (وَجَعَلْتَ لَنَا عَدُوّاً) وهو الوسواس الخناس الَّذِي يغلي في الصّدور من الحقد، والحسد، والعزم على غيرهما من المآثم... والدّليل على إرادة هذا المعنى قوله: (أسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ دِمَائِنَا)، أمّا قوله: (سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ) فمعناه أنّ هذا الوسواس الخبيث لا هو يذهب من تلقائه، ولا نحن نستطيع الفرار منه... وهذا صحيح لا ريب فيه، ومن أجل ذلِكَ لا يحاسب سبحانه، ويعاقب على أي شيء يدور، ويمور في النّفس من الافكار، والنّوايا السّوداء إلا إذا ظهرت، وتجسمت في قول، أو فعل.

قوله عليه السلام : (يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ) يضمن لنا الأمن، والأمان من غضبك، وعذابك (وَيُخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ) ومن ذلِكَ أنّ اللَّه سبحانه قال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾**[٣]، والنّفس الأمارة، أو الوسواس يخوفنا الْفَقْر، إنْ أطعنا، وأنفقنا (إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَة شَجَّعَنَا عَلَيْهَا...) يشير بهذا إلى جهاد النّفس الّتي تحاول التّغلب بالهوى على العقل، والتَّقْوَى (وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ) أظهر لنا الأفكار الخاطئة الّتي تُلبس الْحَقّ ثوب الْبَاطِل، والْبَاطِل ثواب الْحَقّ، وتوقع السّذج البسطاء في الشّك، والحيرة.

قوله عليه السلام : (إِنْ وَعَدَنَا كَذَبَنَا...) قال سبحانه وتعالى: **﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا**

---

(١) سورة الْبَقَرَة: ٢٥٥.

(٢) انظر، الدُّعاء الثّالث والعشرون من الصحيفة .

(٣) سورة الْبَقَرَة: ٢٦٧.

يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[١].

(وَإِلّا تَصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُ يُضِلَّنَا) اقتباس من الآية: **﴿وَ إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[٢] أي إنْ لم تعني على نَفْسِي أكن من الجاهلين (وَإِلّا تَقِنَا خَبالَهُ): فساده (يَسْتَزِلَّنَا) يوقعنا بالزلل، والخطايا (فَاقْهَرْ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ...) هبّ لنا من لدنك صبراً عن الحرام، ونصراً على الهوى حتّى لا نعصيك في جميع الحالات (تَحْبِسَهُ عَنَّا بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لَكَ) حثثت على الدُّعاء، ووعدت بالإجابة، وقد دعونا أنْ تصدّ عنا كلّ مكروه، وتوسّلنا بك، وأكثرنا، فكن لدعائنا مجيباً، ومن ندائنا قريباً.

قوله عليه السلام: (**اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي...**) مطلوبي وهو قضاء حوائجي، فقد أنزلتها بك دون سِواكَ (وَلاَ تَمْنَعْنِي الإجَابَةَ، وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي) بقولك: **﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**[٣]، ثُم بيّن الإمام عليه السلام هَذِهِ الْحَوَائِجِ بقوله: (وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِيْ...) هذا هو هَم الْمُؤْمِنِ، وهمته:

الصّلاح، وعمل الْخَيْر في الدُّنْيَا، والنّجاة، والخلاص في الآخرة، لا التّكاثر، والتّفاخر (مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ، وَمَا نَسِيتُ...) واضح، وتَقَدَّمَ مثله[٤].

قوله عليه السلام: (**وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ...**) أسترشدك بدعائي بكلّ ما فيه صلاحي في الدُّنْيَا، وفوزي في الآخرة (غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ) أنْتَ يا إلهي تسمع الشّاكين إليك، ولا تمنع الْمُتَوَكِّلِين عَلَيْكَ، وأنا منهم، وأيضاً أنا من (المُعَوَّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ) لقد عوّدت الّذين يتعوذون بك، ويلوذون، أنْ لا تردهم خائبين (الرَّابِحِينَ فِي التِّجَارَةِ عَلَيْكَ) أي منك كقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ إِذَا**

---

(١) سورة النّساء: ١٢٠.

(٢) سورة يوسف: ٣٣.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) انظر، الدُّعاء، الثّاني والعشرون من الصحيفة .

اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[(١)] أي من النّاس، والمجرور متعلق بالراجين، والمعنى من عمل صالحاً لوجه اللَّه تعالى زاده من فضله، والإمام يسأل اللَّه أنْ يجعله من العاملين له لا لسواه، ومن (الْمُجَارِيْنَ بِعِزِّكَ): المحفوظين بعناية اللَّه، وحراسته (الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلاَلُ...) ولا شيء أجلّ وأحلّ من لقمة يأكلها المرء بكدحه، وسعيه لا بالرياء، ورداء الصّلحاء.

قوله عليه السلام: (الْمُعَزِّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ) أي بطاعتك، وكم من أُناس طلبوا العزّ بالنسب، والثّراء، والخداع، والرّياء فاتضعوا، وذلوا (وَالْمجَارِينَ مِن الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ) أجرني بعدلك، وقدرتك من كلّ ظَالِم (وَالْمُعَافَيْنَ مِنَ الْبَلاءِ بِرَحْمَتِكَ...) ارْحَمْنِي برحمتك، وامنن عليّ قبل الْبَلاء بعافيتك، وأيضاً اغنني بفضلك عن النّاس، وأبعدني بعنايتك عن الخطإ، والْخَطِيئة، ووفقني للعمل بطاعتك...

وكلّ ذلِكَ تَقَدَّمَ مراراً، وتكراراً. وأخيراً اجعلني في الآخرة من (السَّاكِنِينَ فِي جِوَارِكَ) ومن سكن في جوار العظيم الْكَرِيمِ فهو في حرز حارز، وحصن مانع من كلّ سوء.

قوله عليه السلام: (اللَّهُمَّ أعْطِنَا جَمِيعَ ذلِكَ...) إشارة إلى كلّ ما تَقَدَّمَ من صحة الأبدان، والأديان إلى وفرة الأرزاق، والسّكنى في جوار الرَّحْمَانِ (وَأعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُسْلِمَاتِ...) ختم الإمام دُعَاءه هذا بالرجاء أنْ يوفق سبحانه، ويسهل السّبيل إلى ما ذكر، وسأل لنفسهِ، ولذويه، وَأهْل التَّوْحِيد، لأنّ من أخص خصائص الْمُؤْمِن أنْ يكون متعاوناً مع الجميع. وفي الحديث:

«للمؤمن على أخيه الْمُؤْمِن ثلاثون حقاً... ويُحِبُّ له من الْخَيْر ما يُحِبُّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه»[(٢)].

---

(١) سورة المطففين: ٢ .

(٢) انظر كتاب الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٣٤، أمالي الطّوسي: ٤٧٨، المجموع: ٩ / ١٥٣، المحلى: ١١ / ١٤٣.

«المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحُمّى»[1] هذا، إلى أنّ العلاقة ما بين أفراد المجتمع الواحد حتمية لتشابك المصالح، ووحدة المصير، انتهى.

(١) روي هذا الحديث بألفاظ متعددة كما جاء في حواشي الشرواني: ٩ / ١٨٠، كتاب المؤمن: ٣٨ ح ٨٥ و ٨٦، الكافي: ٢ / ١٦٦، شرح أصول الكافي: ٩ / ٣٤، العهود المحمدية: ٥٨٨، البداية والنّهاية: ٧ / ٤٧، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٣ / ٢٣٥.

الفصل الثالث

الأُمومة الفاشلة

ما يؤدي لفشل الأُمومة في إدارة الأُسرة وتربية الأولاد

والكلام أولاً عن أسلوب الأم مع أولادها الإناث ثم أسلوبها مع أولادها الذكور:

أسلوب الأُم مع أولادها الإناث

ما ذكرناه في تصرفات الأب من الخلفية والداعي يجري هنا بعينه، فإن كل تصرف للأم سوف يكون نابعاً عن خلفية ما، وعندما تكون الخلفية هي الحب والمودة فالأسلوب سوف يكون غالباً أسلوباً ناجحاً في التربية، وإذا كان الأسلوب ناتجاً عن الخليفة الانتقامية فسوف يكون فاشلاً.

وكذلك ما ذكرناه من الثواب والعقاب على هذه الخلفية.

وقد قسمنا تعاطي الأب مع أبنائه الى مرحلتين (السنّ المبكر والسنّ المراهق) فكذلك علاقة الأُم ببناتها تخضع لهاتين المرحلتين:

أما المرحلة الأولى:

وهو السنّ الذي تحتاج فيه البنت الى العطف والحنان والتصابي لها باللعب والى الرعاية الصحية والبيئية والمدرسية.

وتقدم الكلام في الأمور التي تؤدي الى فشل الأُبـوة بـالتفصيل، فـلا داعـي لإعادتها هنا ، نعم هناك خصوصية للبنات من جهة الحنان والعطف وقد يترجم ذلك بإكرامهن بهدية أو غيرها من وقت لآخر شرط عدم حرمان بقية الأولاد، مع الحذر من الوقوع في الأذية أو إثارة الغيرة .

أما المرحلة الثانية:

وهي بلوغ الفتيات سنّ التاسعة الى السابعة عشرة، وهنا الكـلام تـارة عـن مرحلة البلوغ وأخرى عن مرحلة النضـوج:

أما مرحلة البلوغ فللأُم دور كبير وحساس في هذه المرحلة (البلوغ) لما لهذه المرحلة من الأهمية على الفتيات .

والأفضل أن يُقام حفل لبلوغها سنّ التكليف أمام صـديقاتها لتشـعر بأنـها تنتقل من جوٍّ الى جوٍّ ومن حالة الى أخرى، لأن الفتاة في بداية هذا السن وخاصة في هذه الأزمنة لا تعي كل الأمور وقد تأخذ أمر الحجاب على نحو التقيد بالعادات.

ثم على الأُم توعيتها على حقيقة الحجاب وأنّ أثره أساسي في صيانة شرف وعفة الفتاة، وأنه واجب إلٰهي مفروض على كل مسلمة، كما كانت خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء وزينب عليهنّ السلام من الملتزمات به وهنّ نعم الأسوة الحسنة والقدوة الفذَّة.

كما ويجب على الأُم تعليم ابنتها الأحكام الشرعية المتعلقة بالفتيات كي تكون ملتزمة بالواجبات الشرعية مبتعدة عن المحرمات، فتقوم بالإشراف عـلى كـيفية غُسلِها ووضوئها وتطهير النجاسات....

أما مرحلة النضوج

وهو ما بعد سنّ الثالثة عشرة تقريباً عند بعض الفتيات أو بعد سن الرابـعة

عشرة عند الأخريات، فهنا تحتاج البنت الى مراقبة حثيثة من قبل الأُم، خاصة فيما يتعلق بخروجها خارج المنزل وجلوسها مع صديقاتها ونوع المدرسة التي تدخلها، وإلى مراقبة جلوسها على شاشة التلفزة وصفحات الأنترنت كما تقدم في الفصل الثالث عند الكلام عن علاقة البنت بالأب، فلا داعي للإعادة.

لكن للأم دور مهم في حياة ابنتها لملازمتها لها طيلة السنوات السابقة، فهي تعرف شخصية ابنتها وطريقة حياتها ونوع منطقها وما هو الأسلوب الذي يؤثر فيها أكثر، ومن هنا على الأُم وبالتنسيق مع الأب مراقبة أو معالجة ما يريانه شاذّاً عن الطبع العام أو منافياً للآداب والأخلاق الإسلامية مما يدخل في الإضطرابات السلوكية.

وقال: إن (الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية التي تصيب الطفل في حداثته والرجل في مستقبله تكون نتيجة المعاملة الخاطئة للأبوين... كتناقضات أسلوب المعاملة ، كالتذبذب بين التسامح والشدة... والتدليل والإهمال ، وتكون نتيجة هذه التطورات إما خلق روح العدوان والجنوح وبرود العاطفة والإحباط والوسواس من ناحية أو المغالاة في الاعتماد على الغير والسلوك المدلّل وضعف الشخصية من ناحية أُخرى)[1].

ولكي تستفيد الأُم من هذه المرحلة في علاج ابنتها عليها دراسة أوضاع البنت السابقة (في المرحلة الأولى المتقدمة)، لأنّ الفتاة قبل سنّ التاسعة الى سنّ الثالثة عشرة ـ وهي بدء المرحلة الثانية في حياتها ـ كان لديها عادات وتقاليد ومشاكل وكان لها ما تحبه وتهواه من اللباس والطعام ومشاهدة التلفزيون بأفلامه المتنوعة، وما هو مناسب لشأنها، وطريقة عيشها ونوع صديقاتها.

وكان لها ما تكرهه وتخشاه من صعاب الحياة وتعقيداتها.

---

(١) أضواء على النفس البشرية ، للدكتور الزين عباس عمارة : ٣٠٢ ـ دار الثقافة ١٤٠٧ هـ ط١، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٦٥ ، مركز الرسالة، قم ..

فعلى الأُم الإلتفات إلى تلك المرحلة وتفاصيل حياة ابنتها لتستفيد منها في هذه المرحلة وتعرف ما يصلح ابنتها وما يفسدها، وإلا فالأُم التي تجهل مرحلة بناتها السابقة ولم تكن تراقبهن ولا تهتم بأفعالهن المختلفة يصعب عليها فهم بناتها في المرحلة الثانية الحساسة والمعقدة خصوصاً في هذه الظروف التي نعيشها والتطور المهم الذي يساء الاستفادة منه.

كما وعليها معرفة خروج البنات الناضجات الى أين ومع مَن حتى لو كان في النهار، وإذا استطاعت منعها ليلاً فهو أفضل فيما إذا كان الخروج منفرداً، وقد تقدم عند الكلام عن علاقة الأب بابنته.

وعلى الأُم مراقبة ابنتها والانتباه إليها عند جلوسها على شاشات التلفزة وصفحات الأنترنت: وهو أمر خطير في هذه الأزمنة، حيث إن هذه الشاشات المتنوعة والصفحات المختلفة كما فيها المعلومات العلمية المفيدة، فيها أيضاً المفاسد الأخلاقية والشبهات العقائدية بل والمشاهد الإباحية، فإذا لم نعلم باستفادتها لذلك على أي طريقة فسوف تقع البنت في رذائل الأخلاق أو تتعلق في شبهات يصعب التخلص منها بسهولة.

وذكرنا أن للأب دور مهم في ذلك إلّا أن الأُم دورها أهم لأن تواجدها في المنزل أكثر منه، ومعرفتها بابنتها أوسع، ووقتها يسمح لها بمُراقبتها أثناء جلوسها على شاشة التلفزة أو صفحات الأنترنت، نعم إذا كانت تستفيد منهما خارج المنزل فالأب أقدر على ذلك.

أما توعية الفتاة إلى ما يرتبط بالحياة الزوجية فهو أمر متعيّن على الأم في الظرف والوقت المناسبين مع قدرتها على ذلك أو بتوسط امرأة صالحة وموثوق بها، لأن غالبية المشاكل الزوجية تنشأ من جهل الفتاة بالحياة الزوجية الجديدة التي سوف تنتقل إليها وقد ذكرنا ما يشير إلى ذلك في الفصل الثاني.

ولذا على الأُم عند معرفتها بقرب ارتباط ابنتها بالحياة الزوجية توعية ابنتها

على هذا الواقع الجديد، وشرح حقيقته التي تختلف عن بيت الأب والأُم والتي كانت فيه تتلقى الأوامر ويصل كل شيء الى خدمتها، فتعدها لما ينتظرها في بيتها الجديد المختلف تماماً، إذ هي سيدة ذلك البيت وهي من يهيىء الطعام واللباس، وهي المشرفة على كل الوضع الداخلي حيث تناط بها أعباء المسؤولية، ناهيك عن الوضع العاطفي المناط بها للزوج والأولاد.

ونحن لسنا ممن يشجع على الزواج العشوائي، وبما أن طبائع وميول البنات والأهل تختلف، فلدينا نماذج من الزواج المبكر والزواج المتأخر، وربما يرجع الأمر في بعض أسبابه إلى الظروف المعاشيّة والمادية والدراسية، وعلى كل حال التوجيه التربوي مطلوب ولو دار الأمر بين محذورين: الزواج المبكر المستلزم لترك الدراسة وبين البقاء على مقاعد الدراسة مع الوقوع في كثير من المتاهات والشبهات والانحرافات فإن الأول مقدم لا محالة، وإن كان أصل الزواج المبكر له إيجابياته في ذاته بشرط أن تكون كل وسائله جاهزة.

نعم إذا لم تجد الأُم ميل ابنتها للزواج فإن الأفضل عدم التحدث معها في تفاصيل الموضوع، لما له من الآثار السيئة على وضعها، خاصة إذا كانت في السنوات الأولى من النضوج. بل تتكلم معها في التوجيه العام وضمن النصائح العامّة، ولو على نحو سرد التجارب الناجحة أو الفاشلة للزوجات في بيت أزواجهنّ من وقت إلى آخر.

ولا بدّ من أن نعرف أن العلم الديني والأكاديمي في هذه الأزمنة مهم للفتاة بل هو سلاح وضامن لنكسات الدهر، وقد أثبتت التجربة لدينا نحن معاشر العلماء ومن هم منخرطون في العمل الاجتماعي والجمعيات الخيرية أن المرأة المتعلمة تستطيع أن تحافظ على بيتها وعلى تربية أولادها وتعليمهم، وعلى التفاهم مع زوجها أكثر من غير المتعلمة، وأنها لا سمح الله إذا جار الدهر عليها سواء بقيت عزباء أو توفي زوجها، فإنها بواسطة علمها تستطيع أن تتدبر أمرها، ويكتب لها

التفوق والنجاح أكثر من غيرها في العمل، خاصة في هذه الأزمنة التي صعبت فيها الوظائف وقلت فيها فرص العمل المناسبة للنساء، لما في بعض الوظائف من الإهانة لشخصية المرأة وتقديمها كسلعة دعائية لترويج بعض الأعمال، ناهيك عن الوظائف التي تؤدي في كثير من الأحيان الى هتك عرضها وبيع شرفها وإظهار محاسنها.

فنصيحتي للأمهات والآباء بل والفتيات أن لا يتركوا طلب العلم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَلا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بُغَاةَ الْعِلْمِ**»[1].

وقال عليه السلام: اطلب العلم من المهد الى اللحد[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مروا أولادكم بطلب العلم»[3].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتألف له وتعليمه وتأديبه»[4].

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «...وأمّا حق الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه...»[5].

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليه المرجئة»[6].

كان أمير المؤمنين عليه السلام يشجّع على تعليم الأطفال شعر أبي طالب عليه السلام، فعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر

(١) الكافي: ١ / ٣٠ ح ١.

(٢) انظر تفسير الأمثل: ٣ / ٥٠٤.

(٣) كنز العمال ١٦ : ٨٥٤ ح ٤٥٩٥٣.

(٤) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٦.

(٥) تحف العقول : ١٩٤.

(٦) الكافي ٦ : ٤٧ ح ٥ باب تأديب الولد.

أبي طالب وأن يدوّن ، وقال : تعلّموه وعلمّوه أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير» [١].

وكما حثّ عليه سبحانه وتعالى حيث فضّل المتعلمين ورفعهم درجات على غيرهم فقال عز من قائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [٢].

---

(١) مستدرك الوسائل ٢ : ٦٢٥ .

(٢) سورة المجادلة: ١١ .

دور الأُم على نحوَين

للأُم دور مهم في حياة ابنتها الزوجية، إن وجدت الثقة بينهما، وسببه أنّ البنت تعتبر -في الغالب- أُمّها قدوةً لها وتحاول استشارتها في الكثير من المشاكل أو إخبارها بها أو تقليدها في الأسلوب والكيفية، وهي مع ذلك تلازمها في أكثر أوقاتها فتكتسب منها العادات السيئة أو الحسنة.

وتأثير الأُم يتصور في نحوين:

١ ـ التصور الإيجابي:

ويتمثل في تقليد البنت لأُمها واتباعها في الأمور الحسنة التي وفّقت لها الأم في حياتها الزوجية والاجتماعية، فهي تقلدها في تهيئة الطعام اللذيذ والشهي وترتيب المنزل والعناية بالطفل وغسل الثياب وكل الأمور التي تتعلق بالنساء عادة وليُعلم أن للأم الأجر والثواب في ذلك عند الله تعالى، بل هي من الصدقات الجارية التي تُحسب لكلِّ أُمٍّ مربية تهتم ببناتها، وكلما كانت الفتاة سعيدة في حياتها الزوجية عاد الثواب للأم والأب ودعا لها الزوج بالخير والصلاح.

ولا بدّ للفتاة أن تعرف أنّ التقليد له حدوده، إذْ أنّ رغبات وعادات زوجها قد تختلف عمّا عليه والدُها، كما ولابدّ أن تعرف حياتها العامّة في بيتها الزوجيّ التي قد تختلف إلى حدٍّ كبير عمّا كانت عليه في زمانها الخاص سابقاً أي في بيت أهلها.

ولذا على الزوجة الجديدة في ما يتعلق بالأمور المنزلية العامة ـ مراقبة رغبات ومزاج زوجها فهل يحبّ هذه الكيفية أو تلك الطريقة، سواء في التعاطي في

شؤون البيت أم في مظهرها وتجمّلها له ؟!

ولتعلم الفتاة أنّ عزّ سعادتها في تكيُّفها المبرّر مع رغبات زوجها والتقرب إليه بما يرضيه ما دام لم يكن هناك معصية لله تبارك وتعالى، وبذلك لها الأجر والثواب عند الله تعالى، وتكون قد أرضت ربّها وأسعدت بيتها وتستحق بذلك شفاعة فاطمة الزهراء عليها السلام، والزوج حتماً سوف يحفظ لها هذا الجميل.

ولا يصح قياس زوجها بأبيها أو بغيره لأن الرجال يختلفون في بعض الخصوصيات، فمثلاً إذا كان أبوها يحب اللون الأحمر فزوجها قد يحب الأخضر، وإن كان والدها يحب الشاي الثقيل فزوجها قد يحبه خفيفاً، وما يهم الزوجة هو رضى زوجها وسعادتها داخل تجربتها التي تخصّها في داخل بيتها .

فالزوجة الناجحة تعدّل ما تعلمته عند أُمها بما يتناسب لإسعاد زوجها وعائلتها، وتعمل جاهدة كي لا تعكر مزاج حياتها الزوجية، وهذا أمر واضح بل هو مسلم عند العقلاء وفي شرع الأديان .

وقفة عند العشرة الزوجية:

ـ بعض الرجال إذا آوى إلى نومه يحب أن تكون زوجته معه أو أن لا تتأخر عنه.

ـ بعض الرجال لا يرضى بتأخر الزوجة خارج البيت إلى ما بعد أذان المغرب، ولو كانت عند الأرحام.

ـ بعض الرجال لا يحب انخراط الزوجة في جلسات القهوة الصباحية ما دام هو في البيت.

ـ بعض الرجال لا يحب سهر الزوجة عند الجيران وهو في البيت .

والأمزجة مختلفة كثيراً فيما بينهما، سواء عند الرجل أم المرأة، والحياة المستقرة والسعيدة تكون بمراعاة مشاعر الآخر، ويتأكد ذلك في الزوجة التي هي أشبه بالبلسم العاطفي للأسرة.

والخلاصة: على الزوجة الناجحة الطامحة لحياة مستقرّة وسعيدة أن تتعرف على طبائع زوجها وعلى ما يحب ويسعده أو على ما يكرهه ويبغضه، فتقوم بما يُمليه عليها واجبها الزوجي وضميرها الإنساني وإن كان مخالفاً لما تعودته عند أُمها أو رأته عند غيرها، وما دام من المقدور وداخل دائرة الاستطاعة.

٢ ـ التصور السلبي:

إن تجربة الأم الفاشلة قد تنعكس سلباً على ابنتهاالزوجة اذا كان الجهل هو الحاكم في البيت، وفقد الوعي كلّ مقوماته، وعندها لا مانع أنّ تتكرر الصور التالية:

١ ـ فضح عيوب البيت كالخلافات وغيرها.

٢ ـ كشف أسرار البيت كأسرار عمل الأب الخاصة والمال المدَّخر، والكلام الذي يدار، والعادات المتبعة لأفراد الأسرة والأوضاع المحرمة...

٣ ـ سوء التعاطي بين الزوجين ومع الأولاد...

والزوجة الصالحة بالطبع لا تتوسط في مثل هذه الأمور، حتى لا تخرب بيتها بيدها، إلّا أنه مع الجهل ننتظر كل شئ !!.

وعليه لابدّ من الحذر عند طلب الفتاة المتزوجة استشارة أمّها في أمورها الخاصة، لأنّ الأمر على درجة من الخطورة والحساسيّة، كما سنرى.

مشورة الأم

إنّ المشورة التي تعطيها الأُم غالباً ما تبنى على أمرين:

أ ـ الأمر العاطفي:

هناك فرق كبير بين العاطفة المطلوبة في محلها وبين العاطفة التي يغيب معها العقل والإنصاف، بحيث يصدق «ومن الحب ما قتل»، والأم قد تغلب عاطفتها عقلها

فتبالغ في عطفها على ابنتها المتزوجة، وبالأخص في مرحلة الزواج الأولى، فتقف مع ابنتها عند نشوب أي خلاف مع زوجها وتعطيها الحق من دون حجة ولا برهان، ممّا يؤجِّج المشكلة بصورة أشد وأكبر، أو يؤسس لمشكلة، ونماذج المشاكل من هذا القبيل كثيرة في مجتمعنا.

نموذج:

زوج صالح حاول تتويج مشكلته التي انتهت بسلام تقديم هدية صغيرة لزوجته، إلّا أنّ الأم ـ الحماة ـ فسّرت ذلك لابنتها بأنّ ذلك دليل على أنّه هو المذنب والمخطئ بحقها.

ألا ترى أن هذه فتنة أشدّ من القتل؟!

ألا ينبغي على الزوجة الحذر من تفسير أمها للحادثة؟!

ألا ينبغي على الأم أن تحكِّم عقلها وتغلِّبه على عاطفتها في المقام؟!

أليس الأفضل من الأم أن تبارك هذه الهدية أو لا أقل أن لا تتدخّل في الأمر؟!

لما تريد الأم نقل تجربتها الفاشلة إلى بيت ابنتها !!

إن من الأمور التي تقلق السعادة الاجتماعية عامة والزوجية خاصة هو التفاعل السلبي مع كلام الناس وحمل كلامهم أو تصرفاتهم على المحمل السيىء، وقد نهى عنه الله سبحانه ورسوله ﷺ حين قال في كتابه: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم﴾[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتّىٰ يأتيكَ ما يغلبكَ منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيكَ سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[2].

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) الكافي: ٣٦٢/٢، ح٣.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا اتّهم المؤمن انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء**»[١].

وورد عن عيسىٰ عليه السلام: «**صدّق أخاكَ وكذّب بصركَ**»[٢].

إنّ من الصفات السلبية المنتشرة بين عامّة الناس اتّهام الآخرين بأفعالهم وسوء الظنّ بهم، بحيث إنّ فاعل الخير أصبح يساوي فاعل الشرّ في بعض الأحيان، مع أنّ القرآن نهانا عن الظنّ بالسوء، وأمرنا أن نتبيَّن قبل الاتهام ونحمل أفعال وأقوال الناس علىٰ الصحّة والخير.

وكذلك أهل البيت عليهم السلام حثّوا شيعتهم علىٰ عدم اتّهام المؤمنين المؤثر ضعفاً على إيمان القلب.

وسوء الظنّ يؤثر على ثقة الناس ببعضهم البعض وله تداعيات اقتصادية وإنسانية، فيقلّ عمل الخير وينتشر الفساد من جرّاء تبادل التهم بين الناس وإذا أصيب المجتمع بعدم الثقة، فمن أين السبيل للوحدة والأخوة والتعاون؟!.

فلا بدّ من الحذّر من سوء الظنّ، والعمل على تعويد أنفسنا علىٰ حسن الظنّ بالآخرين وحمل كلّ أفعالهم وأقوالهم علىٰ أحسنها، ولو كان فيها نوع شكّ وشبهة نؤوّله لنجد له محملاً حسناً، وتصديق الآخر أفضل من تكذيبه على كل حال.

لماذا يريد الإنسان أن يرى القذاة في عين أخيه وينسى ما في عينه، فكما الناس تخطيء نحن نخطيء أيضاً؟

لماذا نحب أن يُغفر خطأنا ولا نحب أن نغفر خطأ الآخرين!؟

علينا أن نعمل جادين على نشر فكرة المحمل الحسن في أوساطنا وبين أُسَرنا لأنها نقطة الوصل ورابطة المحبة ووصية أهل البيت عليهم السلام .

عندما أسمع خيراً عليّ أن أفرح وأشجع وأحث غيري عليه، وأتجنّب تأويله

---

(١) الكافي: ٢/٣٦١، ح ١.

(٢) الوسائل: ١٢/٢٩٦.

بما يناسب النفس الأمارة بالسوء.

وكذلك على الزوجة والزوج أن يفسرا كلامهما على أحسن الأوجه وأفضل المحامل، وأن يستبعدا كل محمل أو احتمال سيىء يخطر بالبال مما هو من فعل الشيطان الذي يريدنا أن نبتعد عن ثقافة الرحمة والإنسانية التي جاء بها محمد وآل محمد عليهم السلام.

ب ـ تكرار تجربتها مع زوجها:

قد تقوم الأُم بحلّ مشكلة ابنتها بناء على تجربتها مع زوجها وبالأسلوب الذي اعتادت عليه، وهو أمر في غاية الخطورة، لبداهة أن الأزواج تختلف أحوالهم وأمزجتهم في كثير من الأمور، فمن الأزواج من هو هادىء صبور ومنهم من هو عصبي سريع الغضب، ومنهم من يحب نوعاً من التعامل وقد يكرهه الآخر، ومن الأزواج من هو اعتاد على الأسلوب المتمدِّن ومنهم من هو قروي تعود على عادات وتقاليد محلَّته، ومنهم من يرغب في الثقافة العلمانية أو الغربية ومنهم من يرغب بالثقافة الإسلامية وهكذا، فلكل زوج خصوصية تختلف عن الآخر، فلا يمكن توحيد الأساليب كما لا يمكن توحيد الأمزجة والعادات.

ومن هنا فأسلوب الأُم إن نجح مع زوجها فهو قد لا ينجح مع زوج ابنتها، نعم على الزوجة الحاذقة أن تعرف ما يناسب زوجها فإن كان هو الأسلوب الذي أشارت به أمها أو تعلمته منها أو من أقاربها فَنِعِمّ هو وإلا عدلت الى غيره بما يبقي على السعادة الزوجية ويبعدها عن التوترات.

وعلى الأُمهات فتح المجال أمام بناتهن للتعلم والتثقف في الدين، خاصة ما يفيد تقوية الحياة الزوجية أو معرفة كيفية حل مشاكلها، لأن البنت قبل الزواج تكون عادة في المدرسة وثقافتها ثقافة مدرسية لا تمت الى الحياة الزوجية بصلة، وعند الزواج تنتقل مباشرة الى بيت زوجها الجديد الذي يختلف كلياً عن بيت أمها

وأبيها، فتنتقل إليه من دون معرفة بتفاصيل هذه الحياة أو حدودها أو أحكامها الشرعية، فكيف تريد أن تتفاهم وتتأقلم مع الزوج بما يتناسب مع منطقه وطبعه عند حدوث المشاكل.

فمسؤولية الأُمهات كبيرة تجاه بناتهن من حيث توعيتهن وتعليمهن وإرسالهن الى الدروس الدينية والاجتماعية أو إدخالهن في دورات ثقافية تعنى بالشأن الاجتماعي العام أو بالحياة الزوجية بشكل خاص، ونِعمَ الأم التي تحوّلت إلى مربية تربوية لأولادها وأحفادها وقد جرت على لسانها حكمة الحياة.

أسلوب الأُم مع أولادها الذكور

تقدمت أساليب الأب مع أولاده الذكور وذكرنا هناك بعض الأساليب، كما ذكرنا خلفيتها، وهي تجري هنا مع الأُم، فتسأل هل الخلفية انتقامية؟ أوهل الخلفية والداعي لتنبيه الولد هو الخوف على مستقبله وعدم الانجرار وراء الشهوات ؟

فقبل استعمال أي أسلوب من قبل الأُم عليها أن تقتنع وبأنه لمصلحة الولد ولفائدته، مع مراعاة زمن التنبيه أو العقاب ومكانه كما تقدم سابقاً.

كما وعلى الأُم دراسة أسباب تصرفات الأولاد القبيحة وغير الأخلاقية، ودرس دوافع هذا التصرف قبل اتخاذ الأسلوب المناسب له وعليها أن تتساءل لماذا قام الآن بهذا التصرف ولم يقم به من قبل ؟

وهل كانت المرة الأولى مثلاً ؟ وهل كان مضطراً لذلك ؟

وهل أُحرج على هذا التصرف ثم ندم بعد ذلك وتاب عنه ؟

وهل كان السبب في ردة فعل الولد هو سوء تصرف الأم والأب؟

إنَّ كل ذلك سوف يؤثر على الأسلوب المتخذ تجاه هذا الفعل، وعلى النتيجة التي نريدها أن تكون بعد تأنيب الولد، إذ المفروض أن الهدف من التأديب هو إصلاح حاله .

وكما ذكرنا سابقاً فإنّ للولد الذكر مراحل يمرُّ بها ويحتاج فيها الى عناية وتربية وهي:

١ ـ مرحلة الحمل .

٢ ـ مرحلة سنّ الطفولة (دون ٧ سنوات) .

٣ ـ مرحلة سنّ اللعب (دون ١٢ سنة) .

٤ ـ مرحلة سنّ المراهقة (فوق ١٢ سنة) .

٥ ـ مرحلة سنّ النضوج (فوق ٢١ سنة) .

وقد فصلنا الكلام عنها فيما يتعلق بتصرف الأب مع أولاده الذكور، وبعض ما قلناه يفيد هنا للأمهات خاصة فيما يتعلق بالتوجيهات العامة التي لا دخل للرجولة بها، وسنتكلم عن هذه المراحل الخمس فيما يتعلق بالأُم ويختص بها فنقول:

١ ـ مرحلة الحمل:

فعلى الأُم العناية بنفسها عند الحمل، من جهات: من جهة نوع الطعام والشراب وحليته، ومن جهة مكان التواجد فتبتعد عن أمكنة الفسق والفجور ومجالس الغناء واجواء العصبيّة والأمراض النفسية .

وإذا اضطرت لأخذ شيءٍ من الأدوية عليها مراجعة الطبيبة المختصّة.

وتحافظ على طهارتها المعنوية والمادية، فتقلل من البقاء على الجنابة، وتبقى على وضوء في النهار وقبل النوم فهو أفضل لها ولجنينها .

على الأُمهات بذل الجهد والإعتناء بكل أمر له دخالته في وضع الولد وأخلاقه وسلوكه، ولأهمية هذا الموضوع لا بأس ببسط الكلام فيه :

أثر نفس الأُم الحامل على تكوين جنينها

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: بالرغم من أن الأب والأُم كليهما يشتركان في صنع الخلية الأولى للطفل ويتساوى دورهما فيه - ولهذا نجد أن الأطفال يكتسبون بعض صفاتهم من آبائهم وبعضها من أمهاتهم - لكن الرحم هو الذي يصنع الطفل ويخرج تلك الذرة الصغيرة بصورة إنسان كامل.

وإن جميع الاستعدادات التي كانت كامنة في تلك الخلية الأولية تظهر إلى عالم الفعلية في رحم الأُم، إذن فالمقدرات التفصيلية للطفل من الصلاح والفساد، والجمال والقبح، والنواقص والكمالات، الظاهرية والباطنية كلها تخطط في الرحم.

والرحم هو المرحلة الأخيرة للتكوين قبل نزوله إلى الحياة الأرضية:

هناك مئات التفاعلات والتأثيرات الاختيارية والاتفاقية تمر في طريق أصلاب الآباء وأرحام الأُمهات، وتؤثر في الأطفال بصورة خفية حيث تظهر نتائجها جميعاً في الرحم.

والرحم هو آخر مراحل التأثيرات المختلفة الطارئة على تكوين الطفل، وعند عبوره هذه المرحلة يبدأ الحياة على الأرض.

إذن فالسعادة والشقاء التكوينيين للإنسان يجب البحث عنهما في آخر المراحل وهو رحم الأُم. ولهذا نجد الرسول الأعظم ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام بالرغم من عنايتهم الشديدة بالتأثير المشترك لأصلاب الآباء وأرحام الأُمهات حول سعادة الطفل وشقائه يوجهون جل اهتمامهم إلى رحم الأُم فيقولون: «السعيد

سعيد في بطن أمه، والشقي شقي في بطن أمه»[١].

إن (رحم الأُم هو المحيط الأول الذي ينشأ به الإنسان، ولهذا المحيط تأثيراته الإيجابية والسلبية على الجنين لأنه الإطار الذي يتحرك فيه، ويعتبر الجنين جزءاً من الأُم، تنعكس عليه جميع الظروف التي تعيشها الأم، وقد أثبتت الدراسات العلمية تأثير الأُم على نمو الجنين الجسدي والنفسي، فالاضطراب والقلق والخوف والكبت وغير ذلك يترك أثره في اضطراب الوليد عاطفياً)[٢].

لقد (أثبت الواقع الاجتماعي والواقع العلمي بدراساته المستفيضة الأثر الحاسم للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين الطفل ونشوئه، وانعكاسات الوراثة والمحيط عليه في جميع جوانبه الجسدية والنفسية[٣] فأغلب الصفات تنتقل من الآباء والأمهات والأجداد الى الأبناء، كالذكاء والاضطراب السلوكي وانفصام الشخصية والأمراض العقلية والانضباط الذاتي، وصفات التسامح والمرونة، فيكونون وسطاً مساعداً للانتقال أو يكون في الأبناء الاستعداد للاتصاف بها، إضافة إلى انعكاس العادات والتقاليد على الأبناء، نتيجة لتكرر الأعمال[٤] وأكدّ الإسلام على الزواج الانتقائي، أي بانتقاء الزوجين من أسرة صالحة وبيئة صالحة)[٥].

ولسوف يأتي تأثير حالات الأم على الجنين

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٨٩.

(٢) علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ٤٦ ـ ٤٧، ولنا نقاش في كلمة (هو المحيط الأول) التي لا تناسب الفكر الإسلامي.

(٣) علم النفس التربوي، للدكتور فاخر عاقل: ٤٥ ـ ٥٧ (دار العلم للملايين ١٩٨٥ م ط ١١).

(٤) علم النفس العام، للدكتور انطون حمصي ١: ٩٤ ـ مطبعة ابن حبّان دمشق ١٤٠٧ هـ.

(٥) تربية الطفل في الإسلام: ٢٨، مركز الرسالة، قم.

أثر غذاء الأُم على الجنين

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: هذا هو جواب السؤال الذي بدأنا به الحديث، وهو أنه لماذا اعتبرت الروايات رحم الأُم هو الملاك في السعادة والشقاء، وأغفلت ذكر صلب الأب؟ إنه لا مندوحة لنا من القول بأن دور الأُم في بناء الطفل يفوق دور الأب بكثير. نعم لو اكتفينا بملاحظة دور الأب والأُم في تلقيح البويضة بواسطة الحيمن لإيجاد الخلية الأولى للطفل لكانا متساويين في ذلك الدور، إلا أن الواقع أن الأُم تتحمل في دور الحمل مسؤولية كبيرة وبالخصوص فيما يتعلق بأسلوب تغذي الأُم ونوعه.

إن دور الآباء في البناء الطبيعي للطفل ينتهي بعد انعقاد النطفة وحصول التلقيح، لكن دور الأُم يستمر طيلة أيام الحمل، فالطفل يتغذى من الأم، ويأخذ منها جميع ما يحتاجه في بنائه. ولهذا فإن لسلامة الأُم ومرضها، طهارتها ورذالتها، سكرها وجنونها ... أثراً مباشراً في الجنين.

«إن الأب والأُم يساهمان بقدر متساو في تكوين نواة البويضة التي تولد كل خلية من خلايا الجسم الجديد ولكن الأُم تهب علاوة على نصف المادة النووية كل البروتوبلازم المحيط بالنواة، وهكذا تلعب دوراً أهم من دور الأب في تكوين الجنين».

«إن دور الرجل في التناسل قصير الأمد.

أما دور المرأة فيطول إلى تسعة أشهر، وفي خلال هذه الفترة يغذى الجنين بمواد كيمياوية ترشح من دم الأُم من خلال أغشية الخلاص».

إن الطفل أشبه ما يكون بعضو من أعضاء الأُم تماماً، عندما يكون في بطنها. وجميع العوامل التي تؤثر في جسد الأُم وروحها تؤثر في الطفل أيضاً.

إذا ابتلي أب - بعد انعقاد النطفة - بشرب الخمرة أو العوارض الأُخرى فإنها لا

تؤثر في الطفل ، لأن صلة الطفل بأبيه إنما تكون ثابتة إلى حين انعقاد النطفة فقط ، لكن صلة الأُم تستمر لمدة تسعة أشهر ، وعليه فإذا أقدمت الأُم - في أيام الحمل - على شرب الخمر فإن الجنين يسكر ويتسمم أيضاً . إن أحد أسباب سلامة هيكل الطفل ورشاقة قوامه ، أو عدمها في أيام الحمل يتعلق بالغذاء الذي تتناوله الأُم وهي حامل .

وكذلك الغذاء الذي كان يتناوله الأب قبل انعقاد النطفة .

«إذا كانت نطفة الأب مسمومة حين الاتصال الجنسي فإن الجنين يوجد ناقصاً وعليلاً ، وهذا التسمم ينشأ من تناول الأطعمة الفاسدة ، أو معاقرة الخمرة . إذن يجب الاجتناب عن الاتصال الجنسي حين التسمم والسكر بالخصوص»[١] .

«لقد قام أحد الأطباء الحاذقين في أوروبا بجمع إحصائيات دقيقة للنطف التي تنعقد في ليلة رأس السنة المسيحية فوجد أن ٨٠ ٪ من الأطفال المتولدين من تلك النطف ناقصو الخلقة وذلك لأن المسيحيين في هذه الليلة يقيمون أفراحاً عظيمة وينصرفون إلى العيش الرغيد والإفراط في الأكل والشرب ويكثرون غالباً من تناول الخمرة إلى حد يجرهم إلى المرض، وبما أن المطاعم وحانات الخمور تستقبل أكبر كمية من الزبائن في هذه الليلة فإنه يتعذر على أصحابها أن يطعموهم الأطعمة السالمة تماماً ويتموا بشأنها كغيرها من ليالي السنة»[٢] .

«يصاب بعض الأطفال في الأيام الأولى من أعمارهم بقروح وجروح تسمى (أكزما الأطفال) وهذه القروح لا تزول إلا بعد أن تعذب الوالدين لمدة طويلة ، وهي ناتجة من سوء تغذي الأُمهات في أيام الحمل . فإن الأُم لو أكثرت في أيام الحمل من

---

(١) إعجاز خوراكيها ، تأليف سيد غياث الدين الجزائري ص ١٥٣، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي : ١ / ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٤ .

أكل التوابل والأطعمة الحارة كالخردل والدارسين[١] وما شاكل ذلك فالطفل يصاب بالأكزما»[٢].

«إن الفواكه والخضراوات التي تحتوي فيتامين (B) تعتبر العلاج القطعي للكنة اللسان.

والأُم التي تتناول من هذا الفيتامين أيام حملها، فإن جنينها يأخذ بالتكلم مبكراً ولا يصاب باللكنة »[٣].

«إن المشروبات الروحية تعتبر خطرة جداً للحوامل لأنها بغض النظر عن التسمم الذي توجده، تهدم الفيتامينات التي تحتاجها الأُم والجنين أيام الحمل، فينشأ الطفل ناقصاً ومشوهاً»[٤].

«إن تناول الأطعمة الفاسدة واللحوم بالخصوص - حيث تؤدي إلى التسمم - يجعل لون الجنين داكناً مائلاً إلى الاصفرار »[٥].

الغذاء والجمال

يرى العلم الحديث أن للأطعمة تأثيراً خاصاً في صباحة وجه الأطفال ورشاقة قوامهم ولون شعرهم وعيونهم، وفي كل مظاهرهم، وكذلك الروايات والأحاديث فإنها لم تُغفل الإشارة إلى أثر الأطعمة والفواكه والخضراوات والبقول، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام نظر إلى غلام جميل، فقال: «ينبغي أن يكون أبو هذا أكل سفرجلاً ليلة الجماع »[٦].

---

(١) الدارتشين بالفارسية وهو القرفة.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٥.

(٣) إعجاز خوراكيها ص ١٧٦.

(٤) المصدر السابق ص ١٧٧.

(٥) المصدر السابق ص ١٦٨، عنه الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٨٩.

(٦) مكارم الأخلاق ص ٨٨.

وهناك حديث آخر بشأن السفرجل : « ... وأطعموه حبالاكم فإنه يحسن أولادكم»[١] .

وعن النبي ﷺ أنه قال : «أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر ، فإن ولدها يكون حليماً تقياً » [٢].

الحوادث غير المتوقعة

يخضع الطفل في أيام الحمل لتأثيرات أمه ، وإن جميع الحوادث التي تقع للأبوين تؤثر فيه ، ويُصنع الطفل بموجبها، فقد يصادف أن تقع بعض العوامل في أيام الحمل فتؤدي إلى سعادة الطفل، وقد يكون العكس حيث تؤدي إلى شقائه و سقوطه أو انعدام حياته تماماً.

لنتصور مسافراً يركب سيارة ويقصد منطقة نائية جداً بحيث يطول سفره تسعة أشهر فهناك العديد من المخاطر في طريقه ، فمن المحتمل في كل لحظة أن يقع في هوة سحيقة ، أو وادٍ عميق أو تصطدم سيارته بجبل، أو يقذف إلى نهر ، أو تكسر يده ،أو يجرح بدنه ، وقد يصادف أن يطوي ٩٩ ٪ من مجموع المسافة ، ويبقى له ١ ٪ فقط فتصادفه عقبة كأداء أو حادثة سيئة في ذلك الجزء الأخير ، فلا يمكن التأكد من وصول المسافر إلى مقصده بسلام إلا بعد أن يترك السيارة ويتجه إلى منزله الأخير.

وهكذا النطفة التي تنعقد في رحم الأُم لأول لحظة ، فهي كالمسافر الذي استقل واسطة النقل ، وعليه أن يقطع المراحل الطبيعية طيلة تسعة أشهر.

فهناك المئات من العراقيل والمخاطر تقع في طريقها، وفي كل لحظة يمكن أن

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٨٨.

(٢) المصدر السابق ص ٨٦، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي : ١ / ٨٩.

تقع حادثة تؤدي إلى سقوط الجنين وموته ، أو تحدث فيه نقصاً وانحرافاً ، وقد يصادف أن يقطع الجنين ثمانية أشهر من حياته بسلام ، وفي الشهر الأخير يصاب ببعض العوارض ، ولا يمكن القطع بسلامة الطفل واجتيازه المراحل كلها ، وتولده سعيداً إلا بعد أن يتولد سالماً ، ويخرج إلى الدنيا الخارجية .

ولهذا فإن قسطاً كبيراً من النجاح الباهر الذي أحرزه بعض العظماء في العالم وبالأخص الأنبياء والأولياء عليهم السلام يرجع إلى (سلامة المولد) ، وكذلك الانتكاسات التي تحدث لبعض الأفراد فإنها ترجع إلى انحرافات الدور الجنيني .

طهارة المولد

إن القرآن الكريم يعبر عن رجلين من هؤلاء العظماء بسلامة المولد وهما يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم عليهما السلام ، يقول القرآن في حق يحيى: ﴿ وسلام عليه يوم ولد﴾ [(١)].

ويقول على لسان المسيح ابن مريم: ﴿والسلام علي يوم ولدت﴾ [(٢)].

والسلام بمعنى : عموم العافية . أي : الطهارة الكاملة للبدن والروح .

وهذه الحقيقة أي سلامة المولد متساوية في حق جميع الرسل والأنبياء والأولياء عليهم السلام .

والنكتة الأخرى التي يجب التنبه إليها هي : أن القرآن عبّر عن السلامة في دور الرحم بسلامة يوم الولادة ، وذلك لأن السلامة في تمام ذلك الدور لا تعرف إلا بعد

---

(١) سورة مريم ، الآية : ١٥ . والسلام قريب المعنى من الأمن والمراد كون المحلّ بحيث كل ما يلقاه الإنسان فيه فهو يلائمه من غير أن يكرهه ويخاف منه وهذا ما جاء في «الميزان في تفسير القرآن»: ١٤ / ٢١، وقيل سلامةٌ وأمنٌ له يوم ولد من عبث الشيطان به وإغوائه إياه كما في «مجمع البحرين» المجلد الرابع: ١٦ / ٢٠.

(٢) سورة مريم ، الآية : ٣٣ .

ولادة الطفل سالماً ، واجتيازه تلك المراحل كلها بنجاح حيث تنقطع صلته تماماً برحم أمه .

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا بشر بولد ، لم يسأل : أذكر هو أم أنثى ؟ بل يقول : أسويٌّ ؟ فإذا كان سوياً قال : **الحمد لله الذي لم يخلقه مشوهاً** »[١] .

ولا ريب فلسلامة المولد قيمتها ، إذ إنها هي السبب الأول في نشوء الولد السوي الذي تنبض فيه روح السعادة والإنسانية والصفاء .

مصدر السعادة والشقاء

يتضح مما سبق مدى أهمية رحم الأُم في سعادة الطفل وشقائه، فيه يتقرر مصير الإنسان وسلوكه بنسبة كبيرة، فبعض الأطفال يبتلى بقسم من العيوب والنواقص العضوية ويولد معها، البعض الآخر من الأطفال نجدهم سالمين من حيث القوام البدني ، ولكنهم مصابون ببعض الانحرافات والعوارض النفسية والروحية.

إن الانحرافات البدنية والنفسية كثيرة ، وهناك الكثير منها لا يزال مجهولاً لدى العلماء حتى اليوم ، إلا أن قسماً كبيراً من تلك العاهات يمكن الاتقاء منها عند إحراز السلامة البدنية والنفسية للآباء والأُمهات.

ولا بأس بتسليط الأضواء على هذه العاهات للحذر منها.

---

(١) مكارم الأخلاق ص ١١٩ ط إيران .

العاهات العضوية

عاهات عدة:

١ - «بقاء الجدار الداخلي للبطن مفتوحاً ، وحينئذ يؤدي إلى خروج الأحشاء إلى الخارج (خلف الجدار الخارجي) وإيجاد انتفاخ ظاهر» .

٢ - «الفتق السري الناشيء من عدم انسداد الحبل السري قبل الولادة» .

٣ - «عدم التحام جدار السرة وحصول شقٍّ في مقدم البطن إلى جهة الطحال».

٤ - «عدم التحام القفص الصدري بعظم القفص وفي هذه الصورة يكون القلب سطحياً وواقعاً خلف الجلد مباشرة . وفي بعض الأحيان نجد بقاء قسم من الرئتين خارج القفص الصدري »[١].

أما في الوجه :

١ - «شق الشفة: وينشأ هذا العيب من عدم التصاق الأنسجة الرابطة بين أجزاء الفك أو الأنف، هذه العاهات قد تؤدي إلى ظهور أثر جرح ، أو كشق صغير على جانب واحد من جانبي الشفة».

٢ - «شق **القحف** : هذا الشق ينشأ من عدم اتصال الأنسجة بين عظام الجمجمة».

٣ - «عدم انسداد الفتحة الواصلة بين العين والأنف هذه الفتحة التي تبدأ من الجفن الأسفل للعين وتمتد إلى جهة الفم ، قد تبقى مفتوحة أحياناً » .

(١) جنين شناسى ص ٥٧، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٩٠ ـ ٩٢.

٤ – «اتساع فتحة الفم أكثر من المعتاد . وهو ناشيء من عدم التيام الأخدود الواصل بين أنسجة الفك الأعلى والأسفل» .

٥ – «وقد يؤدي توقف أنسجة الوجه عن النمو إلى ظهور العاهات وبعض الحفر في الوجه »[(١)].

أما في الهندام :

١ – «توقف بعض أجزاء الأطراف عن النمو ، وفي هذه الصورة قد نجد الأطراف ملتصقة بالجسد مباشرة من دون وجود الساعد أو الساق » .

٢ – «ظهور أطراف زائدة – كاملة أو ناقصة – وهذا التشويه ينشأ في الغالب من انقسام الأنسجة الأولية » .

٣ – «عدم التناسق في اتصال مفاصل الرجلين وفي هذه الصورة تكون الأصابع في خلف القدم والكعب في الجانب الأمامي »[(٢)] .

أما في الجهاز الهضمي :

١ – «انسداد المريء ، وعلامته تقيؤ الطفل للحليب في اليوم الأول فور ارتضاعه».

٢ – «ضيق فتحة المريء حيث يؤدي فيما بعد إلى مشاكل كثيرة في بلع الأطعمة الصلبة – غير السائلة – » .

٣ – «الضيق الناشيء قبل الولادة لفتحة فم المعدة ، والنمو غير الاعتيادي للعضلة التي تغلق هذه الفتحة » .

---

(١) جنين شناسى ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٣ .

٤ - «انسداد ثقب المخرج، أو أدائه إلى غيره من الحفر كالمثانة ونحوها »[١].

هذه نماذج مختصرة للعاهات والنواقص التي تصيب جسم الطفل ، وهي كثيرة ، فجميع أجزاء البدن سواء الجهاز العظمي والجهاز التناسلي والقلب والعروق الدموية والمخ والأعصاب خاضعة للتأثر بتلك العاهات، وقد تكون خطرة جداً إلى درجة أنها تؤدي إلى نشوء رأسين على رقبة واحدة ، أو بدنين على ظهر واحد...

ولقد حدث مثل هذا الحادث في زمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ جاءته امرأة ولدت من زوجها الشرعي طفلاً له بدنان ورأسان على حقو[٢] واحد ، فتحيروا في حصته من الإرث ، هل يعطونه حصة واحدة أم حصتين ، فصاروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يسألونه عن ذلك ليعرفوا الحكم فيه ، فكان جواب الإمام عليه السلام : **«اعتبروا إذا نام ثم أنبهوا أحد البدنين والرأسين . فإن انتبها معاً في حالة واحدة فهما إنسان واحد . وإن استيقظ أحدهما والآخر نائم ، فهما اثنان وحقهما من الميراث حق اثنين»** [٣].

والسر في هذا القضاء العادل والحكم الدقيق واضح ، لأنه اعتبر ملاك الحكم هو المركز العصبي ، إذ عليه المعول في توجيه الإنسان ، فإن كانت قيادة واحدة توجه البدنين والرأسين فهو شخص واحد ، ولكن إذا كان يدير كل قسم جهاز عصبي مستقل عن الآخر ، فهما بدنان ، وأحسن طريقة لمعرفة أن الجهاز العصبي الذي يدير الجسم في هذا الإنسان واحد أو اثنين هو إيقاظه من النوم ، فكما أن

---

(١) جنين شناسى ص ١٠٩، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٩٣ ـ ٩٤، وكما ورد في كتب التواريخ فإن الحجاج بن يوسف الثقفي كان مصاباً بهذه العاهة ، فقد كان فاقداً للدبر حين الولادة ، ثم ثقبوا له موضعه (انظر تتمة المنتهى ص ٩٨).

(٢) ورد (الحقو) بمعنى سطح الجبل في بعض كتب اللغة ، والظاهر أنه يستعمل بمعنى (الظهر) أيضاً، كما تدل على ذلك القرينة في المقام .

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٩ ص ٤٨٥ الطبعة القديمة .

الشخص الواحد تدار عيناه بواسطة جهاز واحد ، وهما يشبهان مصباحين مربوطين بزر واحد يشتعلان ويطفآن معاً ، فلا يمكن أن تكون إحدى العينين يقظة والأخرى نائمة ... كذلك الرأسان والعيون الأربع ، فإن كانت تدار كلها بجهاز عصبي واحد ، فلا يمكن أن يقوم أحد الرأسين بهدوء ، ويبقى الثاني نائماً، إذ يدل هذا على أن لهما دماغين مختلفين يصدران إرادتين متباينتين ، فيستجيبان لمؤثرين متضادين ، فكأنهما طفلان نائمان في فراش واحد متشابكان تماماً يستيقظ أحدهما قبل الآخر .

وبالرغم من خفاء كثير من أسباب هذه الانحرافات على البشر ، فإن لنا أن نقطع بأن حدوث أي عيب في الخلية التناسلية الأولى يؤدي إلى أن يصير الطفل في وضع غير اعتيادي ، كما ثبت ذلك في بعض الحيوانات حين أجريت تجارب عديدة عليها .

«لقد استطاع «شابري» أن يوجد أجنة غير اعتيادية بإيجاد خدوش في الخلايا الأولية وقد نال هذا الإبداع بالخصوص استحساناً بالغاً ، لأن إجراء الاختبارات على خلايا بيضة لا يتجاوز طولها ١ ٪ – ٢ ٪ المليمتر ليس أمراً سهلاً»[١].

العوارض الروحية

لا تنحصر العيوب والعاهات التي تصيب الطفل في رحم الأُم بالنوع البدني منها فقط ، فكثيراً ما يتفق إصابة الطفل بعوارض وانحرافات روحية فهي ليست ظاهرة بل كامنة ، ولكن الأُم هي التي أوجدت العوامل المساعدة لذلك الانحراف الكامن الذي لا يلبث بعد الولادة أن يظهر تدريجياً ، فيكشف الزمن عن أسرار عميقة كانت مكتومة في سلوك هذا الفرد حيث إنّ تلك الاستعدادات تأخذ بالظهور إلى

---

(١) تاريخ علوم ص ٧٠٦، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي : ١ / ٩٤ ـ ٩٥.

عالم الفعلية واحدة تلو الأخرى.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الأيام توضح السرائر الكامنة»[١].

وورد عن الإمام جواد عليه السلام: «**الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة**»[٢].

فمثل هذه الروايات تكشف بإطلاقها عما قلناه.

وقد ثبت علمياً أن الأُم المصابة بالسل والسرطان تكون عاملاً مساعداً في إصابة طفلها بنفس المرض، والأم المأسورة للانحرافات الروحية والسيئات الخلقية والصفات الرذيلة تكون تربة مساعدة أيضاً لانحراف سلوك الطفل وتفكيره أيضاً، وتأخذ تلك الانحرافات الروحية بالظهور بالتدريج في الطفل.

«إن ولد السارق مصاص الدماء، تكون قابليته على الإرادة الصحيحة من ولد المجنون، فإن الأفراد الذين يملكون انحرافات وراثية موجودون في جميع طبقات المجتمع، ويمكن العثور عليهم بين الأغنياء والفقراء والمثقفين والعمال والفلاحين ... كثيرون هم الذين ينهزمون أمام المشاكل لأبسط حادثة، والمتلونون الذين لا يستقرون على حال، ولا يقفون على تصميم وضعفاء الإرادة التائهون في خضم الحياة، والكسالى الذين يشبهون الجماد في خمولهم وجمودهم، والحساد الذين يكتفون من الحياة بتوجيه الانتقاد إلى الآخرين، وضعفاء العقول المصابون بالشذوذ العاطفي، والخلاصة أولئك الذين لا يتجاوز عمرهم العقلي أكثر من ١٠ سنين أو ١٢ سنة.

ومما لا ريب فيه أن هذا النقص منشؤه وراثي إلى حدٍّ بعيد، ولكن ليس بمقدورنا أن نعين نسبة العوامل الوراثية إلى العوامل التربوية (البيئية) في توليد هذه العاهات، ومع ذلك فإن النماذج الإفراطية من ضعف العقل والاختلال الروحي

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي ص ٢٨.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٧ / ٢١٤.

والبكم والبلادة تدل بوضوح على وجود عيوب وراثية -بدنية وروحية -»[١].

ومن هنا يتضح لنا السر في أن الدين الإسلامي الحنيف يعتبر الصفات الرذيلة والملكات الذميمة والتمادي في الاجرام في عداد الأمراض الخطرة، فالخُلق السيىء ليس سبباً للأمراض الروحية والعصبية فحسب ، بل يؤدي أحياناً إلى اختلالات بدنية عظيمة ، مما يؤدي إلى إصابة صاحب الأخلاق السيئة بأمراض جسدية ، وهكذا نجد الأُمهات المصابات بالانحرافات الخلقية والأمراض المعنوية يلِدنَ أطفالاً مصابين أيضاً .

وعلى كل حال فإنّ أحوال الأم تؤثر على الجنين كما قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: إن جميع الحالات الجسدية والنفسية للأم تؤثر على الطفل، لأن الطفل في رحم الأُم يعتبر عضواً منها ، فكما أن الحالات الجسمانية للأم والمواد التي تتغذى منها تؤثر على الطفل ، كذلك أخلاق الأُم فإنها تؤثر في روح الطفل وجسده كليهما . وقد يتأثر الطفل أكثر من أمه بتلك الأخلاق ، فإذا أصيبت الأُم في أيام الحمل بخوف شديد ، فالأثر الذي تتركه تلك الحالة النفسية على بدن الأُم لا يزيد على اصفرار الوجه ، أما بالنسبة إلى الجنين فإنه يتعدى ذلك إلى صدمات عنيفة .

«إذا حدث للمرأة في أيام الحمل حادث مخيف فإنه يتغير لونها ويقشعر بدنها لكن تظهر على جسم الجنين آثار امتقاع اللون تسمى بالخسوف»[٢].

وهكذا فإن هموم الأُم وغمومها ، غضب الأُم واضطرابها ، تشاؤم الأُم وحقدها ، حسد الأُم وأنانيتها ، خيانة الأُم وجنايتها ، وبصورة موجزة جميع الصفات الرذيلة للأم ... وكذلك إيمان الأُم وتقواها ، طهارة قلب الأُم وتفاؤلها ، صفاء الأُم وحنانها ، مروءة الأُم وإنسانيتها اطمئنان الأُم وراحة بالها ، شجاعة الأُم

---

(١) انظر كتاب: راه ورسم زندكى ص ١٥٦، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) إعجاز خوراكيها ص ١٧٢، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي : ١ / ١٠٦.

وشهامتها ، وبصورة موجزة جميع الصفات الحميدة للأم ... جميع هذه الصفات خيرها وشرها تترك آثارها في الطفل، وتبني أساس سعادة الجنين وشقائه . وهنا يتحقق قول النبي صلى الله عليه وآله : «**الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه**».

وإليك النص الآتي كشاهد من العلم الحديث: «إن الاضطرابات العصبية للأم توجه ضربات قاسية إلى مواهب الجنين قبل تولده ، إلى درجة أنها تحوله إلى موجود عصبي لا أكثر .

ومن هنا يجب أن نتوصل إلى مدى أهمية التفات الأُم في دور الحمل إلى الابتعاد عن الأفكار المقلقة ، والهم والغم ، والاحتفاظ بجو الهدوء والاستقرار»[1] .

إن الإسلام قام بجميع الاحتياطات اللازمة في موضوع الزواج للاهتمام بطهارة الأجيال الإسلامية ، وأمر بتعاليم دقيقة في الزيجات حول الجهات الروحية والجسدية للرجال والنساء .

ولقد رأينا فيما مضى كيف أن الإسلام منع من التزوج من المصابين بالحمق والجنون والمدمنين على الخمرة ولكنه لم يكتف في سبيل ضمان النشء الإسلامي بذلك الحدّ بل منع - في مقام الاستشارة - من تزويج الرجل يسيىء الخلق : «عن الحسين بن بشار الواسطي قال : كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام ان لي قرابة قد خطب إلي وفي خلقه سوء ، قال : **لا تزوجه إن كان سيىء الخلق** »[2] .

---

(١) ما وفرزندان ما ص ٢٧، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي : ١ / ١٠٧ .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي : ٥ / ١٠ .

الأمراض الوراثية

قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: لسلوك الأُم تأثير عميق في سعادة الأطفال وشقائهم،وعليه فالرجل الذي يأمل أن يحصل على ولد شريف وطاهر القلب لا بدّ له من أن يمتنع من التزوج من النساء البذيئات[١].

«لقد أثبت أطباء الأمراض النفسية أن من بين الأطفال المصابين بتلك الأمراض يوجد ٢٦ ٪ منهم ورثوها من أمهاتهم. إذ لو كانت الأُم ذات جهاز عصبي سالم، فإن الطفل يكون سالماً أيضاً. فلو كانت تفكر الأُم في صحة طفلها وسلامة جهازه العقلي فلا بدّ وأن تفكر في سلامة نفسها قبل تولده»[٢].

صحيفة تشهد

«إنه بالرغم من وجود الوسائل العلمية والعملية التي يملكها الغربيون في أوروبا وأمريكا نجد الأطفال المصابين بالعيوب والانحرافات يتولدون بنسبة هائلة.

وإليك الخبر الآتي: «يولد في الولايات المتحدة الأمريكية ٤٢٠٠٠٠٠ طفل سنوياً، ولكن مئات الألوف منهم مصابون بنواقص وعيوب ناشئة قبل الولادة، وأكثرهم يشكون من الأمراض القلبية، والشلل العصبي، والصرع، والعمى، والصمم، وغير ذلك.

---

(١) والسر في ذلك واضح لأن الفلاح الذي يريد الحصول على ثمرة صالحة لا بدّ له من أن يبذر بذرته في تربة صالحة. وإلا ففساد التربة يؤثر في الثمرة، لأنها تحيط بها وهي مصدر غذائها.

(٢) صحيفة (اطلاعات) الإيرانية العدد ١٠٣٥٥، عنه الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ١٠٨.

ومضافاً إلى ذلك فمن بين خمس نساء حوامل لا تفلح واحدة منهم في ولادة طفل حي والسبب في ذلك أمران : أحدهما الإجهاض . والآخر موت الطفل حين الولادة»[١].

هذا كله في المرحلة الأولى للأطفال.

وهنا نكتة مهمة :

وهي أن الأمراض الجسدية يمكن أن تُكتشف بسرعة لظهور بوادرها كالحمى وما شاكلها ، ولكن المصابين بالأمراض الروحية ومضاعفاتها ومخلفاتها ليس فيهم بوادر ومقدمات ، ولذلك فإن المصاب لا يلتفت إلى الخطر إلا عندما يتأصَّل فيه المرض ويستبدُّ به الانحراف ... حيث يكون أحياناً غير قابل للتدارك أصلاً .

ومن المؤسف له أن أكثر الناس في العالم وبالأخص في بلادنا يصرفون جل اهتمامهم إلى الجهات المادية فقط ، غافلين عن الجهات المعنوية ولهذا السبب بالذات فإنهم يتلقَّون الفضائل الخلقية والمثل الإنسانية والتقوى على أنها أمور حقيرة ليست على ذي بال حتى أن البعض يتصورون أنفسهم في غنى منها[٢].

والإسلام يؤكد على أنّ الانحرافات النفسية هي أمراض؛ قال الشيخ محمد تقي الفلسفي: إن الإسلام يعتبر الانحرافات الخلقية والصفات الرذيلة أمراضاً، ولهذا وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تعبر عنها بالأمراض ، إنه يعتبر المكر والخداع مرضاً فيقول في وصف المنافقين : ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا ... في**

---

(١) مجلة (أخبار هفته) الإيرانية الصادرة بتاريخ ٢٨ / ٢ / ١٣٣٨ هجرية شمسية، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي : ١ / ١٠٩ ـ ١١١ .

وبعد مثل هذه الإحصائيات نرجو أن يحكم القارىء الكريم من هم التقدميون ؟ !!.

(٢) الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي : ١ / ٩٧ ـ ٩٩.

قلوبهم مرض﴾ [١] وكذلك عندما منع القرآن نساء النبي وحريمه من التكلم بالرقة واللين فإنه علل ذلك من ناحية الخوف من طمع المستهترين الذين لا يعرفون للعفة وزناً ولا يدركون للشرف معنًى فنراه يقول : ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ [٢].

وهكذا يصرح الإمام علي عليه السلام بالنسبة إلى الحقد ، «الحقد داء دوي ومرض موبي»[٣].

ويقول بالنسبة إلى متابعة هوى النفس : «الهوى داء دفين »[٤].

وإليك نصاً عن أحد علماء الغرب بهذا الصدد : «لا يقل خطر الحسد عن ميكروب الطاعون الرئوي لأنه يجعل صاحبه يعمل لإضرار الآخرين أكثر من العمل لجلب المنفعة لنفسه . وهكذا الحقد والبغضاء وغيرهما من الصفات الرذيلة تعتبر معاول هدامة لا أكثر »[٥].

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٨ – ٩ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٢ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي ص ٣٥ طبعة دار الثقافة النجف الأشرف .

(٤) المصدر السابق ص ١٧ .

(٥) راه ورسم زندكى ص ١١٤، عنه الطفل بين الوراثة والتربية ، الشيخ محمد تقي الفلسفي : ١/ ١٠٣ .

أثر سوء الأخلاق على بدن الإنسان نفسه

«هناك بعض العادات التي تقلّل من القدرة على الحياة، كالأنانية والحسد والتعود على الانتقاد في كل شيء واحتقار الآخرين وعدم الاطمئنان بهم، لأن هذه العادات النفسية السلبية تؤثر على الجهاز السمبثاوي الكبير والغدد الداخلية، وبإمكانها أن تؤدي إلى اختلالات عملية وعضوية أيضاً»[١].

لقد أكدت روايات أهل البيت عليهم السلام أن الأخلاق السيئة والرذائل تجعل جسد مرتكبها مريضاً وضعيفاً فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**العَجَب لغفلة الحسّاد عن سلامة الأجساد**»[٢].

وقال عليه السلام: «**الحسد يذيب الجسد**»[٣].

وقال عليه السلام: «**الحسد يفني الجسد**»[٤].

وقال عليه السلام: «**الحسود دائم السقم**»[٥].

وقال عليه السلام: «**الحسود أبداً عليل**»[٦]

---

(١) راه ورسم زندكى ص ٨٧، عنه الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي الفلسفي: ١ / ١٠٥.

(٢) سفينة البحار مادة (حسد) ص ٢٥١ وغرر الحكم ص ٤٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي ص ٢٣.

(٤) المصدر السابق ص ٢٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٨٥.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٠ طبعة دار الثقافة – النجف الأشرف.

٢ ـ سنّ الطفولة (دون ٧ سنوات):

المرحلة الثانية للأطفال التي تحتاج الى عناية خاصة من قبل الأُم هي مرحلة السنوات الأولى للأطفال، وهي من سنّ الولادة الى السبع سنوات، وذكرنا بعض الأمور التي تتعلق بالمولود الجديد في الأُبوة الفاشلة فلا نعيدها، ونزيد هنا أن الأُم إن استطاعت البقاء على الطهارة عند إرضاع الطفل فهو مستحب ومفيد، ولتبقى بعيدة عما ذكرنا من التأثرات النفسية عند الحمل فهي تؤثر على الحليب أيضاً.

وعليها المحافظة على التوجيهات الطبية أو التجارب السابقة تجاه العناية بالطفل، فعند إرضاع الطفل عليها أن تضع يدها تحت رقبته وتحمله.

وعليها أيضاً الالتفات الى أُذنيه عند النوم حتى في حالة متوازية فإن ذلك يؤثر على استقامة الأذنين على كبر مما يضع الطفل في وضع محرج مع أصدقائه.

ولتحذر من إدخاله إلى الأماكن التي فيها دخان مضر خاصة في الغرف الصغيرة.

كما وعليها منعه من اللعب بالألعاب الحادّة والمؤذية.

كما ويحتاج الطفل في هذه المرحلة الى عاطفة زائدة والأمهات لا يحتجن في ذلك الى توصية رغم أنها كثيرة الجوانب ومُلئت بها الكتب والمكتبات.

أثر حليب الأُم

(الحليب هو المصدر الأساسي والوحيد لتغذية الطفل في الأشهر الأولى من حياته ، وأفضل الحليب حليب الأُم لأَنّ عملية الرضاعة لها تأثيرها على الجانب

العاطفي للطفل، والأم أفضل من تمنحه الحنان والدفء العاطفي بدافع غريزة الأُمومة التي أودعها الله تعالى في المرأة، حيثُ (تصب ركائز مشاعر الطفل وأحاسيسه من أولى أيام الرضاع)[١].

وتتوثق أواصر المحبة بين الطفل وأمه عن طريق الرضاعة، فيكون الطفل أقل توتراً وأهنأ بالاً وأسعد حالاً[٢].

وجاءت روايات أهل البيت عليهم‌السلام ووصاياهم مؤكدّة على التركيز على حليب الأُم، قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام: «ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه»[٣].

قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: «انظروا من ترضع أولادكم فإن الولد يشبُّ عليه»[٤].

قال الإمام محمد الباقر عليه‌السلام: **«استرضع لولدك بلبن الحسان، وإياك والقباح فإن اللبن قد يعدي»**[٥].

وقال: «عليكم بالوضاء من الظّؤرة فإن اللبن يعدي»[٦].

وجعل الاسترضاع من الكتابيات مشروطاً بمنعهنّ من شرب الخمر: فقال عليه‌السلام: «إذا أرضعن لكم فامنعوهنّ من شرب الخمر»[٧].

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، لمحمد تقي الفلسفي ٢ : ٨٢.

(٢) قاموس الطفل الطبي: ١١ ـ ١٦، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٤٦، مركز الرسالة، قم.

(٣) الكافي ٦ : ٤٠ ح ١ باب الرضاع.

(٤) الكافي ٦ : ٤٤ ح ١ من يكره لبنه ومن لا يكره.

(٥) الكافي ٦ : ٤٤ ح ١٢ باب من يكره لبنه ومن لا يكره.

(٦) الكافي ٦ : ٤٤ ح ١٣ باب من يكره لبنه ومن لا يكره. الوضاءة: الحسن والنظافة.

(٧) الكافي ٦ : ٤٢ ح ٣ باب من يكره لبنه ومن لا يكره.

الرضاع وكيفيته ومدته

ونهى الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام من الاسترضاع من المرأة الزانية والتي تكوّن لبنها بسبب الزنى فقال : «لا تسترضعها ولا ابنتها» [١].

وأمر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بالوقاية من لبن البغيّة والمجنونة فقال : «توقوا على أولادكم من لبن البغيّة والمجنونة فإن اللبن يعدي» [٢].

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله : «لا تسترضعوا الحمقاء فإن الولد يشبّ عليه» [٣]

وقال الإمام محمد الباقر عليه‌السلام : «إنّ علياً كان يقول : لا تسترضعوا الحمقاء، فإن اللبن يغلب الطباع» [٤].

ويؤكد علماء الطب على أن تكون الأم مستريحة وهي تقوم بعملية الرضاعة ثم تمس برفق وجنة الطفل ، ويجب ألا تحاول الأم إرغامه على توجيه رأسه نحو ثديها لأن ذلك يربكه ويحيره[٥].

قال الإمام جعفر الصادق عليه‌السلام لأُمّ اسحاق بنت سليمان : «**يا أمّ اسحاق لا ترضعيه من ثدي واحد وأرضعيه من كليهما يكون أحدهما طعاماً والآخر شراباً**» [٦].

وقال عليه‌السلام : «الرضاع واحد وعشرون شهراً فما نقص فهو جور على

(١) الكافي ٦: ٤٢ ح ١ باب من يكره لبنه ومن لا يكره .

(٢) مكارم الأخلاق : ٢٢٣ .

(٣) مكارم الأخلاق : ٢٣٧ .

(٤) مكارم الأخلاق : ٢٣٧ .

(٥) قاموس الطفل الطبي : ٣٣، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٤٨، مركز الرسالة، قم ..

(٦) الكافي ٦: ٤٠ ح ٢ باب الرضاع .

الصبي»[١].

وفي هذا الصدد تقول عالمة النفس «لويز كابلان» : (إنّ الطفل الذي ينعم بحنان أمه المتدفق خلال العام الأول والثاني من عمره يشعر بالأمان ، وعادة لا يشعر بالقلق أو الخوف فيتصرّف بتلقائية عندما يبلغ سن الثالثة أو الرابعة ، والطفل الذي يشعر بالطمأنينة يتمتع بالثقة بالنفس ويتعامل مع الآخرين بسهولة ويندمج مع الأطفال في مثل عمره) [٢].

(١) الكافي ٦ : ٤٠ ح ٣ باب الرضاع .

(٢) قاموس الطفل الطبي : ٢٥٧ ، عنه تربية الطفل في الإسلام: ٤٩، مركز الرسالة، قم .

٣ ـ سنّ اللعب (دون ١٢ سنة):

هي مرحلة مرّ تعريفها فتحسن الأم مراقبة الطفل ورعايته من كل الجوانب سواء من ناحية ألعابه، أو من ناحية أكله، أو ناحية درسه، فعليها مراقبة الألعاب التي يستعملها الولد أهي مؤذية وخطيرة أم لا ؟ خاصة اللعب بالمفرقعات النارية.

كما وعليها أن تلتفت الى طعام الطفل في هذه السنوات لأننا نتكلم عن مرحلة لعب ولهو للولد، فإن الأولاد في هذا الزمن يقل طعامهم فلا بدّ من الاعتناء بذلك وإجبارهم أحياناً على تناول الوجبات الرئيسية بالطرق المناسبة .

وكذلك عليها الالتفات الى دراسة الطفل في هذه السنوات ليكون تأسيس دراسته متيناً، فيسهل عليها فيما بَعْد رعايته من الناحية التعليمية، ولا ينبغي للأمهات الاتكال على المدرسة وجَوْدتها حتى لو كانت إسلامية أو كانت مشهورة بالاهتمام بالأولاد. وقد أثبتت التجارب أنّ دور الأهل مهم الى جانب المدرسة في التنشئة التعليمية .

٤ ـ سنّ المراهقة (فوق ١٢ سنة):

هو السن الذي ينفتح به الشاب على خارج المنزل، وتخف سيطرة الأهل عليه، ويظهر لديه النفور من الأب بسبب المراقبة والمحاسبة لتصرفاته وأفعاله القبيحة، وهنا يأتي دور الأُم اتجاهه في هذه المرحلة، حيث من ناحية سوف يلجأ الشاب إليها لنفوره من الأب أو لقساوة الأب بنظره، ومن ناحية هي قد عودته على الحنان والعطف والصدر الدافىء، فبطبيعة الحال سوف يلجأ إليها.

وعليه فدور الأم هنا ضمن أمور:

أولاً: على الأُم ترغيبه بالبقاء في البيت بالوسائل المناسبة له ولا تكتفي بتواجده فيه وقت الأكل والراحة ليُصار عندها الى التفاهم معه وإرشاده الى ما فيه صلاح لحاله وأحواله.

ثانياً: عليها التنسيق مع الأب لكي لا يحصل التعارض في الأساليب، كما لو قام الأب بمنع ابنه من المصروف لتقديره أنه ردع عن بعض الأعمال القبيحة كما لو كان يشتري به الدخان، فإذا قامت الأُم بإعطاء المال لولدها (لشدة العاطفة لديها) ومن دون معرفة الزوج تكون قد هدمت ما فعله الأب وما حاول به إصلاحه.

ثالثاً: الاستفادة من عاطفتها لإصلاح الشاب، فإن الشبان في هذه المرحلة مع اضطرابهم وتخبطهم يبقون يحنون قلبياً الى الأهل وإن ابتعدوا عنهم أو لم يصرحوا بذلك، وخاصة الى الأُم التي لها وقعٌ كبير عندهم، فعلى الأُم هنا استغلال ذلك لمنع الولد من التمادي في الخطأ والعمل السيىء، وإفهامه أن ذلك من أجل مستقبله ومصلحته لا الإنتقام منه، ولو أساء فهم أساليب والده معه فتفهمه أنّ

أسلوب الأب وإن كان غير مناسب فهو غير متعمد، وأنَّ لديه محبة له وخوف على مصلحته، بل تظهر له قلق وألم والده من أجله عند خروجه من المنزل غضبان أو من دون طعام أو من دون مصروف، إلى غير ذلك من المواقف العاطفية الحكيمة والتي لن تعجز عنها الأُم المربية تجاه فلذة كبدها.

والخلاصة على الأُم أن تلتفت الى عاطفتها الكبيرة والحكيمة تجاه الشباب المراهق، وتحولها الى هداية وتربية.

٥ ـ سنّ النضوج (فوق ٢١ سنة):

هي مرحلة النضوج والتعقل كما تقدم في تعريفها، ويكون فيها قد اكتسب تجربة وعلماً، وركزت في فكره الآراء المتناثرة، وعلم ماذا يريد وما يحب، كما يكون قد استفاد من والديه وعنايتهما به وحسن تربيتهما له في المراحل السابقة بسبب تظافر الجهود من قبل الأب والأُم .

وسوف يتفاعل الشاب في هذه المرحلة مع أسرته ويظهر لهم من علمه وخبرته أو هجرته ولو ضمن قدرات محدودة.

ولو كان هناك تقصير من قبل الوالدين في التربية والارشاد والحنان فإنهم سوف يندمون لعدم صلاح هذا الشاب وفلاحه في علمه و عمله أو هجرته .

تنبيه:

عند تقصير الأب في التربية ـ سواء لإهماله أم تقصيره وعند غيابه بموت أو سفر ـ على الأم تحمل المسؤولية كاملة، بما يتعلق بتربية الأبناء ومستقبلهم أو بإدارة شؤون المنزل العامة، لأنه هو التكامل الطبيعي بين دور الأب ودور الأم، فهي تمارس دور الأب بالنيابة مع ممارسة دورها كأمّ حنون، وهذا الدور المزدوج مطلوب في الحالة الاستثنائية ويكشف عن حكمة الأم ووعيها وعظمة موقفها، وأيُّ خلل آنذاك في الدورين سوف ينعكس سلباً على سلوك الأولاد..

وقد شاهدنا الكثير من الحالات التي كانت المرأة تأخذ دور الأب ـ لسبب من الأسباب ـ وكانت ناجحة في مهمتها الصعبة، وهو يدل على كفاءة المرأة وقدرتها

على خوض الصعاب.

نعم على المرأة التي زوجها حاضر ولديه تقصير في ذلك أن تعطيه الثقة بنفسه وترفع من مستواه أمام الأسرة والناس، ليعود الى فطرته وتحمله مسؤوليته إن أمكن، وإن كان غير قادر على ذلك فلا بد أن تمارس الوظيفتين بحكمة وجدارة، ولتُظهر أمام أولاده أن هذا بأمر منه ورضاه.

ولا تنغر المرأة بقوة شخصيتها وقدرتها على إدارة المنزل لأن قوتها إنما كانت نتيجة ضعف زوجها أو تخليه عن مسؤوليته، وهو خلاف الطبيعة البشرية والسنن الإلهية ﴿**الرجال قوّامون علىٰ النساء بما فضّل الله بعضهم علىٰ بعض**﴾[1].

وأيُّ استغلال غير سليم لدور الرجل سوف يفضي إلى كثير من العواقب التربوية السيئة.

الفرق بين الرجل والمرأة

قال تعالىٰ: ﴿**مَن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة**﴾[2].

من ناحية التكاليف الإلهيّة وثوابها وآثارها لم يفرّق سبحانه بين المرأة والرجل سوىٰ ما يختصّ بكلّ منهما كإحرام المرأة والرجل في الحجّ أو ستر البدن ونحو ذلك.

بل نطقت الآيات الكثيرة بأنّهما سواسية في الأجر والثواب والجزاء، ومن يعمل منهما خيراً يجزى به.

وكذلك من ناحية الهويّة والعنصر والإنسانيّة، قال تعالىٰ: ﴿**يا أيُّها الناس إنّا**

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) النحل: ٩٧.

خلقناكم من ذكرٍ وأُنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[١].

فجعل سبحانه وتعالىٰ الشعوب والقبائل مؤلّفة من الذكر والأُنثىٰ علىٰ حدّ سواءٍ ولا تفاضل بينهما إلّا بالتقوىٰ والعمل الصالح.

كما وتشترك المرأة مع الرجل في الفكر والعقل والإرادة وحسن الاختيار، وكذا في العاطفة، كلّ علىٰ حسب استعداده، والزيادة والنقصان تكون علىٰ حسب تقوية هذه الوظائف والقوىٰ.

نعم هناك فروقات خَلقيَّة وفطريّة فجسم المرأة على العموم ألطف وأنعم، على خلاف جسم الرجل. والإحساسات اللطيفة أغلب على العموم عند المرأة من الرجل كالحبّ والعاطفة ورقّة القلب والميل إلىٰ الجمال والزينة. وكذا التعقّل وتقرير الحجّة غالباً عند الرجال أكثر منه عند النساء.

لذا فرّق سبحانه بين وظائفهما التي تتأثّر بالإحساسات والتعقّل، فمنعها الشرع مثلاً عن منصب القضاء والحكم والولاية وأسقط عنها الجهاد في غير مورد الدفاع عن النفس، وأمرها بالتربية وتدبير المنزل[٢]. قال تعالىٰ: **﴿الذي أعطىٰ كلّ شيءٍ خلقه ثمّ هدىٰ﴾**[٣]. وقال: **﴿الذي خلق فسوّىٰ والذي قدّر فهدىٰ﴾**[٤].

وقال سبحانه: **﴿فأقم وجهكَ للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم﴾**[٥].

كما خصّها الله سبحانه بأحكام تناسب صنفها كوجوب الحجاب وغيره.

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) مستفاد من كلام العلّامة الطباطبائي مع تلخيص وتصرّف، تفسير الميزان: ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧٤.

(٣) طه: ٥٠.

(٤) الشمس: ٨.

(٥) الروم: ٣٠.

دور المرأة الاجتماعي

قال العلّامة الطباطبائي: إنّ الإسلام ساوىٰ بين المرأة وبين الرجل من حيث تدبير شؤون الحياة بالإرادة والعمل، فإنّهما متساويان من حيث تعلّق الإرادة بما تحتاج إليه البنية الإنسانيّة في الأكل والشرب وغيرهما من لوازم البقاء، وقد قال تعالىٰ: ﴿ **بعضكم من بعض**﴾[1] فلها أن تستقل بالإرادة ولها أن تستقل بالعمل وتمتلك نتاجهما، كما للرجل ذلك من غير فرق، ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾.

فهما سواء فيما يراه الإسلام ويحقّه القرآن والله يحقّ الحقّ بكلماته غير أنّه قرّر فيها خصلتين ميّزهما بها الصنع الإلهي:

إحداهما: أنّهما بمنزلة الحرث في تكوُّن النوع ونمائه فعليها يعتمد النوع في بقائه فتختصّ من الأحكام بمثل ما يختصّ به الحرث وتمتاز بذلك عن الرجل.

والثانية: إنّ وجودها مبني علىٰ لطافة البنية ورقّة الشعور ولذلك أيضاً تأثير في أحوالها والوظائف الاجتماعيّة المحوّلة إليها. فهذا وزنها الاجتماعي، وبذلك يظهر وزن الرجل في المجتمع، وإليه تنحلّ جميع الأحكام المشتركة بينهما وما يختصّ به أحدهما في الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿ **ولا تتمنّوا ما فضلّ الله به بعضكم علىٰ بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إنّ الله كان بكلّ شيءٍ عليما**﴾[2]، يريد أنّ الأعمال التي يهديها كلّ من الفريقين إلىٰ المجتمع هي الملاك لما اختصّ به من الفضل، وأن من هذا الفضل ما تعيّن لحوقه بالبعض دون البعض، كفضل الرجل علىٰ المرأة في سهم الإرث، وفضل المرأة

---

(١) آل عمران: ١٩٥.

(٢) النساء: ٣٢.

علىٰ الرجل في وضع النفقة عنها، فلا ينبغي أن يتمنّاه متمنّ، ومنه ما لم يتعيّن إلّا بعمل العامل كائناً مَن كان، كفضل الإيمان والعلم والعقل والتقوىٰ وسائر الفضائل التي يستحسنها الدين، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، واسألوا الله من فضله، والدليل علىٰ هذا الذي ذكرنا قوله تعالىٰ بعده: ﴿الرجال قوّامون﴾، علىٰ ما سيجيء بيانه[1].

(١) تفسير الميزان: ٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٢.

الفصل الرابع

البنوّة الفاشلة

ما يؤدي الى البنوة الفاشلة

نعني بفشل البنوة هو الفشل في برّ الوالدين وطاعتهما لأنه من وفق لطاعتهما وبرهما فقد أحرز رضا الله سبحانه وتوفيقه وتأييده كما سيأتي معنا، ولأهمية بر الوالدين استُحبَّ لنا نحن الأبناء أن نصلي ركعتين تحت عنوان: «صلاة الولد لوالديه» وهي عبارة عن ركعتين يقرأ في الأولى الفاتحة وعشر مرات: ربِّ اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب. وفي الثانية الفاتحة وعشراً: رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات. فإذا سلم قال عشر مرات: ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً[1].

وهناك عدة أمور تكشف لنا عن ذلك نستعرضها تباعاً:

١ ـ الجهل بقدر الوالدين:

أول أمر يبرهن لنا على فشل الأبناء في حياتهم مع آبائهم هو عدم معرفة قيمة الوالدين وجليل قدرهم وعظيم حقهم.

قال تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ۞ وَاخْفِضْ**

---

(١) كتاب الباقيات الصالحات ص ٧٢.

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[١].

قال إمامنا زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «فحقّ أُمّك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأطعمتكَ من ثمرة قلبها ما لا يُطعم أحدٌ أحداً، ووقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها ـ مستبشرة فرحة ـ محتملة لما فيه مكروهها وألَمها وثِقلها وغمّها، حتىٰ رفعتها عنك يدُ القدرة، وأخرجتك إلىٰ الأرض، فرضيت أن تجوع وتُطعمكَ، وتعطش وتُرويك، وتعرىٰ وتكسوك، وتُضحّي وتظلك، وتنعمك ببؤسها، وتلذّذك بالنوم بأرقها، وكان بطُنها لك وعاءً، وحجرُها لك حواءً، وثديها لك سقاءً، ونفسها لك وقاءً...

وأمّا حق أبيك، فأن تعلم أنّه أصلُك وأنّكَ فرعه، وأنّكَ لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسكَ ممّا يُعجبكَ فاعلم أنّ أباك أصلُ النعمة عليكَ فيه..»[٢].

كلّ ما أُتي به الإنسان من خير وفضائل في الحياة الدنيا أو شعر به من سعادة وسرور، فإنّ أصله وأساسه هو الوالدين، فينبغي للإنسان أن لا ينسىٰ ذلك، ويستمر في الدعاء لوالديه في صلواته، وأن يشكر الله ويشكر الوالدين علىٰ هذه النِّعم التي ظهرت عليه.

٢ ـ ترك طاعة الوالدين:

الأمر الثاني الذي يؤدي الى فشل الأبناء في التعامل مع آبائهم هو ترك الطاعة التي أوجبها الله تعالى عليهم وهو المعبر عنه بعقّ الوالدين.

عندما يتخلى الإنسان عن الالتزام بطاعة الله وطاعة الوالدين يبدأ الفشل في حياته.

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ١١/١٦٠، ح ١٢٦٦٤، البحار: ٧١/١٥.

والمراد بالطاعة هنا تنفيذ جميع أوامر ومطالب الأب والأُم التي بتركها يتأذّيان، باستثناء ما كان فيه معصية لله تعالىٰ، إذْ طاعة الله مقدّمة علىٰ طاعة الوالدين، ويمكن إظهار موارد طاعة الوالدين فيما يلي:

ففي موارد الواجبات الشرعية: كأن يأمر الوالدان الأولاد بالصلاة والصوم والجهاد والأمر بالمعروف أو ترك معصية كأمرهما بترك الكذب والغيبة وسوء الظنّ وظلم الآخرين وأذيّتهم، فمن الواضح في مثل هذه الموارد يجب طاعة الوالدين وتنفيذ أوامرهما، إضافة إلىٰ وجوب ذلك ابتداءً علىٰ كلّ مكلّف من قبل الله.

وفي موارد المحرّمات الشرعية: كأن يأمر الوالدان أولادهم بالسرقة والظلم وضرب الزوجة وإهمال تربية الأولاد وإفشاء الفساد في المجتمع، ففي مثل هذه الموارد تسقط طاعة الوالدين وتقدّم طاعة الله الآمرة بترك هذه المحرّمات والابتعاد عنها.

وفي موارد المستحبّات الشرعية: كأن يأمر الوالدان أولادهم بدعاء كميل وزيارة الحسين عليه السلام أو إحياء ليالي العبادة بقربهما أو بعض الأُمور المستحبّة شرعاً، فهنا ينقلب المستحب إلىٰ واجب ويجب إطاعة الوالدين فيه إذا كانا يتأذّيان بتركه، وكذا أمر الوالدين بترك المكروهات.

وفي موارد المكروهات الشرعية: كأن يأمر الوالدان أولادهم بفعل مكروه فيه فائدة للأبوين يتأذيان بتركه، كأمرهم للولد بالأكل معهما وهو علىٰ جنابة أو النوم معهما كذلك، فهنا يجب طاعة الوالدين، وإن استطاع رفع المكروه بالوضوء أو التيمّم أو الصدقة أو الاستغفار فهو أفضل.

وفي موارد المباحات الشرعية: كأن يأمر الوالدان الأولاد بفعل المباحات كالعمل في الأرض وتنظيم البيت وتنظيف ما تحت الشجر وسقاية المزروعات وما شابه، ففي مثل ذلك يجب طاعة الوالدين رعاية لحقوقهما فيما إذا كانا يتأذّيان بترك الطاعة.

هذا في موارد الطاعة في التكاليف الخمسة، وكذلك في حالة النهي عن الأُمور الخمسة، فإذا نهىٰ الوالدان عن فعل الأمر الواجب فلا يجب الطاعة، وإذا نهيا عن فعل المحرّمات فتجب الطاعة، وكذلك تجب الطاعة إذا نهيا عن المكروه والمستحبّ والمباح.

هذا وقد تنقلب بعض المباحات والمستحبّات إلىٰ واجبات فيتعامل معها كواجبات، كصلاة الجماعة أو لبس العباءة المستحبّة وكدعاء كميل وزيارة الحسين عليه السلام وحضور الدروس الثقافيّة، فإذا انقلبت هذه إلىٰ واجب ونهى عنها الوالدان، فلا يجب علىٰ الأولاد طاعتهما، وكذلك في انقلاب استحباب الصلاة في المسجد إلىٰ الوجوب وفي انقلاب استحباب الدعاء الى وجوب، كما لو كان تركهما فيه تضعيف للتشيّع أو كان في لبس المرأة للعباءة مصلحة للإسلام، وتقوية ونصرة للدين أو كان يتوقف عليها سلامة الحياة الزوجية .

وكذا إذا أصبحت زيارة الحسين عليه السلام شعاراً للدفاع عن المظلومين أو نصرة لقضيّة أهل البيت عليهم السلام وهكذا في حضور الدروس والمحاضرات الثقافيّة، فإنّها تجب إذا كان فيها دعم للإسلام أو تقوية للدين، أو كان فيها تعليم أُمور يبتلىٰ بها الناس كتعليم الصلاة وشكوكها والوضوء، وأحكام طاعة الوالدين وطاعة الزوج وما يتعلّق بأحكام التجارة للتجّار وأحكام البنوك للعاملين فيها أو المستفيدين منها، وبقيّة الأُمور الواجبة والتي هي مورد الابتلاء.

وقد تختلف الأحكام والموارد من مكانٍ إلىٰ مكان ومن مجتمعٍ إلىٰ مجتمع، فيتّبع كلّ مورد بحسبه.

ثمّ هناك تفصيلات في طاعة الوالدين لا بأس بالتعرّض لها لكونها محلّ ابتلاء لكثير من الناس:

منها ما إذا تعارضت طاعة الوالدين مع مستقبل الولد، كالذهاب للجامعات الغربيّة مثلاً أو اختلاف الأب مع ابنه في نوع الاختصاص، أو نوع العمل أو التجارة

أو المهنة، فهل تسقط طاعة الوالدين ؟

ذكرنا سابقاً أن من ضمن رعاية الوالدين لأبنائهم التفكير بمستقبلهم الدراسي والجامعي ونوع الاختصاص، وعليه فعلى الوالدين التدخل في هذا الأمر وإرشاد الأبناء الى الاختصاص المفيد له وللوطن الذي يعيش فيه .

وعلى الأبناء تلبية رغبة الآباء الذين هم في الغالب أعرف بمصلحة أبنائهم.

لكن قد يختلف الأبناء مع الآباء في هذا الأمر فما هو الحلّ ؟

قال الفقهاء: «لا تجوز مخالفتهما في أمر يكون أنفع له، ولا يضرّ بحاله ديناً أو دنيا، أو يخرج عن زيّ أمثاله، وما يُتعارف منه، ولا يليق بحاله بحيث يذمّه العقلاء ويعترفون أنّ الحقّ لا يكون كذلك، ولا حاجة له في ذلك ولا ضرر عليه بتركه»[1].

وقالوا: تجب عليه طاعتهما في كلّ فعل، وإن كان شبهة فلو أمراه بالأكل معهما في مالٍ يعتقده شبهة أكل لأنّ طاعتهما واجبة وترك الشبهة مستحب[2].

توضيح ذلك: فيما إذا اختار الابن مهنة الزراعة واختار الوالدان مهنة التجارة فإذا كانت مهنة التجارة أنفع له وكانت تناسب حاله ولا تسبّب له ضرراً وجب طاعة الوالدين في ذلك.

نعم إذا أضرّت بحاله مهنة الوالدين أو كانت خلاف أمثاله كما لو كان من المتعلّمين والمثقّفين وطلب الوالدان منه العمل في مهنة رعاية الغنم، فلا يجب طاعتهما، ويستثنى من ذلك ما إذا كان في ترك رعاية الغنم أذيّة لهما، أو ضرراً عليه، كما إذالم يجد عملاً آخر وكان بحاجة للنفقة.

وهكذا في اختيار نوع اختصاص الابن في الجامعات، فإذا أمر الوالدان بنوع معيّن يناسب حاله وأنفع له وجب الطاعة.

---

(١) انظر البحار: ٣٦/٧١.

(٢) زبدة البيان: ٣٨١.

نعم عادة يختار الابن ما يناسب حاله وكان نفعه أكبر، خاصّة في هذه الأيام التي أصبح فيها الشباب بوعيٍ كبير وثقافة اجتماعيّة مناسبة، لذا ينبغي للآباء مراعاة حال الأبناء في ذلك ويدرسوا وضع الأبناء قبل أن يتّخذوا قرارهم فيقعوا في جدالٍ مع الأبناء، قال إمامنا الصادق عليه السلام: «رحم الله والداً أعان ولده على البرّ»[1].

كما ينبغي أيضاً للأبناء مشاورة الآباء في مستقبلهم وشأنهم العلمي والاجتماعي،لما يملك الوالدان من الخبرة الاجتماعيّة عادةً نتيجة المعاشرة والمعايشة مع الوضع العام حتى لو لم يكونا من أهل الاختصاص.

نعم أحياناً ينصح الآباء الأبناء بمهنة معيّنة أو باختصاص محدّد، لا علىٰ وجه اللزوم بل إرشاداً وتوعية، فهنا لا تجب الطاعة لعدم صدق العقوق.

ومنها ما إذا تعارضت طاعة الوالدين أو رغبتهما مع جهاد الأبناء ودفاعهم عن الإسلام، وهل يشمل ذلك مقدّمات الجهاد من تدريب ونحوه؟ وهل يشمل الدفاع الثقافي والاقتصادي؟

قال الفقهاء: لهما منعه من الجهاد مع عدم التعيّن لما صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لمن سأله البيعة على الهجرة والجهاد: «فارجع إلىٰ والديكَ فأحسن صحبتهما»[2].

فإذا تعيّن الجهاد علىٰ شخص معيّن كما لو كان لديه خبرة في القتال يفقدها أقرانه، أو كان الاحتياج له ولأقرانه في مهمّة معيّنة، أو كان وحيداً في منطقته، أو كان هو الدليل الوحيد لمنطقة عسكريّة أو كان به خصوصيّة جعلت وجوده أنفع من غيره، ففي جميع ذلك ليس للوالدين منعه، وإذا منعاه لا يجب الطاعة، نعم يجب حلّ المشكلة بأُسلوبٍ مناسب وهادئٍ كي لا يقع في محرّم آخر، إذْ سقوط طاعتهما

---

(١) فقه الرضا عليه السلام: ٣٣٦، ح٨٨، والبحار: ٧١/٦٥.

(٢) زبدة البيان: ٣٨٢.

لا يعني سقوط بقيّة الواجبات تجاه والديه من البرّ والاحترام والتقدير والشكر.

ولا ينبغي الغفلة عن أن تعيّن الجهاد يقدّر بقدره، فإذا وجب عليه الجهاد مدّة معيّنة كستة أشهرٍ، فإنّه بعد هذه المدّة يجب طاعة الوالدين في ذلك إذا تأذّيا بخروجه.

أمّا مقدّمات الجهاد: فتارة يكون الوطن الذي يعيش فيه المسلمون وطناً آمناً لا يوجد أيّ احتمال لأنّ يهدّدهم عدوّ، أو يأتي إلىٰ بيوتهم لسرقتهم أو الاعتداء علىٰ أعراضهم وممتلكاتهم أحد، فإذا كان الوضع كذلك لا يجب علىٰ المسلمين تهيئة مقدّمات الجهاد كالتدريب وشراء السلاح وما شابه، وهذا الوضع لا نكاد نعرفه ولا يمكن وجوده إلّا لمن كان يعيش تحت الماء في قعر البحر أو في القطب المتجمّد.

أمّا إذا كان الوطن فيه احتمال تهديد العدوّ أو المفسدين في الأرض أو كان بينهم أشرار يعبثون بأموال المسلمين وممتلكاتهم، فيجب علىٰ كلّ مسلم فيه مؤهلات الجهاد أن يعدّ نفسه عسكريّاً للجهاد في سبيل الله أو للدفاع عن نفسه وماله وعياله.

لا يقال: هو واجب كفائي وحقيقته أنّه إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، وإذا لم يقم به أحد أثِمَ الجميع.

فإننا نقول: هذا يختلف عما لو كان الكل مهدداً من قبل العدو، وفي كل لحظة يحتمل فيها قدوم العدو الى كل بيت، فهنا يجب على كل من كان ضمن هذه الدائرة المعرّضة للخطر أن يعدّ نفسه ويهيئ مقدمات الجهاد، ولذا لو هاجم العدوّ وتقاعس البعض عن قتاله وصدّه، فهل ننتظر حتّىٰ ذهاب البعض الآخر ليتدرّب ويهيىء نفسه عسكريّاً ثم يأتي بعد سنة أو أكثر ليصدّ ذلك العدوّ ويدافع عن وطنه وعرضه وماله؟!

وإذا داهم السارق أو القاتل بيوت الناس ماذا يفعلون وهم عزّل لا حيلة لهم ولا قوّة؟! في حين أنهم في معرض الخطر على الدوام.

وعليه فيجب على جميع القادرين أن يتدرّبوا ويتهيّئوا للدفاع عن وطنهم وأعراضهم وآبائهم وأُمّهاتهم، وإذا منع الآباء عن ذلك لا يجب طاعتهم حفاظاً علىٰ الوطن والعرض والآباء أنفسهم.

نعم إنّ تدريب الأبناء ـ في الوطن المهدّد ـ فيه محافظة علىٰ نفس الآباء ورفع الضرّر عنهم حتّىٰ يعيشوا عيشة آمنة وبكرامة وعزّة، فيكون في بعض الأحيان منع الأب لابنه عن التدريب بمثابة منعه عن رفع الأذى عن والده نفسه ووقوعه في الخطر المقطوع أو المحتمل، وهنا يجب علىٰ الابن من باب المحافظة علىٰ والديه وعرضه أن يتهيّأ نفسيّاً وعسكريّاً للدفاع والحفاظ عليهما، وهو غاية البرّ.

أمّا الدفاع عن الثقافة الإسلاميّة والاقتصاد الإسلامي: بالطرق المناسبة هو كالدفاع عن الوطن بالسلاح والعمل العسكري وهو من جملة الدفاع عن الإسلام بكل أبعاده ومفاهيمه، وعليه فالدفاع عن الثقافة والاقتصاد الإسلامي واجب كفائي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين وإلّا أثموا جميعاً، نعم تهيئة مقدمات ذلك هي واجبة على كل قادر أباً كان أو أُمّاً أو ابناً وبنتاً لأنهم في معرض الخطر جميعاً.

لكي يكونوا جاهزين إذا ما تقاعس البعض عن الدفاع عن الإسلام.

وينبغي علىٰ الآباء توعية الأبناء وحثّهم علىٰ الدفاع عن الإسلام ومفاهيمه، وفسح المجال لهم ليتعلّموا حقيقة هذه المفاهيم وكيفيّة الدفاع عنها وحمايتها من أيدي الاستعمار، خاصّة في هذه الأيام التي يهدّد الاستعمار الثقافة الإسلاميّة في أكبر موجة لم يعرف التاريخ مثيلاً لها، حيث قام بزرع ثقافته في مجتمعاتنا وعلى كل المستويات، حتى أصبحنا نلتزم بثقافته وعاداته وتخلّينا عن ثقافة القرآن وعترة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد أصبح شبابنا يتشبّهون بلباس الغرب المستكبر وعاداته، وأصبحت فتياتنا تقلّد الثقافة الشيطانيّة لتتخلّىٰ عن عفّتها وشرفها، من شدة ما انبهر مجتمعنا بالعادات والصناعات الغربيّة حتى استهان بآداب الإسلام وعاداته، وسوف نتعرّض لذلك مفصّلاً.

ـ ومنها ما إذا تعارضت الطاعة مع الصلاة الواجبة أو المستحبّة؟

قال الفقهاء: لو دعواه إلىٰ فعل وقد حضرت الصلاة فليؤخّر الصلاة وليطعهما، ولهما منعه في بعض الأحيان عن صلاة الجماعة فيما إذا كان فيه مشقّة عليهما كالسعي في ظلمة الليل إلىٰ صلاة العشاء والصبح[١].

هذا في الصلاة الواجبة.

أمّا المستحبّة فتقديم طاعتهما ظاهر، حتى لو دعواه في أثناء الصلاة المستحبّة الى قطعها، كما في قصة جريح[٢] الذي نادته أُمّه وهو يصلّي.

وفي حديث قال ﷺ: «**لو كان جريح فقيّهاً لعلم أن إجابة أُمّه أفضل من صلاته**»[٣].

ـ ومنها ما إنّ منعاه عن الحجّ والصوم المستحبين وترك اليمين والعهد والنذر.

قال الفقهاء: وأمّا سفر التجارة، فإن كان قصيراً لم يمنع منه وإن كان طويلاً وفيه خوف اشترط إذنهما، وإلّا احتمل ذلك تحرّزاً من تأذّيهما، ولأنّ لهما منعه من حجّة التطوّع مع أنّه عبادة، فيكون منعهما في المباح أولى[٤].

ومن الحقوق ترك الصوم المستحب إلّا بإذن الأب وكذا ترك اليمين والعهد[٥].

ـ ومنها فيما إذا تعرّضا لأذى أو تهدّدهما خطر.

قال الفقهاء: يجب كفّ الأذى عنهما وإن كان قليلاً، فلا يدعه يصل إليهما ويمنع الغير من إيصاله إليهما[٦].

---

(١) زبدة البيان للأربيلي: ٣٨١.

(٢) انظر البحار: ٧١ / ٧٥ ح ٦٨.

(٣) القواعد والفوائد: ٤٨/٢.

(٤) تذكرة الفقهاء: ٤٨/١.

(٥) مستدرك سفينة البحار: ٥٩٢/٦.

(٦) زبدة البيان: ٣٨٢، والبحار: ٣٨/٧١.

ومن ذلك دفع الضرّر الحاصل لهما من البناء القديم جدّاً الذي قد يسبّب رطوبة مضرّة، أو وصول حيوانات مخيفة، وكذلك وجوب أخذهم إلىٰ الطبيب عند احتمال وجود مرض، أو مراقبة حالتهم الصحيّة وإجراء فحوصات طبيّة لهم بين فترة وأُخرىٰ خاصّة إذا تقدّموا في السنّ، ومنها حماية تجارتهم وأموالهم، والخ .

عبرة:

يروي أحد العلماء الزهاد «حسين مشكور» أنّه رأىٰ في منامه شاباً يتقدّم لزيارة الإمام الحسين عليه‌السلام ، فيتبسّم هو ويتبسّم له الإمام أيضاً، فاستيقظ.

ثمّ في إحدى ليالي الجمعة رأىٰ ذلك الشاب يزور الإمام الحسين عليه‌السلام ويتبسم أيضاً دون رؤية الإمام، فسلّمت عليه بعد الزيارة، وقلت له المنام وسألته عن السبب.

فقال: لي أبوان عجوزان في كلّ ليلة جمعة أُركب أحدهما على الحمار وآتي به إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه‌السلام .

وفي إحدى الليالي الممطرة أخذتُ أبي فأصرّت أُمّي على الذهاب خوفاً من الموت قبل الزيارة، فقلت لها: الحمار لا يتحمّل والأرض موحلة ولكن قبلت وحملتها علىٰ ظهري ووالدي على الحمار، وجئنا للزيارة فعندما سلّمنا عليه عليه‌السلام رأيته يبتسم ويردّ السلام وهكذا كلّ ليلة جمعة.

هذا نموذج من نجاح البنوة حصل عليه هذا المؤمن نتيجة برّه لوالديه وطاعته لهما[1].

(١) عن القصص العجيبة لدستغيب .

٣ ـ ترك حبّ الوالدين والعطف عليهما:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**خير الرجال من أُمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ويحنّون عليهم ولا يظلمونهم**» [١].

من الأمور التي تؤدي الى فشل الأبناء في حياتهم مع آبائهم هو ممارسة قسوة القلب معهم والتعامل بالجفاء، كما في رؤيتهم يتعذبون من مرض معين ولا يحركون ساكناً أو يجدونهم يحملون حملاً ثقيلاً فلا يساعدونهم أو يرونهم يعيشون في ضيق فلا يوسّعوا عليهم خاصة عند تقدم سنّهم.

ومثله الجفاء القولي كتوجيه الكلام الثقيل والقاسي لهم أو سبّهم .

لقد أودع الباري في الأطفال حباً فطرياً للوالدين خاصة الأم لينمو معهم يوماً بعد يوم، وليُترجم ذلك الحبّ عند الكبر برّاً وعطفاً ورحمة بهما.

وعلى الأبناء متابعة هذا الحب والحنان والتعبير عنه بأشكال مختلفة كالمصافحة أو المعانقة أو تقبيل اليدين للتعبير عن الحبّ والعاطفة المودعة في قلوبهم، ومن مصاديق ذلك السؤال عن أحوال الوالدين الماديّة والمعنويّة، والاطلاع على حوائجهم ولا يحيجونهما حتى الى السؤال ولكي لا يعتري الآباء الخجل أو الاحساس بالمذلّة، لأنّهما اعتادا علىٰ إعطاء الأبناء بعزّة نفسٍ، فكيف يهون عليهم طلب الحاجة؟! ولذا أمر أهل البيت عليهم السلام التأدّب مع الوالدين في كيفيّة الإعطاء والهديّة إليهما، وذلك بأن توضع الحاجة علىٰ أكفّ الأبناء المفتوحة ـ كحالة الدعاء ـ.

وينبغي أيضاً للأبناء بين الفينة والفينة تقديم الهديّة النقديّة والعينيّة للآباء تعبيراً عن هذا الحبّ والعطف والترحّم المدفون في قلب كلّ إنسان، حتّى لو كان

(١) مكارم الأخلاق ٢١٦ ـ ٢١٧ .

الآباء بحالة ماديّة جيّدة.

ومن جراء ذلك يشعر الإنسان بالسعادة العائلية وهي متبادلة من قبل الآباء والأبناء.

روي أنّ سيدتنا فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة؟

قالت: قرص خَبَزْتُه فلم تطب نفسي حتّىٰ أتيتك بهذه الكسرة.

فقال: أمّا إنّه أوّل طعام دخل فَمَ أبيكِ منذ ثلاثة أيامٍ»[1].

فلننظر إلى هذا الخلق العظيم عند فاطمة الزهراء عليها السلام عندما غمرت قلب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بعطفها وحنانها.

وروي عن فاطمة العطوفة عليها السلام أنها قالت: «فتهيّبت النبيّ صلى الله عليه وآله أن أقول له: يا أبه، فجعلت أقول له: يا رسول الله! فأقبل عليّ فقال لي: يا بُنيّة لم تنزل فيكِ ولا في أهلكِ من قَبل، أنت منّي وأنا منكِ وإنّما نزلت في أهل الجفاء والبذخ والكِبرَ، قولي: يا أبه، فإنّه أحب للقلب وأرضى للربّ، ثمّ قبّل النبيّ صلى الله عليه وآله جبهتي ومسحني بريقه فما احتجت إلىٰ طيب بعده»[2].

يحبّ الأب من ابنته أن تناديه: يا أبه - يا أبي -، لأنّها تحمل العطف والحنان المأخوذان في معنىٰ الأُبوّة والبنوّة وبذلك تكون هذه المناداة أقرب للقلب وأرضى لربّ العالمين.

وأية سعادة يحتاجها الإنسان بعد هذه السعادة وبعد هذا الحنان والرقّة في عرض الهيبة والخجل والاحترام.

وينبغي للأبناء أن يزيدوا من جرعات الحبّ والحنان علىٰ الوالدين خصوصاً

(١) طبقات ابن سعد: ٣٠٦/١ ذكر شدّة العيش علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، وشعب الإيمان: ٣١٥/٧، وحلية الابرار: ٢٤٢/١.

(٢) مناقب عليّ لابن المغازلي: ٣٦٤ - ٣٦٥، ح ٤١، ومناقب آل أبي طالب: ٣٢٠/٣.

عند حاجتهما إليه، كحالات المرض والشيخوخة والوحدة والسفر، وليتذكّروا شدّة الحبّ والعطف والحنان الذي مارساه بحقهم في حالة الحمل والرضاع والصغر، وليتذكروا وقفة العطف الفريد من الأم على ولدها حيث كانت تطعمه من ثمرة قلبها وتقيه بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وجميع جوارحها، كانت تجوع من أجل أن تطعمه، وتسهر من أجل أن يتنعّم هو بالنوم والراحة، إنّه الحنان الذي لا يوصف قدره ولا يحدّ، وقد جاء النهي عن إحزانها وإحزان الأب كما في الحديث الشريف: «**من أحزن والديه فقد عقّهما**»[1]، كل ذلك لأنّ إحزانهما هو خيانة وعدم وفاء لحنانهما.

وقال الشاعر:

أماه قد شَابَ رَأسي وانطوىٰ العُمرُ
ولم يزل ملءُ أنفي جَيْبُكِ العَطِرُ

أُماه إن كانت الجنّات موقعُها
من تحت رجليكِ فيما ينقل الخَبَرُ

فما بصدْركِ من خيرٍ ومن كِبَرٍ
يَظَلُّ أكبر ممّا تُحدِّث الفِكَرُ

ولا يجوز للأبناء ممارسة الكراهيّة تجاه الوالدين، ولا البغض والحقد لأنّ ذلك يُبعّد السعادة ويجلب الشقاوة، بل ينبغي لهم التلطّف في الكلام معهما عند مجالستهما ومعاشرتهما، حتّىٰ لو مارس الآباء الكلام القاسي والمؤذي تجاههم ولا يجوز لهم الردّ بالمثل ولا رفع الصوت فوق أصواتهم ولا ضربهم أو إهانتهم وتغليظ القول لهم، بل يجب أن يخفض لهم جناح الذلّ من الرحمة ويقول دوماً كما قال تعالى في الوالدين: ﴿**رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾ .

وقد جمع إمامنا الصادق ذلك في حديثٍ جاء فيه: «**برّ الوالدين من حسن معرفة**

---

(١) ميزان الحكمة: ٧١٧/١٠.

العبد بالله...»[١].

٤ ـ ترك شكر الوالدين:

ومن الأمور التي تكشف عن فشل البنوّة ترك شكر الوالدين والذي اعتبر عند أهل البيت عليهم السلام من ترك شكر الله تعالى، للملازمة بين الشكرين، كما قال تعالىٰ في محكم كتابه: ﴿... أن أشكر لي ولوالديكَ إليّ المصير﴾[٢].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: وأما حق أمّك فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل[٣] أحد أحداً، وأعطتك[٤] من ثمرة قلبها ما لا يعطي[٥] أحد أحداً، ووقتك، (بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة موبلة[٦] محتملة[٧] لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمّها، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض) ولم تبال[٨] أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك[٩]، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، (وتَنَعُّمك ببؤسها، وتلذُّذك بالنوم بأرقها وكان بطنها لك وعاء، وحجرها لك حواء، وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء، تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك[١٠]، فتشكرها على قدر ذلك) وإنك لا تطيق

---

(١) تفسير نور الثقلين: ٤ / ٢٠٣، ح ٣٨.

(٢) لقمان: ١٤.

(٣) في نسخة: يحمل.

(٤) في نسخة: وأطعمتك.

(٥) في نسخة: يطعم.

(٦) أي كثيرة عطاياها.

(٧) في نسخة: متحملة.

(٨) في نسخة: فرضيت.

(٩) في نسخة: وترويك وتظمأ.

(١٠) في النسخة الأولى: ووقتك الحر والبرد، لتكون لها.

شكرها (ولا تقدر عليه)[١] إلا بعون الله وتوفيقه.

وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك، (وأنك فرعه)[٢] وأنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله تعالى.

وقال إمامنا الصادق عليه السلام: «مَن لم يشكر الوالدين لم يشكر الله»[٣].

ومعنىٰ شكر الوالدين هو أداء جميع حقوقهما من طاعة وبرّ واحترام وتقدير ونفقة وحماية من الأخطار، في حياتهما وبعد وفاتهما بما هو مناسب.

وهو من الأُمور الواجبة لوجوب شكر كلّ منعم، وقد أشار العلّامة الطباطبائي في تفسير آية الشكر: أنّها تدلّ علىٰ وجوب شكر الوالدين كوجوب الشكر لله، بل هو من شكره تعالىٰ لانتهائه إلىٰ وصيّته وأمره سبحانه، فشكرهما عبادة له تعالىٰ وعبادته شكر[٤].

ومِن الشكر للوالدين حسن معاشرتهما وإدخال السرور علىٰ قلبيهما المفعم بالعطف والحنان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نظرك إليهما ونظرهما إليك وضحككَ إليهما وضحكهما إليك أفضل من تحطّم السيوف في سبيل الله»[٥].

إنّها سعادة لو يعلم المرء كنهها؟! فأثناء مجالسة الوالدين ينبغي التلطّف معهما وإدخال السرور علىٰ قلبيهما، بحسن الحديث والأدب معهما وعدم العبوس في وجهيهما، وعدم قطع كلامهما مهما كان نوع الكلام وفي أيّ زمن كان.

ومن الشكر للوالدين برّهما حيّين وميّتين بأن يبقى يشكرهما علىٰ ما أنعما

---

(١) ما بين معكوفين من نسخة أخرى.

(٢) من نسخة أخرى.

(٣) شجرة طوبىٰ: ٣٧٢/٢.

(٤) تفسير الميزان: ٢١٦/١٦.

(٥) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٧٤، ح٢١٧.

عليه من النِّعم، وأن يفي عنهما ديونهما وأمانتهما وما تعلّق بذمّتهما، وأن يستغفر لهما ويدعو لهما في صلاته وخارجها، ويزور ويحجّ عنهما .

عبرة:

يُحكى أنّ أحد الصالحين توفّي والده فأخذ على عاتقه سدّ ديون والده، فانهمرت عليه الناس فدفع للجميع كلّ ما ادّعوه حتّىٰ افتقر وباع منزله، فسافر في البحار هو وزوجته وأولاده فتحطّمت السفينة ونزل كلّ واحد منهم في مكان، ثمّ سمع الرجل البار هاتفاً يقول: إنّ الله رزقكَ كنزاً في موضع كذا وكذا برّاً بوالديكَ، فأصبح من الأغنياء وجمع حوله الناس في تلك الجزيرة يخدمهم فقصده الناس من كلّ مكان حتّىٰ كان من الذين قصدوه أولاده وزوجته فسبحان مَن جمعهم وفرّقهم ثمّ جمعهم[1].

٥ ـ ترك احترام وتقدير الوالدين وحسن معاشرتهما:

ومن الأمور التي تؤدي الى فشل الأبناء في حياتهم هي عدم احترام الوالدين وسوء معاملتهم، سواء بالقول الغليظ والسباب أو بالفعل السيىء تجاههم بل حتى بالنظر كما يأتي عن أهل البيت عليهم السلام .

على الأولاد استشعار هيبة الوالدين عند مجالستهما ومحادثتهما، لعظيم مكانتهما.

قال إمامنا زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجاديّة: «**اللّهمّ اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف**[2] **وأبرهما برّ الأُم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي وبرّي بهما**

---

(١) نزهة المجالس: ٢٠٢/١ بتصرّف.

(٢) العسوف: الظلوم.

أقرّ لعيني من رقدة الوسنان[١] وأثلج لصدري من شربة الظمآن حتّىٰ أُوثِر علىٰ هواي هواهما، وأقدم علىٰ رضاي رضاهما، وأستكثر برّهما بي وإن قل، وأستقل برّي بهما وإن كثر»[٢].

إن من الآداب الدينية العامة احترام الآخرين وتقديرهم وحسن معاشرتهم في كافة الأوقات والأمكنة، ويشتد هذا الأمر مع الأرحام، ويزداد شدة مع الوالدين.

والاحترام تارة يكون بالكلام، فينبغي مخاطبة الوالدين بالألفاظ الحسنة الهادئة، ولا يجوز تغليظ الكلام المشتمل علىٰ السباب والفسق أو الكلام البذيء، وكذا الذي فيه إهانة وتحقير للوالدين، ومنه الكلام الذي يكون فيه غلظة وقسوة أو تأفّف، خاصّة عند طلب الوالدين ما يحتاجان إليه، حتّىٰ لو كان ذلك الطلب محرّماً أو شاقّاً، فلا يجوز توجيه الكلام غير المناسب لهما بل يمتنع عن العمل مع تقديم التبرير مناسب والكلام الحسن.

وأُخرىٰ يكون الاحترام متعلّقاً بالمكان، فلا يجوز وضع الوالدين في منزل سكن فيه توهين أو ضرّر جسدي أو معنوي، وينبغي توفير المكان المناسب لهما وبحالهما، وإكرامهما قدر الإمكان زيادة في الاحترام والتقدير.

ومنه عدم التقدّم عليهما في المجلس والمشي والركوب، فالأنسب تقديم الوالدين ولو عدَّ عرفاً خلاف البرّ حُرِّم، وفي الحديث: «واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة: لا تملأ عينكَ من النظر إليهما إلّا برحمة ورقّة ولا ترفع صوتكَ فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدّم قدامهما»[٣].

ومن الاحترام التأدّب مع الوالدين علىٰ مائدة الطعام بأن يقدّمهما وينتظرهما إن تأخّرا ويجلسهما في أفضل مكان، ويكرمهما في أنواع الطعام والشراب،

---

(١) الوسنان: النعسان.

(٢) الصحيفة السجاديّة: ١٢٩، وميزان الحكمة: ٣٦٧٤/٤.

(٣) الكافي: ١٥٨/٢.

ومشاركتهما في طعامهما مهما كان، وإيثارهما علىٰ نفسه في الطعام وغيره، خاصّة إذا كانت الحاجة ملحّة.

وقد روي عن إمامنا زين العابدين عليه السلام: أنّه كان لا يأكل مع أُمّه لكي لا تسبق يده إلى لقمة نظرت أُمّه إليها.

وروي ذلك عن الإمام الحسن مع فاطمة الزهراء عليها السلام وأنّها قالت له: «**كُل وأنت في حلّ**»[1].

وكذا في المشي معها فلا يمشي أمامها بل إمّا إلىٰ جانبها أو خلفها لما فيه من احترام لهما، ونظيره الجلوس، فلا يجلس أمامها أو أرفع منها أو في مكانٍ أفضل من مكانها عرفاً.

ومن المحرّمات أن يوجّه الولد السباب لوالديه وإهانتهما بالكلام المنفّر والمهين.

وقال إبراهيم بن شعيب للصادق عليه السلام: إنّ أبي قد كبر جدّاً وضعف فنحن نحمله إذا أراد الحاجة.

فقال عليه السلام: إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقمه بيدك فإنّه جُنّة لك غداً[2].

وهذه الخدمة من أهمّ المسائل التي تكشف عطف الابن والبنت علىٰ الوالدين، فقد يحتاج الوالدان بعد عجزهما إلىٰ مَن يتولّىٰ عنهم بعض الأُمور الخاصّة، خاصّة ما يرتبط بدخول بيت الخلاء والحمّام، وخدمتهما في هذه الأُمور من أعظم القربات إلى الله، وتكشف عن حبّ الولد لوالديه ورعاية حقوقهما كاملة.

وكذا إطعامهما بيده إذا احتاجا إلىٰ ذلك، ولا ننسىٰ أنّ الوالدين قد أطعمانا بأيديهما سنوات وهما يحبّان لنا ذلك، وخَدَمانا في أُمور الخلاء والحمّام عن طيب نفس وخاطر، أفلا نباديهما ذلك؟! وهل نفعله ونحن نحبّ ذلك كما كانا يحبّانه لنا،

(١) نزهة المجالس: ١/١٩٩.

(٢) الوسائل: ١٥/٢٢١، ح٢٧٧٠٦.

أَمْ نفعله رغماً عنا وكراهة منا؟!.

عبرة

يروى أنّ موسىٰ سأل ربّه أن يريه رفيقه في الجنّة، فأمره أن يتوجّه إلىٰ بلد كذا ليراه، فأتاه موسىٰ وإذْ هو شاب فاستضافه في منزله ـ فلمّا وضع الطعام جعل كلّما أكل لقمة جعل في زنبيل[1] لقمتين، فتعجّب موسىٰ فقام ونظر في الزنبيل وإذا فيه عجوزين كَبِرا، فلمّا نظرا إلىٰ موسىٰ تبسّما وشهدا له بالرسالة وماتا، فقال الشاب: أنت موسىٰ رسول الله والعجوزان أبواي جعلتهما في الزنبيل خوفاً عليهما وكنت لا آكل ولا أشرب حتّىٰ يأكلا، وكانا يسألان الله تعالىٰ كلّ يوم أن لا يقبضهما حتّىٰ ينظرا إلىٰ موسىٰ، فلمّا رأيتهما ماتا علمت أنّك موسىٰ.

فقال له موسىٰ: أبشر فإنّكَ رفيقي في الجنّة، وقيل إنّ دعاء أُمّه كان: اللّهمّ اجعله جليس موسىٰ في الجنّة[2].

فانظر عزيزي السالك والعبد الطائع إلى هذه السعادة التي كانت إثر حفظ الوالدين في مكان مناسب وخدمتهما وتقديرهما، فإذا أردت أن تجالس رسول البشريّة محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فاحترم الوالدين وقدرهما واحفظهما في أفضل مكان في بيتكَ وأعزّ غرفة في منزلكَ، ولا تأكل قبل أن يأكلا أو تطمئن أنّهما قد أكلا.

ويقال إنّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ سليمان أن اخرج إلىٰ البحر ترىٰ عجباً، فخرج فلم يجد حتّىٰ غاص في البحر فوجد غرفة من ياقوت وجواهر لا يدخل إليها الماء ووجد فيها شاباً حسناً يعبد الله، فسأله عن أمره فقال: كان أبي مقعداً وأُمّي عمياء فخدمتهما سبعين سنة فلمّا حضرت وفاة أُمّي قالت: اللّهمّ أطل عمره في طاعتكَ،

---

(١) وهو المكتل يسع خمسة عشر صاعاً وهو شبيه الجراب والوعاء، لسان العرب: ١١/٣٠٠.

(٢) نزهة المجالس: ١/٢٠٠ ـ ٢٠١ بتصرّف.

ولمّا حضرت وفاة أبي قال: اللّهمّ استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فكانت هذه الغرفة فسأله عن طعامه وشرابه، فقال: طير يأتيني به من رزق الله تعالىٰ الذي لا ينسىٰ مَن ذكره[١].

ألا تستوقفنا هذه السعادة والعناية الإلٰهية والألطاف الخفية والتي حصل عليها هذا الشاب جزاء خدمته.

٦ ـ ترك النفقة على الوالدين:

ومن المسائل التي تؤدي الى فشل الأبناء في تعاملهم مع الآباء التخلي عن الإنفاق على الوالدين عند حاجتهم إليه.

والنفقة واجبة للوالدين وإن علوا[٢] إذا كانا فقيرين[٣] ، وهي تشمل دفع كل ضرر إضافة الى المأكل والملبس والمسكن بما يتعارف عليه في كلّ مجتمع، ويستحب التوسعة في النفقة علىٰ الوالدين من باب إكرامهما وتقديرهما، لتشمل إكرامهما بالأموال النقديّة والعينيّة في المناسبات المتعدّدة كعيدي الفطر والأضحىٰ، وأيام الجمعات، وعند العودة من السفر، وعند كلّ زيارة لهما بعد انقطاع.

ويستحب ـ لمن استطاع ـ أن يرسلهما إلىٰ زيارة المراقد المشرفة للأئمّة عليهم السلام في العراق وإيران، وإلىٰ حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وقبور الأئمة عليهم السلام في البقيع.

ووجوب النفقة مشروط بفقر الوالدين، فإن كانا موسرين لم تجب النفقة، نعم هي مستحبة بل لا ينبغي تركها لما فيها من إكرام وترحُّم وشكر لهما.

---

(١) نزهة المجالس: ١/١٩٩ بتصرّف.

(٢) أي على الجدّ وأب الجدّ أيضاً.

(٣) انظر منتهى المطلب للحلّي: ١/٥٢٣، وتفسير مجمع البيان: ٢/٧٠.

والوجوب هذا مشروط أيضاً بكون الأبناء قادرين على الإنفاق، أمّا إذا كانوا عاجزين عن النفقة الواجبة فيسقط الوجوب، نعم لا يوجد فرق بين وجوب النفقة علىٰ الآباء والأبناء والزوجة، فلا يتوهم أحد أن الابن إذا كان قادراً على نفقة زوجته وعياله فقط فلا يجب النفقة على والديه بحجّة أنه بعد نفقته على زوجته يصبح فقيراً، بل يجب النفقة عليهم جميعاً بالنسبة، فيقدم النفقة الأهم كمؤونة الطعام والشراب والمرض وما شابه.

وتقدّم معنا أن يكون الإنفاق على الوالدين قربة إلى الله تعالىٰ كما علّمنا أهل البيت عليهم السلام، وبأسلوب محترم بحيث لا يشعر الوالدين بالمنقصة والذلّة، خاصّة النفقة علىٰ الأب الذي اعتاد أن يكون هو المنفق على الأولاد.

والأفضل أن تكون يد الابن المعطي من الأسفل ويد الوالدين من الأعلىٰ ليكونا هما اللذان يأخذان.

ومما لا شك فيه هو حصول السعادة لدى الآباء من خلال الالتزام بهذه النفقة ـ الواجبة أو المستحبة ـ وعند إدخال السرور على الآباء بهذا الإكرام والعناية تحصل الطمأنينة عندهم خاصة عند تقدمهم في السنّ، وهو موجب لحصول السعادة عند الأبناء.

٧ ـ ترك الرحمة والإحسان الى الوالدين:

ومن الأمور التي تكشف فشل البنوة عدم التعامل مع الوالدين بالإحسان والرحمة، وهو أمر في غاية الخطورة، فعندما يصل الأمر بالولد إلى عدم رحمته بأبويه الذين ولّداه وربّياه وحفظاه من كل مكروه، فهذا يكشف عن مدى قساوة قلب هذا الولد العاق.

لقد أمرنا سبحانه بالإحسان إليهما حيث قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[١].

وحثّنا أهل البيت عليهم السلام على رحمتهما حتى بالنظر ففي الحديث الشريف عنهم عليهم السلام : «**لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلّا برحمة ورقّة**»[٢].

وفي آخر: «**ما من رجل بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلّاكتب الله تلك النظرة حِجة متقبلة مبرورة**»[٣].

لا تجوز القسوة علىٰ الوالدين لا في الكلام ولا في الأفعال، فالكلام القاسي والشديد محرّم توجيهه إليهما، وكذا وضع الأب في عمل صعب لا طاقة له عليه ـ أو الأُم في بعض الأحيان ـ وكذا وضعهما في منزل غير مهيّأ للسكن أو غير مجهّز بما يناسب الحياة المتعارفة، كما لو كان يدخل المطر في الشتاء أو الشمس والحرارة في الصيف الحار، أو كان في مكانٍ بعيد عن الناس وعن لوازم المعيشة؛ ففي هذه الحالات يجب علىٰ الأبناء السعي لرفع المشقّة عنهما ـ بقدر الاستطاعة ـ ووضعهما في مكانٍ مناسب يليق بحال الآباء الذين كانوا كالشمعة تحرق نفسها لتضيء لهم.

وعلى الأبناء زيادة الرحمة عند تقدّم الوالدين في السن، فإنّ الرحمة تكون آكد كما أخبر سبحانه وتعالىٰ: **﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾**[٤].

فإنهما في هذا السنّ يحتاجان إلىٰ مزيد من العناية والتلطّف والرحمة، والى رعاية شديدة سواءً في الكلام معهما أو مجالستهما أو حتّىٰ في كيفيّة طعامهما وشرابهما ومسكنهما.

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣ .

(٢) أُصول الكافي: ١٥٨/٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ٧٤ .

(٤) سورة الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

ولا ينبغي أن ينتظر الأبناء حتّىٰ يطلب الآباء الحاجة بل الأفضل المبادرة لقضائها، ففي الحديث: «الإحسان أن تحسن صحبتهما وأن لا تكلّفهما أن يسألاكَ شيئاً ممّا (قد) يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين»[1].

إن تعاطي الأبناء بهذه الرحمة يكشف عن نجاحهم الكبير وعن تربيتهم الصالحة التي لم تذهب سدًى، ممّا يكشف للوالدين الصالحين ما وُعدا به من برِّ أبناءهم لهم كما، قال إمامنا الصادق عليه السلام: «برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم»[2].

قصة في رحمة الوالدين

ويحكى أنّ أُمّاً طلبت من ابنها ماء في الشتاء فجاءها به فوجدها نائمة فانتظر يقظتها فلمّا استيقظت أعطاها الماء، وكان قد سال بعض الماء علىٰ اصبعه فجمد عليه من شدّة البرد فانسلخ الجلد فسال الدم، فقالت: اللّهمّ إنّي راضية عنه فارض عنه، وكانت في مدّة حملها به لا تمدّ يدها إلىٰ طعام فيه شبهة، ويروىٰ أنّه بعد موته رُئي وهو يطير في الجنان ويسبّح الرحمن فسُئل بِمَ نِلت ذلك ؟

فقال: ببرّ الوالدين والصبر علىٰ الشدائد[3].

٨ ـ ترك الدعاء للوالدين:

من الأمور التي تؤدي الى فشل البنوة إهمال الأبناء الدعاء للوالدين حيين كانا أم ميتين، لأنه من حُسن العهد بهم، وهو أقل واجب يؤديه الإنسان تجاه والديه.

وعليه ينبغي للأبناء المواظبة على الدعاء للوالدين وذلك لعظيم حقهما عليهم،

---

(١) أُصول الكافي: ١٥٨/٢.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٦٧٤/٤.

(٣) نزهة المجالس: ١٩٦/١ بتصرّف.

وهو أقل الشكر تجاه من هم أصل الوجود، بل وأصل كل خير ونعمة حصلوا عليها، حتى العبادات التي يلتزم بها الأولاد ما كانت لولا الآباء والأمهات.

ويستطيع الإنسان أن يختار أي نوع من الدعاء لوالديه، والأفضل الالتزام بما جاء في القرآن الكريم: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2].

أو بما روي عن أهل البيت عليهم السلام نحو: «اللهم اغفر لي و لوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً واجزهما عني خيراً، اللهم اجزهما بالإحسان إحساناً وبالسيئات غفراناً، اللهم أدخلهما الجنة برحمتك وحرّم وجوههما عن عذابك وبرّد عليهما مضاجعهما وافسح لهما في قبريهما وعرفنيهما في مستقرٍ من رحمتك و جوار حبيبك محمد صلى الله عليه وآله »[3].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام : اللّهمّ اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان ....

اللّهمّ لا تُنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، وفي آنٍ من آناء ليلي، وفي كلّ ساعة من ساعات نهاري، اللّهمّ صلّ علىٰ محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما ببرّهما بيّ مغفرة حتماً، وارض عنهما بشفاعتي لهما رضى عزماً، وابلغهما بالكرامة مواطن السلامة[4].

أقول: سوف يأتي تمام الدعاء مع شرحه في نهاية الفصل.

---

(١) سورة نوح: ٢٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٤١.

(٣) كامل الزيارات: ٢٤٥ باب ٧٩ ذيل ح ١٧.

(٤) الصحيفة السجاديّة الكاملة: ١٢٩.

٩ ـ ترك أمر الوالدان بالمعروف ونهيهما عن المنكر

من الأمور المهمة بل والواجبة أننا إذا وجدنا بعض التقصير عند الآباء أن نتوجه لهم بكل حسن وتهذيب وكلمة طيبة بتوضيح هذا التقصير وحرمته وأثره عليهما، وأن الله تعالى يحب من الوالدين أن يطيعاه لعظيم حقهما عنده.

وقد حذّر الله تعالى من التهاون في ذلك وأمرنا أن نحب لأرحامنا ما نحبه لأنفسنا، فإذا أحببنا الصلاة في المسجد فعلينا حب ذلك لهم، وإذا أحببنا دخول الجنة فعلينا أن نحب ذلك لهم ونعمل على إدخالهم إليها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

وأي خيانة لهذا التكليف يعتبر فشلاً ذريعاً في بناء الأسرة وفي سعادتها، وهل يُتصور أن العلاقة فيما بين أفراد الأسرة على خير إن سكت الواحد منهم عن مخالفات وتقصيرات الآخر، إنّ القيام بالتكليف هو طاعة لله تعالى، وخدمة لمصلحة الفرد والمجتمع؟

أليس السكوت عن المفاسد التي يرتكبها البعض خيانة لأمانة المجتمع وسلامته؟

ولذا جاء التحذير الشرعي من أيّ تقصير في وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذه الأدلة ما يلي:

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تزال أُمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسلّط بعضهم على بعض

(١) سورة التحريم: ٦.

ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[١].

وهذه الوظيفة المقدسة تشمل الآباء والأبناء، وقد جاء في بعض الاستفتاءات ما يلي:

س : ما هو تكليف الولد تجاه الوالدين، أو الزوجة تجاه زوجها ، إذا كانوا لا يهتمون بدفع الخمس أو الزكاة المتعلقة بأموالهم ؟ وهل يحرم عليهما التصرف في المال الذي لم يدفع منه الخمس أو الزكاة على أساس كونه مالاً مختلطاً بالحرام ، مضافاً إلى التأكيدات الواردة بعدم الاستفادة منه ، لأن المال الحرام يؤدي إلىٰ تلويث الروح ؟

ج : يجب عليهما عند مشاهدة ترك المعروف أو فعل المنكر من الوالدين ، أو من الزوج القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيما لو توفرّت لديهما شروط ذلك ، وأما التصرف في أموالهم فلا بأس به إلّا إذا حصل لهما اليقين بوجود الخمس أو الزكاة في خصوص ما يتصرّفان فيه من أموالهم ، وفي مثل هذه الحالة يجب عليهما الاستئذان من ولي أمر الخمس والزكاة بالنسبة لذلك المقدار .

س : ما هو الأسلوب الذي ينبغي للابن سلوكه تجاه الأبوين اللذين لا يهتّمان بتكاليفهما الدينية بسبب عدم اعتقادهما الكامل بها ؟

ج : يجب عليه أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر بلسان ليّن مع المحافظة علىٰ احترامهما كوالدين [٢].

---

(١) مشكاة الأنوار، الشيخ الطبرسي: ١٠٥ .

(٢) أجوبة الاستفتاءات للسيد الخامنئي، سؤال : ١٠٧٢ و١٠٧٣.

آثار برّ الوالدين على الأبناء

جعل سبحانه وتعالىٰ للسالكَ نِعماً إضافيّة مترتّبة علىٰ الواجبات وترك المحرّمات بل المستحبات، وما ذلك إلّا رحمة بالعباد، وهذه النِّعم عبارة عن آثار تحصل للملتزم بحقوق الوالدين، إضافة إلىٰ الثواب المترتب علىٰ فعل الواجب.

وهذه الآثار يمكن تقسيمها إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ ـ آثار دنيويّة.

٢ ـ آثار برزخيّة.

٣ ـ آثار أخرويّة.

١ ـ الآثار الدنيويّة المترتبة علىٰ برّ الوالدين:

من آثار برّ الوالدين ما يلي:

أ ـ محبّة الأهل له هي أن مداومة الأبناء علىٰ طاعة الوالدين ورحمتهما والإنفاق عليهما والدفاع عنهما تجعل المحبّة تزداد يوماً بعد يوم، لذا نجد أنّ الوالدين قد يفرّقان بين محبّة ولد وآخر بل قد ينجرّ ذلك إلى حرمانه من أموالهما أو بعضها نتيجة تقصيره في تكفّل والديه وحمايتهما والإنفاق عليهما.

هذا وقد قال رسول الله ﷺ: «**تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإنّ صلة الرحم محبّة في الأهل...**»[١].

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٨٥، ح ٢٥٢.

ب ـ محبة الولد لأهله فإنها تقوى وتشتد ببركة بره بوالديه بحيث تعكس محبة الأهل له حالة من مبادلة المحبة الموجبة لاستقرار النفس وسعادتها.

ج ـ عدم وقوعه في الفقر كما في رواية الإمام الصادق عليه السلام الآتية[١]، وفي رواية أُخرىٰ: إنّ البرّ يزيد في الرزق[٢].

د ـ زيادة العمر: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إن أحببت أن يزيد الله في عمركَ فسرَّ أبويكَ»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رأيت بالمنام رجلاً من أُمّتي قد أتاه مَلَك الموت يقبض روحه فجاءه برّه بوالديه فمنعه منه»[٤].

هـ ـ زيادة النسل: قال الإمام عليّ الهاديّ عليه السلام: «العقوق تُكل من لم يُثكل»[٥].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «حرّم الله عزّ وجلّ عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله تبارك وتعالىٰ والتوقير للوالدين وتجنّب كفر النعمة، وإبطال الشكر وما يدعو من ذلك إلىٰ قلّة النسل وانقطاعه لما في العقوق من قلّة توقير الوالدين والعرفان بحقّهما وقطع الأرحام والزهد من الوالدين في الولد وترك التربية بعلّة ترك الولد برّهما»[٦].

و ـ التوفيق للطاعة: كما في حديث الإمام الرضا عليه السلام المتقدم.

إننا نسأل الله حسن التوفيق لطاعته والابتعاد عن معصيته، قال الإمام

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٣٤، والبحار: ٦٦/٧٤.

(٢) البحار: ٨١/٧٤.

(٣) البحار: ٨١/٧٤.

(٤) البحار: ٨٠/٧٤.

(٥) البحار: ٨٤/٧٤.

(٦) علل الشرائع: ١٦٤/٢، والبحار: ٧٥/٧٤.

الحسين عليه السلام: «إذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلىٰ عزّ طاعته»[١].

ز ـ قبول الطاعة: كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ رجلاً قال له: ما مَن عمل قبيح إلّا وقد عملته فهل لي من توبة؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فهل من والديك أحد حيّ؟

قال: أبي.

قال صلى الله عليه وآله: فاذهب فبرّه[٢].

ح ـ يكون وليّه الله: ففي الحديث القدسي: مَن برّ والديه كنت له وليّاً في الدنيا[٣].

ط ـ العزّة والمنعة: جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام العقوق يعقب القلّة ويؤدّي إلىٰ الذلّة[٤].

ووجهه من الناحية النفسيّة ظاهر، إذ ضعف العلاقة مع الوالدين تُفقد الأولاد القوّة والثبات والاستقرار فيبقىٰ محتاجاً إلىٰ مَن يكمّل له ذلك، فيعيش في المجتمع منزوياً ذليلاً لا مساند له ولا معين، ولا عشيرة تحميه أو تأويه أو تسانده وتعطيه المشورة والعون عند الحاجة.

وأهل المنزل يمثلون الداعم النفسي الأوّل للشاب ثمّ يأتي الأرحام والعشيرة فيما بعد. وما التوفيق إلّا من عند الله تعالى.

٢ ـ الآثار البرزخيّة:

أ ـ تخفيف سكرات الموت: قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَن أحبّ أن يخفّف الله

---

(١) كفاية الأثر: ٢٢٨.

(٢) البحار: ٧٤/٨٢.

(٣) نزهة المجالس: ١/١٩٨.

(٤) البحار: ٧٤/٨٤، وميزان الحكمة: ١٠/٧١٦.

عزّ وعلا عنه سكرات الموت فليكن لقرابته وصولاً وبوالديه بارّاً، فإذا كان كـذلك هوّن عليه سكرات الموت، ولم يصبه في حياته فقر أبداً»[١].

ب ـ الله يؤنسه في قبره: ففي الحديث القدسي: مَن برّ والديه كنت له وليّاً في الدنيا وفي قبره مؤنساً وفي الحشر رحيماً...[٢].

٣ ـ الآثار الأُخرويّة:

أ ـ تخفيف الحساب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «برّ الوالدين وصلة الرحم تـهوّنان الحساب»[٣].

ب ـ بناء بيتٍ في الجنّة: قال الإمام الباقر عليه السلام «أربع مَن كنّ فيه بنىٰ الله له بيتاً في الجنّة: مَن آوى اليتيم ورحم الضعيف وأنفق علىٰ والديه ورفق بمملوكه»[٤].

ج ـ إسكانه أعلىٰ علّيين: قال الإمام الباقر عليه السلام: «أربع من كنّ فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلىٰ علّيّين في غرف فوق غرف، وفي محلّ الشرف كلّ الشرف: من آوىٰ اليتيم ونظر له فكان له أباً، ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه، ومن أنفق عـلىٰ والديه ورفق بهما وبرّهما ولم يحزنهما، ومَن لم يخرق بمملوكه وأعانه علىٰ ما يُكلّفه ولم يَستسعهُ[٥] فيما لم يطق»[٦].

د ـ نظر الله إليه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عاقّ

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٣٤، والبحار: ٦٦/٧٤.

(٢) نزهة المجالس: ١٩٨/١.

(٣) البحار: ٨٥/٧٤.

(٤) الخصال: ١٠٦/١.

(٥) استسعى العبد استسعاء: كلفه من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا أعتق بعضه ليعتق ما بقي منه.

(٦) أمالي الطوسي: ١٩٢/١.

ومنان ومكذّب ومُدمن خمر»[١].

هـ ـقبول الصلاة: قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَن نظر إلىٰ أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل له صلاة»[٢].

و ـ شمّ ريح الجنّة عن بُعد: قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنّة فوجد ريحها مَن كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلّا صنف واحد...، العاق لوالديه»[٣].

ز ـ تشمله رحمة الله: كما جاء في الحديث القدسي: مَنْ برّ والديه كنت له في الحشر رحيماً وعلىٰ الصراط دليلاً وفي الجنّة محدّثاً، يكلّمني وأُكلّمه بلا واسطة[٤].

ح ـ يكون الله دليله علىٰ الصراط: كما تقدّم في الحديث السابق.

ط ـ يحدّثه الله في الجنة بلا واسطة: كما تقدّم في الحديث السابق.

ي ـ جُنّة يوم الحساب: كما روي عن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ أبي قد كبر جدّاً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد حاجة، فقال عليه السلام: إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل، ولقّمه بيدكَ، فإنّه جُنّة لكَ غداً[٥].

والجُنّة هنا بمعنى الوقاية من حرّ النار والعذاب.

ك ـ يكون سيّد الأبرار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيّد الأبرار يوم القيامة رجل برَّ والديه بعد موتهما»[٦].

---

(١) الخصال: ٩٤/١.

(٢) أُصول الكافي: ٣٤٩/٢، ح ٥.

(٣) أصول الكافي: ٣٤٨/٢، ح ٣.

(٤) نزهة المجالس: ١٩٨/١.

(٥) الكافي: ١٦٢/٢.

(٦) البحار: ٨٦/٧٤، وانظر قصة موسى عليه السلام ورفيقه في الجنة التي تقدمت في مطلع البحث هذا.

برّ الوالدين بعد وفاتهما

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين وميّتين: يصلّي عنهما ويتصدّق عنهما ويحجّ عنهما ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك فيزيده الله ببرّه وصلاته خيراً كثيراً»[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما، ثمّ يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقّاً، وإنّه ليكون عاقّاً في حياتهما غير بارٍّ لهما، فإذا ماتا قضىٰ دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله بارّاً»[٢].

وزاد رسول الله صلى الله عليه وآله: «... وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلّا بهما، وإكرام صديقهما»[٣].

وفي حديث: مَن زار قبر والديه في كلّ جمعة مرّة غفر له وكتب بارّاً[٤].

ويمكن تلخيص موارد البرّ بالوالدين الميّتين بما يلي:

١ ـ الصلاة لهما بركعتين أو أكثر ومتى شاء من الأوقات، فينوي إمّا أن يهدي ثواب الركعتين لهما بعد إتمامهما وإمّا يصلّي نيابة عنهما وكلاهما حسن.

ويستحبّ أن يكرّر ذلك لا أقلّ كلّ أُسبوع مرّة، وفي الأماكن المباركة كمراقد الأئمّة عليهم السلام أو مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله والمسجد الحرام.

٢ ـ التصدّق عنهما ببعض المال وإن قلّ، أو ببعض الطعام أو اللباس، وإن استطاع أن تكون صدقته جارية فهو أفضل كأن يبني سبيل ماء عن روح والديه، أو

---

(١) الوسائل: ١٥/٢٢٠، ح٢٧٧٠٥.

(٢) الوسائل: ١٥/٢٢١، ح٢٧٧٠٦.

(٣) ميزان الحكمة: ١٠/٧١١.

(٤) مكارم الأخلاق: ٨٣، ح ٢٤٩.

يزرع شجرة يستظلّ الناس بها أو يأكلون من ثمرها، أو يبني مسجداً، أو يشق طريقاً ويزفّته، أو يرسل للزيارة أو الحجّ بعض الفقراء ويهدي هذا الثواب لهما.

ويستحبّ عموماً التصدّق عنه وعن والديه وبالأخص ليلة الجمعة ويومها ولو بشربة من الماء.

٣ ـ زيارة قبرهما.

٤ ـ الاستغفار لهما.

٥ ـ الصوم عنهما.

٦ ـ قضاء ما عليهما.

٧ ـ إكرام صديقيهما.

٨ ـ تنفيذ عهدهما من بعدهما.

٩ ـ صلة رحمهما.

البنوّة الناجحة

في مراعاة حقوق الوالدين

١ ـ مراعاة حق الأم وقدرها:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: وأما حق أمك فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل[١] أحد أحداً، وأعطتك[٢] من ثمرة قلبها ما لا يعطي[٣] أحد أحداً، ووقتك، (بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة موبلة محتملة[٤] لما فيه مكروهها وألمه وثقله وغمه، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض) ولم تبال[٥] أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك[٦]، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، (وتُنعّمك ببؤسها، وتلذّذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاء، وحجرها لك حواء، وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء، تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك[٧]، فتشكرها على قدر ذلك) وإنك لا تطيق شكرها (ولا تقدر عليه)[٨] إلا بعون الله وتوفيقه.

---

(١) في نسخة: يحمل.

(٢) في نسخة: وأطعمتك.

(٣) في نسخة: يطعم.

(٤) في نسخة: متحملة. ومعنى موبلة: أي كثيرة عطاياها .

(٥) في نسخة : فرضيت .

(٦) في نسخة: وترويك وتظمأ.

(٧) في النسخة الأولى: ووقتك الحر والبرد، لتكون لها.

(٨) ما بين معكوفين من نسخة أخرى .

قدّم الإمام عليه السلام الأُم لعظيم حقها وعنائها منذ أن كان الولد في بطنها طيلة تسعة أشهر حتى ولد فبدأت الأُم بتربيته رضيعاً والعناية به ليلاً ونهاراً، إلا أنّ الابن لا يشعر بهذا العناء - وللأسف - إلا عندما يتزوج ويرى معاناة زوجته ورعايتها لحملها وطفلها وتربيته والسهر عليه وحمايته من البرد والحر والهواء والغبار...

ويُروى في قصة أن رجلاً كان يحمل أمه في الطواف ويقول:

إنــــي لهـا مَـطيّةٌ لا أذْعَـرُ ... إذ الرِّكَـابُ نَـفَرَتْ لا أنـفرُ

مـا حَـمَلَتْ وأرَضَـعتْني أكـثرٌ ... الله ربـي ذو الجـلال أكـبَرُ

ثم التفت إلى ابن عباس وقال: أليس أني قضيت حقها ؟

فقال ابن عباس: لا والله ولا طلقةً واحدةً[1].

فمهما فعل الابن لا يصل الى بعض معاناة الأُم عند الولادة.

أثر رعاية حق الأُم

يحكى أنّ رجلاً صالحاً من بني إسرائيل كان له صبي وعِجلة فلمّا حضرته الوفاة قال: اللّهمّ إنّي أستودعكَ هذه العِجلة لهذا الصبي، فلمّا كبر الولد اجتهد في العبادة ليلاً وبالعمل نهاراً فيتصدّق بثلث ما ينتجه ويأكل بثلث ويعطي أُمّه ثلث، وفي يوم قالت أُمّه له: اذهب وبع العجلة في السوق بثلاثة دنانير ولا تنجز المعاملة إلاّ بإذني، فذهب فوجد مشترياً، فقال له: خذ ثمنها ستّة دنانير ولا تستأذن أُمك، فرفض، فقدر الله علىٰ بني إسرائيل ذبح بقرة بالمواصفات المذكورة في القرآن

---

(١) يريد طلقات الولادة.

الكريم فلم توجد إلّا عند ذلك الصبي فباعها بملء جلدها ذهباً مكافأة علىٰ برّ أُمّه والإنفاق عليها[١].

أثر زيارة قبر الأُم

كان بعض الصالحين له أمّ صالحة فلمّا جاءها الموت قالت: اللّهم لا توحشني في قبري، فلمّا ماتت صار ولدها يزورها كلّ جمعة ويدعو لها ولجيرانها، فرآها في منامه فسألها عن حالها فقالت: كرب الموت شديد وأنا بحمد الله في برزخ حسن، يا بنيّ لا تترك زيارتنا في كلّ جمعة فإنّي أفرح أنا وجيراني بزيارتك ودعائك[٢].

٢ ـ مراعاة حق الأب وقدره:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: **وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك، (وأنك فرعه)[٣] وأنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله تعالى.**

٣ ـ طلب العون من الله في أداء حقوق الوالدين:

وذلك يتجسّد في صلاة برّ الوالدين المتقدم ذكرها: وكما قال الإمام زين العابدين عليه السلام: **اللّهمّ اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الأُم الرؤوف،** وأجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمآن حتّىٰ أُوثر علىٰ هواي هواهما، وأقدّم علىٰ رضاي

---

(١) نزهة المجالس: ١٩٧/١ بتصرّف.

(٢) نزهة المجالس: ٢٠٥/١، وقد تقدم منا أثر رحمة الأم في قصة من طلبت أمّه الماء منه في الشتاء.

(٣) من نسخة أخرى.

رضاهما، واستكثر برّهما بي وإن قلّ، واستقلّ برّي بهما وإن كثر، اللّهمّ خفّض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي وألن لهما عريكتي، وأعطف عليهما قلبي، وصيّرني بهما رفيقاً، وعليهما شفيقاً، اللّهمّ اشكر لهما تربيتي، وأثبهما علىٰ تكرمتي، واحفظ لهما ما حفظاه منّي في صغري، اللّهمّ وما مسّهما منّي من أذى، أو خلص إليهما عنّي من مكروه أو ضاع قبلي لهما من حقّ فاجعله حطّة لذنوبهما، وعلّواً في درجاتهما، وزيادة في حسناتهما، يا مبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات، اللّهمّ وما تعدّيا عليّ فيه من قول، أو أسرفا عليّ فيه من فعل أو ضيّعاه ليّ من حقّ، أو قصّرا بي عنه من واجب فقد وهبته لهما، وجدت به عليهما، ورغبت إليك في وضع تبعته عنهما، فإنّي لا أتّهمهما علىٰ نفسي، ولا أستبطئهما في برّي، ولا أكره ما تولّياه من أمري. ياربّ، فهما أوجب حقّاً عليّ، وأقدم إحساناً إليّ، وأعظم منّة لديّ من أن أُقاصهما بعدلٍ، أو أُجازيهما علىٰ مثل، أين إذاً ـ يا إلهيّ ـ طول شغلهما بتربيتي؟ وأين شدّة تعبهما في حراستي؟ وأين إقتارهما علىٰ أنفسهما للتوسعة عليّ؟!

هيهات ما يستوفيان منّي حقّهما، ولا أدرك ما يجب عليّ لهما، ولا أنا بقاضٍ وظيفة خدمتهما، فصلّ علىٰ محمّدٍ وآله، وأعنّي يا خير مَن أستعين به، ووفّقني يا أهدى مَن غرب إليه ولا تجعلني في أهل العقوق للآباء والأُمّهات يوم تجزى كلّ نفسٍ بما كسبت وهم لا يُظلمون، اللّهمّ صلّ علىٰ محمّدٍ وآله وذرّيته، واخصص أبوي بأفضل ما خصصت به آباء عبادك المؤمنين وأُمّهاتهم يا أرحم الراحمين.

اللّهمّ لا تنسني ذكرهما في أدبار صلواتي، وفي آنٍ من آناء ليلي، وفي كلّ ساعة من ساعات نهاري، اللّهمّ صلّ علىٰ محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما ببرّهما بيّ مغفرة حتماً، وارض عنهما بشفاعتي لهما رضى عزماً، وابلغهما بالكرامة مواطن السلامة[1].

---

(١) الصحيفة السجاديّة الكاملة: ١٢٩.

شرح كلام الإمام زين العابدين عليه السلام

قال الشيخ جواد مغنية في شرح دعائه عليه السلام:

(**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ**): الظّلوم، يهاب والديه على دنوه منهما، وعلمه بأنّهما أرأف به من نفسه. ولا غرابة، إنّها هيبة التّعظيم، والتّقدير، لا هيبة الخوف من العقاب العسير، هيبة الأُبوة الّتي لا يُشعر بها إلا العارفون. كانت فاطمة عليها السلام بضعة من النّبي صلى الله عليه وآله، وأحبّ الْخَلْق إلى قلبه، ومع هذا كانت تقول: «**ما استطعت أنْ أُكلم رَسُول اللَّه من هيبته**»[1].

(وَأَبَرُّهُمَا بِرَّ الأُمِّ...) ولا شيء عند الأبوين أغلى، وأثمن من بِرّ الابن بهما، علماً بأنّه وفاء لدين سابق... ومع هذا يسعدان به سعادة الغارس بثمرات غرسه، وبهذه السّعادة نفسها يشعر الابن البار إذا تأكد من سعادة أبويه به، ورضاهما عنه.

(**الْوَسْنَانِ**): من أخذه النّعاس (وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ كَثُرَ) الْخَيْر منه ضئيل، وصغير بالغاً ما بلغ، ومنهما جليل، وكبير وإنْ كان حبّة من خردل؟! وليس هذا تواضعاً، بل إيماناً، وعَظَمَة نفس، وشعوراً حياً بمسؤولية التّكليف، وهو أمره تعالى: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾[2]، وكلّ شيء قليل في جنب اللَّه، والشُّكْر له لمن قرن شكره بشكره. وهكذا العظيم يستصغر الْحَسَنَة منه وإنْ كبرت، ويستكبر السّيئة وإنْ صغرت على العكس تماماً من الحقير، وفي الحديث الشّريف: «**الْمُؤْمِن يرى ذنبه كأنّه صخرة يخاف أنْ تقع عَلَيْهِ، والمنافق يرى**

---

(١) انظر، مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٢٠، مجمع الزّوائد: ١٠ / ٣٢٧، نظم درر السّمطين: ١٩٠.

(٢) سورة لقمان: ١٤.

ذنبه كذباب مرّ على أنفه فأطار فذهب»[١].

وقال قائل لأحد الْمُتّقِين: حقاً رأيت في منامي أنك في الْجَنَّة. فقال له: ويحك أمّا وجد الشَّيْطَان من يسخر منه غيري، وغيرك؟.

(اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي) غضّ الصّوت، وخفضه من الآداب الشّرعية، والعرفية، بخاصة عند مخاطبة الكبار، وَأهْل المكانة. وفي الآية: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٢]، (وَأطِبْ لَهُمَا كَلاَمِي) قال سبحانه: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَ لاَ تَنْهَرْهُمَا وَ قُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[٣]، على أنّ الكلمة الطّيبة بوجه عام كالشجرة الطّيبة: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِى السَّمَآءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[٤]، (عَرِيْكَتِي) طبيعتي (رَفِيقاً): لطيفاً لا فظاً غليظاً.

(اللَّهُمَّ اشْكُرْ لَهُمَا...) اجزهما بالإحسان إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً (وَاحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظَاهُ مِنِّي فِي صِغَرِي) أجزل لهما الأجر، والثّواب على ما لقيا من التّعَب، والعناء في سبيلي رضيعاً، وصبياً. وقال رجل للنبي صلى الله عليه وآله: «إنّ أبوي بلغا من الكبر عتياً، وأنا أُولي منهما – أُباشر – ما وليا مِنّي في الصّغر فهل قضيت حقهما؟ قال: لا، فإنّهما كانا يفعلان ذلِكَ، وهما يحبان بقاءك، وأنْتَ تفعله، وتريد موتهما»[٥].

(اللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أذًى...) كلّ ما أصابهما بسببي من مكروه (فَاجْعَلْهُ حِطَّةً): محواً (لِذُنُوبِهِمَا وَعُلُوّاً) لمقامهما عندك بحيث يكون شقاؤهما بي في الدُّنْيا سبباً لسعادتهما في الآخرة.

(يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ) لمحو السيئات العديد من الطّريق،

---

(١) انظر المصنّف للكوفي: ٨/ ١٦٠، وكنز العمال: ٣/ ٦٩٩ ح ٨٥٠١، ومسند أبي يعلى: ٢/ ٤٧٥.

(٢) سورة لقمان: ١٩.

(٣) سورة الإسراء: ٢٣.

(٤) سورة إبراهيم: ٢٥.

(٥) انظر، تفسير مجمع البيان: ٦/ ٢٤١، بحار الأنوار: ٧١/ ٤٣، ولكن بلفظ: (ضم أبويك إلى نفسك كما كانا يفعلان بكَ، وأنْتَ صغير).

منها التَّوْبَة، ومنها إصلاح ذات البين، وكلّ عمل نافع مفيد للفرد، والجماعة، ومنها المَرَض فإنّه يحط السّيِّئات، ويحتها حت الأوراق، على حدّ تعبير نهج البلاغة، ومنها العدوان حيث يتحمل المعتدي سيئات المعتدى عَلَيْهِ، وأيضاً يأخذ هذا حسنات ذاك، وسبقت الإشارة إلى ذلِكَ عند تفسير: «تُقَاصِّنِي بِهِ مِنْ حَسَنَاتِي، أَوْ تُضَاعِفَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِي يَوْمَ أَلْقَاكَ يَا رَبِّ»[1].

(**اللَّهُمَّ، وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ...**) كما أوجب سبحانه حقوقاً للوالدين على الولد، أوجب أيضاً حقوقاً له عليهما، ومن أهمل، وقصّر استحق اللّوم، والعقاب والداً كان، أو ولداً، والإمام السّجاد عليه السلام يتجاوز، ويتنازل عما افترضه اللّه له على أبويه، وحملهما من حقه أياً كان نوعه، ويكون، وعبّر عن هذا التّسامح، والتّجاوز بقوله: (**وَهَبْتُهُ عَلَيْهِمَا...**) أسألك اللَّهُمَّ أنْ لا تؤاخذ أبويّ على أي شيء يتصل بي من قريب، أو بعيد (**فَإِنِّي لا أَتَّهِمُهُمَا عَلَى نَفْسِي...**) هما عندي، وفي عقيدتي من النّاصحين المخلصين لا تواني منهما في حَقِّي، ولا تقصير (**وَلا أَكْرَهُ مَا تَوَلَّيَاهُ مِنْ أَمْرِي**) مهما أتى من المحبوب محبوب، والعكس بالعكس.

(**فَهُمَا أَوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ، وَأَقْدَمُ إِحْسَاناً إِلَيَّ...**) لِي حقّ، ولهما حقّ، ولكن حقهما أقدم، وأعْظمْ (**مِنْ أَنْ أُقَاصَّهُمَا بِعَدْلٍ...**) لا مقاصة عادلة إلا مع المساواة، ولا مكان لها بين المنعم، والمنعم عَلَيْهِ. ومن هنا يُقتل الولد بوالده، ولا يُقتل الوالد بالولد.

(**أَيْنَ إذاً يَا إِلهِيْ طُولُ شُغْلِهِمَا...**) لقد تحملا الضّيق، والشِّدَّة لأعيش في سعة، والتّعَب، والعناء لأكون في راحة، والذّل، والهوان من أجل سعادتي (**هَيْهَاتَ**) بفتح التّاء، وكسرها، وضمها: اسم فعل بمعنى بعُد (**مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا...**) أقر، وأعترف بالعجز عن القيام مهما اجتهدت، وبالغت، لأنّه جسيم، وعظيم.

وبعدُ، فمن أراد أنْ يستدرك ما فرط من حقّ أبويه بعد موتهما، فلسيتغفر اللّه لهما، ويقضي دينهما، إنْ كان عليهما شيء منه لله، أو للناس، وإلّا تَصدق عنهما بما

---

(١) انظر، الدُّعاء الثّاني والعشرون من الصحيفة السجادية .

يستطيع. وفي الحديث: «سَيِّد الأبْرَار يَوْم الْقِيَامَة، رجل بَر والديه بعد موتهما»[١].

(وَأعِنِّي يَا خَيْرَ مَنِ اسْتُعِينَ بِهِ...) كلّ أدعية أهْل الْبَيْت عليهم السلام، ومناجاتهم، تهدف إلى طَلَب الهداية، والعون، والتّوفيق للعلم بالحقّ، والْخَيْر، والعمل بموجبه، لأنّ التّوفيق هو الأصل، والمنطق لكلّ نفع، وصالح دنياً، وآخرة.

(وَلاَ تَجْعَلْنِي فِي أهْلِ الْعُقُوقِ): العصيان، والّتمرد (لِلابآءِ وَالأُمَّهاتِ) ولا أدري كيف يعق الولد والديه، وهو على علم الْيَقِين أنهما أرحم به من نفسه، وأنّهما يضحيان بالنفس، والنّفيس من أجله، ولا يجزى الإحسان بالإساءة إلا من فيه طبع الحيّة، والعقرب.

(صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ) قيل: الذُّرية أخصّ من الآل؛ لأنّ الآل لكلّ ذي رحم، والذُّرية للنسل فقط. ولكن المُراد هنا العكس؛ لأنّ القصد من كلمة الآل في الصَّلاَة عَلَيْهِ، وعَلَيْهِمْ، المعصومون بالخصوص[٢]، أمّا الصَّلاَة على الذُّرية فتعم كلّ مؤمن صالح من نسل الرَّسُول الأعظم صلى الله عليه وآله (وَاخْصُصْ أبَوَيَّ بِأفْضَلِ) ما تخص به المقربين لديك.

---

(١) انظر، مستدرك الوسائل: ١٣ / ٤١٤، بحار الأنوار: ١٧ / ٨٦ ح ١٠٠، مستدرك سفينة البحار: ١٠ / ٤٤٤.

(٢) يقصد بذلك آل الرَّسُول عليهم السلام الّذين خصّهم اللّه بالمكارم، والفضائل، ونزّههم عن النّقائص بقوله تعالى: ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، الأحزاب: ٣٣. وفرض مودتهم على جميع المسلمين بقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى﴾ الشّورى: ٢٣.

وما أحسن قول الصاحب بْن عبّاد فيهم حيث قال: هم - واللّه - الشّجرة الطّيبة، والغمامة الصيّبة، والعلم الزّاخر، والبحر الّذي ليس يدرك له آخر الفضل العلوي، والفخر الحسني، والإباء الحسيني، والزّهد الزّينبي، والعلم الباقري، والحديث الصادقي، والحلم الكاظمي، والتّفنّن الرّضوي، والمعجز الجوادي، والبرهان الهادي، وخذ إلى الحَسن وابنه من روح الفضل وغصنه، إمام بعد إمام، يعتمّ بالنبوة، ويتقمّص بالإمامة، ويتمنطق بالكرامة (انظر، ينابيع المودّة: ١ / ٤ ط ٧ قم منشورات الشّريف الرّضي).

(اللَّهُمَّ لاَ تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي أَدْبَارِ صَلَوَاتِي) كان الشّعب العاملي، المعروف الآن بجنوب لبنان، من أشد النّاس ولاءً لأهل الْبَيْت عليهم السلام، وأحرصهم على حفظ مناقبهم، وآثارهم، وبخاصة الأدعية حيث يكررونها صباحَ مساء، وكان من عادة العامليين أنْ يقرأوا سورة الفاتحة بعد الصَّلاَة، ويهدون ثوابها إلى الأبوين، وما زال الكثير منهم على ذلِكَ. وغير بعيد أنْ يكون المصدر هذا الدُّعاء بالذات (وَفِي آنٍ مِنْ آنـاءِ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَة...) لا تنسني ذكرهما في أيّ وقت، وحين.

(وَاغْفِرْ لِي...) اجْعَلْ ثوابي عندك على البر بهما، وثوابهما على البر بي، مغفرتك ورَحْمَتِك لِي، ولهما (حَتْماً): غفراناً محترماً (رِضَىً عَزْماً): معزوماً أي مقصوداً (وَبَلِّغْهُمَا بِالْكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلاَمَةِ) تكرم عليهما بالجنة، وتفضل (وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُمَا...) إنْ تك منزلتهما لديك أعلى، وأرفع من مكانتي فارْحَمْنِي بشفاعتهما، وإنْ تك منزلتي أعلى فارحمهما بشفاعتي (حَتّى نَجْتَمِعَ) في جنانك، ونسعد برضوانك.

والخُلاصة: إنّ للوالدين حقوقاً تمتاز عن أكثر الحقوق حتّى عن حقّ الْمُؤْمِن على الْمُؤْمِن ولو كان الأبوان مُشركين بنص الْقُرْآن الْكَرِيمِ: ﴿ وَ إِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَ صَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (١).

ساعدنا الله على برهما وعلى استدراك ما قصّرناه تجاههما وما التوفيق إلّا من عند الله تبارك وتعالى إنّه ولي قدير.

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على خير الأنام محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة لقمان: ١٥.

خاتمة

بتوفيق الله تعالى خرج هذا الكتاب، وقد تعانق قلمان على إنجاز المهمة، والمضمار غوره عميق، ولا مناص من الاعتراف بالتقصير عن الإحاطة بكل جوانب الموضوع، سائلين منه تعالى القبول، وأن يجعله لنا ولأهلنا ذخراً وثواباً.

وقد انتهينا منه يوم الاثنين ليل ١١ محرم ١٤٣١هـ

الموافق ٢٨ / ١٢ / ٢٠٠٩م.

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

الأُبوة الفاشلة

القسم الخامس:

القسم السادس:

القسم السابع:

القسم الثامن:

القسم التاسع:

القسم العاشر:

الفصل الثالث

الأُمومة الفاشلة

الفصل الرابع

البنوة الفاشلة

ما يؤدي الى البنوة الفاشلة